

«الربيع العربي»  
بين الفكر والخطاب الإعلامي

د. بسام عويضة

جميع الحقوق محفوظة

## مركز رام الله لدراسات حقوق الإنسان

ص. ب 2424، رام الله، فلسطين

هاتف 02 2413001

فاكس 02 2413002

بريد الكتروني [rchrs@rchrs.org](mailto:rchrs@rchrs.org)

موقع الكتروني [www.rchrs.org](http://www.rchrs.org)

©Copyright

RCHRS, Ramallah, Palestine

الطبعة الاولى

رام الله - كانون اول ٢٠١٢

ملاحظة

الأفكار الواردة في هذه الكتاب لا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر  
مركز رام الله لدراسات حقوق الإنسان  
جميع الحقوق محفوظة للناشر

مونتاج الكتروني : بلوبل للدعاية والإعلان

تصميم الغلاف : بشار الحروب

# الفهرس

	مقدمة
٥	٢ . الإنسان العربي والفكر
٥	١ . ٢ البحث عن حل / ربيع عربي بدون فكر
	٢ . ٢ الإنسان العربي والاعتراب الذاتي
	٣ . ٢ الإنسان العربي وفلسفة التنوير / نقد النظرية المؤسسة وسلطة الزمن المتخيل
٩	٤ . ٢ حاجة الوطن العربي إلى مفكرين
	٥ . ٢ موقف الغرب من التغيير في الوطن العربي
١٩	٦ . ٢ بين مكر التاريخ والعرق
٣١	٧ . ٢ الثقافات التي ساهمت في تكوين الشخصية العربية
٣٩	٣ . المفكرون العرب
٥١	١ . ٣ المفكرون العرب والربيع العربي
٦١	٢ . ٣ المفكرون العرب بين الخوف وعدم ملامسة الهم الأول
	٣ . ٣ الكتابة في التاريخ الأول للهروب من المستقبل
	٤ . ٣ أبعد من القبيلة وتأويل النص الأول
	٥ . ٣ النص بين العقل أو النقل
١١٧	٦ . ٣ نقد العقل الكلي
	٧ . ٣ أزمة الفكر العربي المعاصر في الزمان والمكان
	٨ . ٣ المثقف العربي وثقافة الصراخ

- ٣ . ٩ . ١ بين أتاتورك وحسن البناء، هل يلعب الحظ دوراً في نهضة الأمم؟
- ٣ . ٩ . ٢ الأمة العربية ومأزق الخروج من الماضي، سجال ساطع الحصري مع طه حسين

٤ . التعليم والتعليم النقدي

٤ . ١ أسطورة « العقول العربية المهاجرة »

٤ . ٢ التعليم المجاني والمؤطّ

٥ . الربيع العربي في الخطاب الإعلامي

٥ . ١ الإعلام بين التنوير والأجندة السياسي

٥ . ٢ تأثير الإعلام على الفرد العربي

٥ . ٣ تشكيل الرأي العام العربي

٥ . ٤ أدوات تحليل المضمون

٥ . ٥ سلطة الخطاب الديني في الإعلام

٥ . ٦ التلفاز / لغة بصرية وغياب للنشاط الذهني

٦ . الدولة / بين المؤسسة التاريخية ومؤسسة الخدمات

٦ . ١ النظام العلماني / الديمقراطي

٦ . ٢ المواطن العربي بين دكتاتوريات عسكرية أو أصوليات دينية

٦ . ٣ قبل الديمقراطية والانتخابات

٧ . النتيجة

٨ . المراجع

## ١. مقدمة

قام شاب تونسي يافع بحرق نفسه احتجاجاً على قيام شرطة تونسية بضربه، فإذا بمدن تونس التي كان سكانها يرتجفون من شدة البرد، وبالتحديد في ١٧ . ديسمبر ٢٠١٠ تتحول إلى جهنم حمراء وثورة ياسمين، زلزلت الأرض من تحت أركان نظام الرئيس التونسي زين العابدين بن علي، وأدت إلى الإطاحة به.

نقول هنا ثورة، لأن ما حدث في تونس، يجمع عليه الخبراء والمحللين وحتى الرأي العام العربي، أنه حدث بفعل عوامل سياسية واقتصادية واجتماعية، «تخمرت على مدار سنوات طوال، ذاتياً وموضوعياً، وسرعان ما امتدت شرارة الياسمين إلى دول عربية أخرى كاليمن ومصر وليبيا»، فقد استبشر قادة الرأي العام والنخب المثقفة في المجتمع العربي من أن العالم العربي يتجه نحو «تطور ما» مثله مثل بقية شعوب الأرض، لعل الوطن العربي يتطور تكنولوجياً وصناعياً واقتصادياً وسياسياً وثقافياً وإعلامياً، أي مثل بقية الشعوب المتقدمة، حتى أن المفكر اللبناني علي حرب وصف تلك الثورات في كتابه «ثورات القوة الناعمة في العالم العربي، نحو تفكيك الديكتاتوريات والأصوليات بأنها ستغير وجه العالم»<sup>١</sup>.

ولكن يبدو أن «المطابخ السياسية» لبعض الأنظمة السياسية الغربية والعربية بدأت تصحو من هول ما حدث، وأخذت على عجل ترتب الأوراق السياسية حتى لا تختلط الأمور مع بعضها البعض، وهنا تحول «الربيع» إلى «خريف» و«الياسمين» إلى «صبار» و«الثورة» إلى «حريق».

هذا بدا واضحاً، وجلياً، للرأي العام العربي، وللمراقبين والخبراء أيضاً، عندما وصل «الحريق العربي» إلى سوريا، وأطفأ في البحرين وعمان، ليس إعلامياً فحسب، بل عبر قوات درع الجزيرة العربية، فأخذ الجميع يتساءل: لماذا؟ لماذا يوجد تفرقة بين الثورات! ونريد التأكيد هنا، أننا لاندافع عن دكتاتورية النظام السوري.

لكن يبدو أن الفرق بين «الربيع العربي» الذي اجتاحت بعض الدول العربية وبين «التجربة الأوروبية التي أدت

إلى نشوء دولة عصرية مدنية، ذات تعددية سياسية، يسودها القانون واحترام حقوق الإنسان، وحرية الرأي والتعبير<sup>٢</sup>، هائل جداً، لا سيما الفرق في القائمين على المشروعين.

من المعروف أن التغيير إجتاح القارة الأوروبية منذ مطلع القرن الثاني عشر تقريباً، ولغاية القرن التاسع عشر، بفعل فلاسفة ومفكرين عمالقة من طراز رفيع، والتي لا تجود بهم الأرض كل يوم مثل الفيلسوف الألماني الكبير ايمانويل كانط<sup>٣</sup> وفريدريش نيتشة<sup>٤</sup> وجان جاك روسو<sup>٥</sup> وباروخ سبينوزا<sup>٦</sup> وفولتير<sup>٧</sup> وهيغل<sup>٨</sup> ومونتسكيو<sup>٩</sup> وجون لوك<sup>١٠</sup> وفرنسيس بيكون<sup>١١</sup> وروينية ديكارث<sup>١٢</sup> ودافيد هيوم<sup>١٣</sup> وجان بول سارتر<sup>١٤</sup> وفيلسوف المتشائم آرثر شوبنهاور<sup>١٥</sup> ولودفيج فورباخ<sup>١٦</sup> وجاك دريدا والفيلسوف الفرنسي كلود ليفي شتروس ودافيد هيوم ومارتن هيدغر<sup>١٧</sup> والفيلسوف الألماني شيلينغ<sup>١٨</sup> وأخيراً الفيلسوف الألماني الأخير الذي ما يزال على قيد الحياة يورجن هبرماس<sup>١٩</sup>، في حين أن «الربيع العربي» انفجر فجأة في تونس بسبب الضغط السياسي والاقتصادي، حيث قام شاب تونسي بحرق نفسه، بعد أن قامت شرطة تونسية بضربه، فكانت القشة التي قصمت ظهر البعير، فاندلعت احتجاجات عارمة، أطاحت على أثرها بالنظام الدكتاتوري هناك.

وما لبثت تلك الشرارة أن انتقلت إلى دول غربية أخرى مثل مصر واليمن وليبيا، إلا أن دولاً كثيرة عربية (مثل قطر) وغربية (مثل الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا) انتبعت إلى هذا الحراك وحاولت ركوب الموجة بسرعة لترتيب الأوراق السياسية في المنطقة لصالحها عن طريق استخدام العديد من الأدوات مثل الماكينات الإعلامية والأصوليات الدينية والمال وأحياناً أخرى التدخل العسكري المباشر وتقديم المساعدات اللوجستية.

وهنا نأتي إلى فكرة الكتاب وهي: أن التطور الذي حصل في أوروبا هو تطور تاريخي حقيقي متدرج أخذ وقته الكافي دون أن يتدخل به أحد أو يمارس عليه مؤامرات، هذا التطور أمتد من القرن الثاني عشر ولغاية القرن التاسع عشر، وهذا يعتبر وقت كثير وكافي لكي تختمر الأمور، وينتج عن ذلك إنسان ثاقب ذو فكر واع، أنتج فيما بعد دستوراً وقانوناً ومؤسساتاً وإعلاماً وأخلاقاً لدولة ولحزب سياسي ولنظام ديمقراطي.

مقابل ذلك، على صعيد «الربيع العربي»، حدث تنسيق على مدار الساعة بين دول غربية وعربية لتسيير دفة الحراك الشعبي أو الحريق العربي وفق أجندة سياسية أعدت على عجل لمواكبة تطورات الربيع العربي لكي ينتقل الحريق العربي إلى أقطار عربية معينة، وفي زمن معين ووفق أدوات معينة أهمها «تهديد خطاب إعلامي ممنهج»، وهذا بيت القصيد.

بعض الأنظمة السياسية في الوطن العربي دعمت أصوليات دينية مالياً وإعلامياً وسياسياً ولوجستياً وعسكرياً

لاستلام الحكم - تحت غطاء إجراء انتخابات حرة لم تعرفها تلك الأنظمة في بلدانها، ولا يعرف المواطن العربي معناها، وعندما وصلت تلك الأصوليات إلى سدة الحكم، كما حدث في مصر، امتنعت عن المس بالخطوط الحمراء أو المحرمات السياسية مثل «اتفاقية كامب ديفيد» الموقعة بين مصر وإسرائيل، فبعد أن كانت الاتفاقية «محرمة دينياً» عام ١٩٧٩ وبسببها قتل الرئيس المصري الأسبق محمد أنور السادات، ها هو السفير الإسرائيلي يرتع ويسرح ويمرح في القاهرة تحت حكم الإخوان المسلمين (لاحظ أن الأصوليات اليوم في مصر يقولون لك: مش وقته)، وبعد أن كان البنك الدولي والاقتراض منه ربا وحرام شرعاً باعتباره مؤسسة امبريالية أصبح الاقتراض منه في حكم الإخوان المسلمين «حلال»، وبعد أن كانت العلاقة مع أمريكا «جريمة دينية على اعتبارها رأس الهرم الامبريالي أصبحت العلاقات الأمريكية - المصرية تحت حكم الإخوان» علاقات دولية لا مفر منها»، فالأصوليات لديها البراعة والعبقرية والمقدرة على تحويل «الخيانة» إلى «فضيلة» عبر إدخال نص ديني على الخطاب السياسي، وترووجه إعلامياً، بينما الآخر عجز عن ذلك.

إذن الفكرة من الكتاب هي: إن الإنسان والأخلاق والضمير والقانون والحزب والبرنامج السياسي والمؤسسة والنظام الديمقراطي والقضاء والجامعة والإعلام والدولة في أوروبا، هم نتاج نهضة تنويرية فكرية، دفع ثمنها فلاسفة<sup>١٩</sup> عظماء من الوزن الثقيل دماً وعرقاً، يقابله عندنا «حريق عربي» أشتعل تلقائياً، والآن يوجه بفعل ماكينات إعلامية كلها عواطف وحشد وتعبئة في مناطق جغرافية دون غيرها وفي زمن محدد، أكثر منها وسائل إعلامية تنويرية مهمتها نقل المعلومة وتنوير المواطن العربي سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وثقافياً وتعليمياً وبالتالي تحول «الربيع العربي» إلى «شتاء إسلامي».

افتترضت في هذا الكتاب: أن الماكينات الإعلامية الموجودة في المجتمعات العربية<sup>٢٠</sup> عملت عبر «خطابها الإعلامي» وليس «عبر إعلامها» على تشكيل الرأي العام العربي، والتشكيل هنا يعني أدلجة المجتمع نحو الأسلمة أو الأخونة بينما الإعلام الحقيقي يسعى إلى تنوير الفرد عبر إيصال المعلومات وزرع القيم في داخله. النظرية التي تدعم هذه الفرضية هي نظرية بناء المعنى والتي في المحصلة النهائية تسعى إلى تشكيل سلوك عند الإنسان لاتخاذ موقف سياسي دون آخر.<sup>٢١</sup>

هناك فرق كبير بين الايدولوجيا والقيم، وفرق أيضاً بين الخطاب الإعلامي والإعلام التنويري، كما هو الحال في الفرق بين الدين والخطاب الديني أو بين الربيع العربي والحريق العربي وبين دولة الخدمات ودولة المؤسسة التاريخية، وبين تشكيل الرأي العام أو تنويره.

هناك فرق كبير مثلاً بين ماكينة الجزيرة التي تعمل ليل نهار على «أسلمة الشارع العربي» من خلال بث أشرطة

«كتائب البراء التابعة للقاعدة» أو «كتائب النصر» باعتبارهما أذرع عسكرية مسلحة لتنظيم القاعدة الإرهابي في سوريا، وبين قناة «ارتي» الألمانية - الفرنسية المشتركة التي تعتبر من أفضل القنوات الإعلامية التنويرية الموضوعية في العالم حيث تعمل على زرع قيمة احترام الدولة وحرية التعبير واحترام تداول السلطة واحترام القوانين والدستور ورأي القضاء وحرية الصحافة وحب العلم والمصنع وتطور الإنسان واحترام الوقت والنظام وعدم السرقة والغش والكذب وحب الفن والمسرح والسينما والبيئة .

فالموضوعية وحرية الإعلام تعني في القناة الألمانية - الفرنسية أن تدخل كأمرتها الأخبارية إلى قصر الإليزيه الفرنسي وبيت المستشار الألمانية وتكتب ما تشاء<sup>٢٢</sup> ، فسقف الحرية والرأي الآخر لا يعني فقط احضار شخصين من اتجاهين مختلفين (فتح وحماس مثلاً) ، أو أن تسب وتشتم الماكينة الإعلامية التي تتحدث من خلالها على الهواء مباشرة (أن تسب الجزيرة مثلاً) بل حرية الرأي أيضا أن تنتقد قصر الأمير وأن يدخل الإعلاميون وكاميراتهم إلى قصوره للكتابة عنه، وعن أعماله، وأمواله، وزوجاته، وأولاده، ومن هم وزراءه، وما هي صلة القرابة التي تربطه معهم؟ وكيف وصل إلى الحكم؟ ومتى؟ وإلى متى سيبقى؟ ومن سيخلفه؟ وما هي اختصاصاته؟ ومع من التقى؟ وكيف؟ وأين؟ وكم راتبه الشهري؟ وهل يوجد دستور في بلده؟ أو قوانين أو برلمان؟ أو نقابات عمال؟ أو مؤسسات نسوية؟

فكرة الكتاب جاءت بعد قيامي بتدريس مساقى الحضارة الأوروبية والفكر العربي في دائرة الفلسفة، ومن ثم الانتقال إلى دائرة الإعلام في جامعة بيزيت في فلسطين، وبالتالي تكونت لدي فكرة واضحة جداً عن الأسباب وراء تطور المواطن الأوروبي عن طريق فلسفة وفكر جديدين، بينما الرأي العام العربي يتشكل عبر خطاب إعلامي مبرمج ومسيّس بفعل ماكينات إعلامية ضخمة يضح فيها ملايين اليوروهات .

كيف يمكن لعاقل، تصديق، الخطاب الإعلامي الذي يقول، في نشراته الأخبارية: أن الرئيس التونسي زين العابدين بن علي أو القذافي دكتاتوريين، بينما هناك عائلات تحكم دول الخليج منذ القرن التاسع عشر، وتقوم كاميرات ومراسلين هذا الخطاب بالتجوال في إرجاء المعمورة بينما لا يسمح لها بالتجوال في قصور هؤلاء الحكام وتصويرهم، فتجد أن الأب هو الأمير ونجله هو نائبه ونجله الآخر وزير الدفاع، أو قريبه وزير الخارجية ورئيس الوزراء يحكم منذ ٢٢ عاماً، لا يعقل، فإما أن تتطرق الوسيلة الإعلامية إلى كلا النظامين أو فلا، فكلا النظامين دكتاتوريين، وصلا إلى الحكم بطريقة الوراثة أو الانقلاب، وليس بطريقة ديمقراطية مباشرة من الشعب، وإنما بطريقة انقلاب الابن علي الأب، صحيح أن الرئيس المصري المخلوع حسني مبارك دكتاتور، ولكن يوجد أيضاً حكام دكتوريون، ولكن الماكينات الإعلامية العربية تحجب عيوننا عنهم، فهي تشعل حريقاً تحت بعضهم، وتدعي أنها «تنقل» الحدث ولا «تصنعه»، وصحيح أيضاً أن مبارك لا يحترم الرأي

الآخر، ولكن أيضاً «الحكام الجدد» الأصوليون «الدينيون» ينفون الرأي الآخر، لأن «خطابهم الديني» لا يقبل الرأي الآخر.

الاعتقاد بأن هناك نظام عائلي أفضل من الآخر، غير صحيح على الإطلاق، لسبب بسيط وهو: أن الماكينات الإعلامية الضخمة التي يملكها هذا النظام دون غيره عملت على شيطنة النظام الآخر، فالخبر المتعلق بسوريا يستمر ٤٥ دقيقة على قناة الجزيرة (١٩ . ١٠ . ٢٠١٢، الساعة ١٢ ظهراً) والخبر المتعلق بالبحرين (١٥) ثانية بالتحديد، ففي الأساس، أن النظامين دكتاتوريين، إستلما الحكم وراثياً، في ظل غياب دستور وقانون في البلد، ولا انتخابات صندوق انتخاب حقيقي، لا يوجد حقوق إنسان أو امرأة أو حيوان أو بيئة أو طفل، لا يوجد برلمان ونقابات عمال أو اتحادات نسوية.

يحتوي هذا الكتاب على سبعة فصول، فالفصل الأول يحتوي على مقدمة الكتاب.

بينما يحتوي الفصل الثاني على المحاولة التي قام بها مفكرين عرب منذ نهاية القرن التاسع عشر، لبناء الإنسان العربي، وكيف فشل المفكرون في ذلك فشلاً ذريعاً، حيث يحتوي الفصل على الاغتراب الذي يعيشه الإنسان العربي، وعلى البعد الكبير بينه وبين تأسيس فلسفة تنويرية من قبل مفكرين عباقرة، حيث يشير الفصل إلى حاجة الوطن العربي إلى مفكر عفيف من طراز مثلاً هيغل<sup>٢٣</sup>، كما سنتطرق في الفصل أيضاً إلى الثقافات التي ساهمت في تكوين الشخصية العربية، وأدت إلى تشكيل ثقافته الحالية بهذا الشكل، وكيف تحولت القيمة المركزية عند الفلسفة اليونانية القديمة ألا وهي «قيمة السعادة» إلى «قيمة الدين» عند المفكرين المسلمين الذين ترجموها إلى العربية في الأندلس.

في الفصل الثالث سوف نتطرق إلى المفكرين العرب أنفسهم، وخاصة إلى أفكار وكتابات المفكر العربي الكبير المغربي محمد عابد الجابري والمفكر الجزائري محمد أركون، فقد ركز الأول على نقد العقل العربي بينما ركز الثاني على نقد العقل الأرثوذكسي الإسلامي، سوف نتطرق في هذا الفصل إلى أن جزءاً كبيراً جداً من المفكرين العرب لم يكتبوا إلا في التراث الإسلامي، ولم يستطيعوا الخروج من هذه الدائرة. حتى أن أستاذ الفلسفة في جامعة دمشق السورية د. أحمد برقأوي قال «اعتقد جزء كبير من المفكرين العرب أن علة الحاضر تكمن في عدم استجلاب الماضي».

كما سنتطرق إلى تراجع عدد آخر من المفكرين العرب عن آرائهم وعلى رأسهم خالد محمد خالد الذي بدل كتابه من «من هنا نبدأ» إلى «الإسلام دين ودولة» حيث اعتذر عن كتابه الأول وعن أفكاره، سوف نتطرق

أيضاً في هذا الفصل إلى أزمة الفكر العربي الذي يعيش في زمان ومكان معينين دون محاولة الخروج من هذه الدائرة الزمكانية .

وفي الفصل الرابع سوف نتطرق إلى طريقة التعليم في العالم العربي ، فالتعليم العربي التلقيني يركز على الحفظ والبصم ويقدم العلامة والشهادة الكرتونية ، بينما يحدث العكس في الجامعات الأوروبية ، حيث يتم التركيز على كتابة البحث العلمي والقيام بعرض أكاديمي أمام الطلاب والتركز على المعلومات والمشاركة .

وفي الفصل الخامس سوف نركز على الفرق بين الإعلام والخطاب الإعلامي ، وعلى آلية تشكيل الرأي العام العربي ، وكيف تقوم الماكينات الإعلامية بنقل الربيع أو الحريق أو الحراك العربي من منطقة جغرافية إلى أخرى وفقاً لزمان ومكان محددين بينما تقوم نفس تلك الماكينات الإعلامية نفسها بإطفاء هذا الحريق في بقع جغرافية أخرى تحت مبررات وهمية (مثل : نشر مذهب ديني دون آخر) ، وفي الفصل السادس سوف نتطرق إلى معنى النظام العلماني في العقل الجمعي العربي ، وأهمية الدولة كمؤسسة في ترسيخ القوانين ، وهل يمكن أن يتمخض عن «الربيع العربي» دولة مدنية ذات دستور ، وقوانين ، وسلطة قضائية عادلة ، والعلاقة بين الدولة والأصوليات الدينية .

وفي الفصل الأخير سوف نتطرق إلى النتيجة .

بسام عويضة

رام الله - نوفمبر ٢٠١٢

## ٢. الإنسان العربي والفكر

### ١.٢ البحث عن حل / ربيع عربي بدون فكر

منذ نهاية القرن التاسع عشر انتاب المفكرين العرب مسلمين ومسيحيين سؤالٌ مقلقٌ واحدٌ وهو: كيف ننهض؟ ما هو سبب السكون الرهيب الذي يلف الوطن العربي؟ أين تكمن المشكلة؟ وكيف يمكن إحداث هزة في الجدران الصامتة؟

هناك بعض المفكرين المسلمين مثل محمد عبده ورفاعة الطهطاوي وجمال الدين الأفغاني: ركزوا على قضية الإصلاح الديني، بمعنى إجراء مصالحة بين الدين والحداثة أو بين العقل والنقل، في حين ركز ثلثة من المفكرين المسيحيين مثل: شبلي شميل وفرح أنطون ويعقوب صروف على الدخول مباشرة إلى عصر الحداثة، لكن للأسف الشديد انكسرت شوكة الجماعتين السابقتين، وخاصة جماعة الإصلاح الديني التي طالبت بإجراء مصالحة بين الدين والحداثة، بسبب قيام حسن البنا بتأسيس جماعة الإخوان المسلمين في مصر عام ١٩٢٨، ومن ثم قيام سيد قطب بتأليف كتاب «معالم في الطريق» والذي يعتبر دستوراً للأصوليات المتطرفة في العالم العربي، باختصار انكسر الفكر المعتدل على يد حسن البنا كما انكسر فكر ابن رشد على يد الغزالي.

بعد عام ١٩٦٠، ظهر في الوطن العربي، مفكرين وخاصة من المغرب، وبالذات من جامعة محمد الخامس بالرباط، ثلثة من المفكرين<sup>٢٤</sup>، الذين طرّقوا الباب مجدداً، لمعرفة أسباب العلة، وكان على رأسهم عبد الله العروزي ومحمد عابد الجابري اللذين حاولوا الإجابة على أسئلة النهضة وشروطها، ثم قاما بالحفر على تاريخ الإنسان العربي لعلهما يتعرفا بواطن الخلل ويضعوا علاجاً له.

فقد ركز الجابري فيما بعد على أسباب تعطل آلة إنتاج المعرفة، أو ما أسماه «العقل العربي المستقيل» أو «المعطل»، أشار إلى أن العقل العربي نشأ في صحراء الجزيرة العربية، أي في عقلية القبيلة، عقلية نحن، مبيناً أن هذه العقلية تغلبت بحكم منشأها على الفكر الجديد أو العقيدة الجديدة، وأعطى مثلاً على ذلك سقيفة بني ساعدة<sup>٢٥</sup>.

فعندما توفي الرسول - عليه السلام - اجتمع المسلمون (المهاجرون والأنصار) في سقيفة بني ساعدة لاختيار

الخليفة، والرسول ما يزال مسجى ميتاً ولم يدفن بعد، ففي اللحظة التي حاول فيها المهاجرون التحدث حول منصب الخليفة الأول، قال أبو بكر الصديق قولته المشهورة: (منا الأمراء ومنكم الوزراء)، وكأنها عودة مرة أخرى إلى العصبية القبلية، القبيلة هنا تغلبت على الفكر الجديد، وأختفى عنصر الكفاءة.

كلام أبو بكر كان موجهاً ضد جماعة الأنصار بقيادة سعد بن عبادَة الذي طالب بالخلافة لأنه ابن البلد - ابن المدينة المنورة - ومن المعروف أن ابن عبادَة وجد ميتاً فيما بعد في دمشق وكتب السيرة تقول أنه قتل بسهم.

وهناك فريق ثالث ظهر وطالب بالخلافة أيضاً بحكم صلة قرابة الدم وهو علي بن أبي طالب وزوجته فاطمة بنت الرسول.

الخلاف في سقيفة بني ساعدة، لا يعتبر مجرد حدث عابر أو خلاف بسيط في التاريخ الإسلامي، وإنما يشكل دليلاً قاطعاً على غياب وجود نظرية سياسية في الإسلام والتي تعني ثلاثة أسئلة مهمة وهي: كيف ينتخب الحاكم؟ ومدة حكمه؟ واختصاصاته؟ لا توجد إجابة في النص الأول (القرآن) على ذلك، ولكن هناك إجابات في النص الثاني (التفاسير والشروح) والتي يعتبر عددها بعدد الحركات الإسلامية القديمة والمعاصرة وبالتالي من الصعب جداً الاتفاق على إجابة واحدة.

في نهاية مشواره الفكري، يتوصل الجابري إلى المطلوب، فيقول «وهذه بالتحديد مهام الفكر العربي، تحويل القبيلة إلى مجتمع مدني والغنيمة إلى اقتصاد والعقيدة إلى مجرد رأي».<sup>٢١</sup>

للأسف الشديد رحل الجابري<sup>٢٢</sup> هنا دون أن يكمل مشواره أو مشروعه الكبير (حسب اعتقادي).

أثناء ذلك، ظهر فريق آخر، ربما يكون مكماً لمشوار محمد عبده وجمال الدين الأفغاني، وكان على رأسهم المفكر الجزائري محمد أركون وهاشم صالح ونصر حامد أبو زيد<sup>٢٣</sup>، الذين طالبوا بإجراء مصالحة بين الدين والفلسفة أو بين الدين والحداثة وطالبوا بتحرير النص الأول من الثاني لأن التفاسير والشروح هي تعبير عن فهم المفسر للقرآن<sup>٢٤</sup> حسب لغته وثقافته ومنطقته وقالوا: إذا حصل تناقض بين العلم والنص الديني، فينبغي تأويل النص المقدس، وإن القرآن مثلاً يحتوى على قصص قرآنية، هي عبارة عن مجازات تصويرية استخدمها لمخاطبة الناس في تلك الأزمنة، كما عمل ابن رشد في الأندلس<sup>٢٥</sup>.

هؤلاء قالوا أن هناك فرقاً كبيراً بين الدين والخطاب الديني، فالدين هو مشروع إيماني، ولا بد من تأويل النص

الأول، لكي يكون صالح في كل زمان ومكان، بينما الخطاب الديني، هو تفاسير وشروح النص الأول من قبل رجال الدين، لكنها تحولت بحكم العامل التاريخي إلى مقدسات، لا يمكن فصلها عن النص الأول، وكأنها جزء تأسيلي من الدين، كما أن رجال الدين يزعمون بأن القوانين الدينية - الشريعة - صالحة لكل زمان ومكان<sup>٣١</sup>، وهنا تكمن المشكلة بحسب هذا الفريق الذي يعتقد جازماً أن أوروبا لم تتطور إلا عندما فسرت الإنجيل<sup>٣٢</sup> تفسيراً يتمشى والعصر<sup>٣٣</sup> من هنا يأتي إصرار أركون على القيام بتفكيك جذري للماضي، «فماضي أي طائفة أو أمة من أجل فهمه وتقويمه لا بد من التخلي عن ما لم يعد مفيداً، والاحتفاظ بكل ما هو إيجابي ويسهم في البناء الجديد»<sup>٣٤</sup>.

في اعتقادي أن المشروعين لم يكتملا، وقد تعرض لهما المفكر اللبناني علي حرب بالتفصيل الممل عبر كتابه الشهير «نقد النص».

كلا التصوران لم يطرحا مخرجاً للأزمة أو الأزمات التي عصفت وتعصف بالجزء الجغرافيا العربية، لقد بقيت تلك الجغرافيا تعيش بدون فلسفة حقيقية وفكر أصيل، بل انكسرت -للأسف الشديد- الإرهاصات الفكرية الوليدة في الوطن العربي على يد الأصوليات العربية، ومر العالم العربي بالعديد من الأزمات السياسية والاقتصادية الخائفة، إلى أن إندلعت شرارة ثورة الياسمين في تونس، فقد استبشر الجميع بالخير، ووصفوا عام ٢٠١١، بعام الخير والبركات. هذه الثورة إندلعت بحكم الضغط والقمع والاستبداد السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي، فأطاحت بالرئيس التونسي زين العابدين بن علي وهرب مع زوجته إلى العربية السعودية، بعد ذلك تشجع المواطن العربي فانتقلت عدوى ثورة الياسمين إلى مصر ومن هناك إلى اليمن وليبيا، حتى اللحظة كان هناك إجماع من النخب الثقافية والرأي العام العربي أن كل شيء يسير على الطريق الصحيح، وأن الأمور بخير، بعد ذلك انتقلت العدوى إلى البحرين وعمان، هنا، هنا بالتحديد بيت القصيد. فور انتقال الثورات إلى منطقة الخليج العربي، تلاقت مصالح بعض الدول الخليجية مثل قطر والسعودية مع بعض الدول الغربية كالولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا، فالأولى تريد إطفاء الحريق في المناطق المجاورة لها، والغرب يريد ترتيب الأوراق وفق أجندة سياسية حتى لا تخرج الأمور عن السيطرة، لهذا تلاقت المصالح السياسية مع بعضها البعض - لاحظ هنا أن الفترة الزمنية المماثلة التي مرت بها أوروبا لم تجد دول تتآمر عليها وترتب أوراقها وفق أجندة معينة، لان تشكيل النظام السياسي العالمي كان مختلفاً آنذاك - ترتيب الأوراق هذه يحتاج إلى أدوات منها: خطاب إعلامي ميسس، يقوده أصوليات دينية، عبر ماكينات إعلامية جبارة، تموله أنظمه قبلية، ويوفر الغرب لذلك الدعم اللوجستي.

يعني: التطور الأوروبي استمر من القرن الخامس عشر وحتى التاسع عشر، عن طريق فلاسفة ومفكرين

عظماء، صاغوا أفكاراً جديدة للعقل الجمعي، لم تقابله خطط وأجندات سياسية، هذا أنتج فكراً، والفكر أنتج إنساناً والإنسان أنتج أخلاقاً وعلماً ومؤسسةً ونظاماً ديمقراطياً وإعلامياً.

في المقابل عندنا، منيت الإرهاصات الفكرية التي بدأت في القرن التاسع عشر، بفشل ذريع في نهاية القرن العشرين، حيث انتصرت الأصوليات الدينية، وعندما انفجر الشارع العربي، تنبعت لذلك مدارس التفكير في الغرب، وأجهزة المخابرات، وحولت الثورات إلى حريق، تشتعل في مكان، دون آخر، بفعل ماكينات ضخمة، تنتج خطاباً تعبويًا، ذو صبغة أصولية، لتنفيذ أجندات سياسية، وهكذا فشل الحل في الوطن العربي، وفشل الربيع العربي، وانتصرت الأصوليات، مرة أخرى، وكل ذلك، بسبب غياب مفكرين و«فلاسفة» عرب من العيار الثقيل، ولهذا لن ينتج عن الربيع العربي إنسان أو أخلاق أو مؤسسة أو إعلام أو دولة عصرية حقيقية.

## ٢. ٢ الإنسان العربي والاعتراب الذاتي

مشكلة الإنسان العربي أنه مسحوق من الداخل، ويعاني من اغتراب ذاتي واضطراب نفسي، جعله يفقد الهدف الذي من أجله وجد على هذه الحياة وعلى هذه الأرض، بحكم ذوبانه في سياق «نحن» ذات المفهوم القبلي، لكن ما هو الاعتراب: الاعتراب الذاتي يعني أن الإنسان العربي يشعر أنه رقم مقهور، لا حول له ولا قوة، مسحوق في سياق الجماعة والقبيلة، عبد مأمور، واجبه السمع والطاعة، التمرد ممنوع<sup>٣٥</sup>.

ولكني أيضاً أعرف أن هناك مؤامرة أو خططاً سياسية غربية تتطور باستمرار في معاهد التفكير تزيد من حدة هذا الاعتراب الذاتي، مؤامرة محكمة لبقاء الوضع الراهن على ما هو عليه، وحتى لو حصل تغيير فإن التغيير يجب أن يبقى في رأس الهرم، ويعالج قضايا داخلية ثانوية، دون السماح بإجراء نهضة فكرية تنويرية اقتصادية وسياسية واجتماعية شاملة، لأسباب عدة منها وجود إسرائيل ونفط الخليج والثروات الطبيعية والموقع الاستراتيجي للوطن العربي<sup>٣٦</sup>.

باختصار: الإنسان العربي، كفرد، مقموع من الداخل، يشعر باغتراب ذاتي، مسحوق، لا حول له ولا قوة، يشعر أنه رقم في إطار الجماعة، جماعة القبيلة، عليه أن يبقى ساكناً، هناك النظام الذي يقرر ويصنع الفعل والحدث، وواجبه السمع والطاعة بدون نقاش، «والدار الآخرة خير وأبقى»، وهذه المفاهيم البدائية يغذيها الموروث الشعبي ومنها الامثال: «امشي الحيط الحيط وقول يا رب السترة، المكتوب ما منه هروب، حط راسك بين الروس وقول يا قطاع الروس».

من واجب المفكرين والمثقفين والكتّاب العرب أن يحشدوا ويحرضوا على تحرير الإنسان العربي من الداخل بالتزامن مع تحرير الوطن العربي، من واجب المفكرين العرب أن يسعوا حثيثي الخطى لتبديل العلاقات الاجتماعية من جذورها في المجتمع العربي الذي ما يزال يعيش في بعض التجمعات عصر العبيد والفراعة والبداءة والصحراء، وتبديل هذه العلاقات يتم عن طريق التربية الجذرية ونشر التعليم والثقافة والديمقراطية. المفكرون والفلاسفة هم المسؤولون عن تحريض الإنسان العربي على التمرد والتقدم والتجديد والحدأة والتعليم والتغيير والإبداع والتحول والبحث في الذات والإرادة والتصميم والعزيمة، هم المسؤولون أيضاً عن نشر ثقافة التغيير والتمرد في ذهنية ونفسية الإنسان العربي، كي لا يبقى رقماً في جماعة القبيلة والمجتمع الأبوي الإقطاعي، فهو إنسان ومن حقه أن لا يُحكم كما يُحكم القطيع والعبيد. <sup>٣٧</sup>

بالمقابل، تجربة الإنسان في كل من ألمانيا واليابان خير دليل على إرادة الإنسان وعزيمته، فهو يستطيع بالتخطيط والعقل والتفكير والمراجعة الذاتية واحترام الكفاءة تحقيق المستحيل، لكن السؤال، ما هو هذا الشيء الموجود في العقل الجمعي العربي الذي يحول دون تحرر الإنسان العربي من الداخل ويعطل إرادته؟ هل هو الخطاب الديني الذي رسخ في العقل العربي أن الآخرة أفضل من الدنيا؟ لماذا يشعر الإنسان العربي بالاغتراب دوماً؟.

فقد مرت اليابان بتجربة مريرة أثناء الحرب العالمية الثانية، ودُمرت فيها أجزاء كبيرة، كما أُلقيت عليها قنبلتان ذريتان على هورشيما وناكازاكي، حصدت آلاف الأرواح، والآن بعد ستين عاماً، ها هي اليابان تترجع على عرش قائمة الدول التي توفر الرفاهية لسكانها، ويتميز شعبها بالنشاط والإنتاج، حتى أن طالباً يابانياً في جامعة برلين التقنية في ألمانيا، وصف الشعب الألماني: بأنه شعب كسول. إذا كان الألمان شعب كسول في نظر الياباني، فماذا تكون الأمة العربية في نظر هذا الياباني؟ مع التنويه بأن هذا الطالب الياباني يدرس تخصص فلسفة الآلة، هذا التخصص لن يصل إليه في الجامعات العربية بعد خمسمائة عام.

أما التجربة الثانية، فهي التجربة الألمانية، فقد خسر الألمان أثناء ثورة الإصلاح الديني - التي قادها مارتن لوتر - حوالي ١٠ مليون، كما خسر أثناء الحرب الأهلية ١٥ مليون، كما تسبب في مقتل أكثر من ١٠٠ مليون قتيل أثناء الحربين العالميتين الأولى والثانية.

وعقب الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥، تم تقسيم ألمانيا بين المعسكر الغربي بقيادة الولايات المتحدة وأمريكا وفرنسا، وبين المعسكر الشرقي بقيادة الاتحاد السوفيتي سابقاً، إلا أنه وبعد مرور ستين عاماً، تمكن الألمان من طرد المعسكرين، وتوحيد شطري البلاد، وتحقيق المعجزة الاقتصادية وتأسيس دولة العدالة الاجتماعية والقانون، بل غدت ألمانيا قلب أوروبا الاقتصادي وزعيمة الاتحاد الأوروبي بلا منازع، بل أصبحت أفضل

دبابة على وجه الكرة الأرضية هي الدبابة الألمانية «ليوبارد ٢» وتعني الفهد باللغة العربية.

كل ذلك تحقق بفضل إرادة الفرد الألماني، الذي لا يشعر باغتراب ذاتي، أو بقهر سياسي أو اقتصادي أو نفسي، الألماني عبارة عن آلة جبارة، تكدح ليلاً نهاراً، لا تمل ولا تكل، يشبه البنزين، الذي يشتعل من القدحة الأولى، لا يهدأ ولا ينام، لا يعرف إلا عقلية البناء والتطور.

لا توجد أمة في العالم تحترم الوقت والنظام والبيئة والنظافة والأخلاق والقانون والتداول السلمي للسلطة مثل الأمة الألمانية، في ألمانيا رأي عام ظاهر وآخر كامن، أمة تركز على الكيفية وليس على الكمية، فعدد سكان ألمانيا يبلغ اليوم ٢٠١٢، حوالي ٨٣ مليون شخص، بينما سيصبح عددهم خلال الخمسين عاماً المقبلة ما بين ٦٥ - ٧٠ مليون شخص. طبعاً، للألمان مساوئ أيضاً، مثل تأييدهم المخزي للجرائم البشعة التي يقترفها الاحتلال الإسرائيلي البشع في فلسطين، ولكن هذا موضوع آخر.

والآن، السؤال، الذي بحجم السماء والأرض، ما هو الفرق بين الإنسان العربي والإنسان الألماني أو الياباني؟

لماذا يشعر العربي بالاغتراب، بينما لا يشعر الألماني بذلك؟ ما هو السبب، فكلانا بشر؟ ما هو السبب الذي جعل الألماني يصنع سيارة المرسيدس ذات الماركة العريقة، بينما ما يزال الإنسان العربي في دول الخليج يعتمد على الشركات الأمريكية من أجل التنقيب على النفط، لماذا توجد دولة مثل فرنسا، ودولة أخرى مثل السودان، لماذا لا يوجد لدينا معاهد تفكير ومدارس للتخطيط، من المسؤول عن ذلك؟ النظام السياسي أو الغرب أو الخطاب الديني أو النظام الأبوي أو الإعلام أو التعليم أو الاغتراب الذاتي أو البطالة أو الأمية أو الفقر . . .

تشعر أحياناً أن الإنسان العربي أو المسلم يعيش حياتين: الأولى وهي الدنيا، يعتبرها، محطة زمنية مؤقتة سرعان ما تزول، وهدفه منها التعبد والذهاب إلى المسجد والصوم والحنين إلى الماضي<sup>٣٨</sup>، وكأن الدنيا ممر لدار المقر - كما يقولون وهي اليوم الآخر -، بعكس المواطن الأوروبي الذي يعتبر أنه يعيش حياة واحدة، عليه أن يبدع فيها، ويخترع، ويخطط، ويعمل بجد وإخلاص وفناء وأخلاق وضمير.

## ٢ . ٣ الإنسان العربي وفلسفة التنوير (نقد النظرية المؤسسة وسلطة الزمن المتخيل)

ما نقصده هنا بفلسفة التنوير (الوعي الخلاق)، والنظرية المؤسسة (النص الثاني أو الخطاب الديني)<sup>٣٩</sup> وسلطة الزمن المتخيل (العصر الذهبي)، لكن السؤال: لماذا قدس الإنسان العربي التراث حتى تحول إلى سلطة؟

قلنا سابقاً، أننا مع الرأي الذي يقول: أن العقل العربي متعصب لقبيلته، لـ (نحن<sup>١٠</sup>)، وعندما ظهرت الأيدولوجيا الدينية/ الفكر الجديد، اصطدمت مع العقل الذي رعى مشروع هذه الأيدولوجيا، لأنه حن إلى أصله، أي: إلى قبيلته، ومع مرور الزمن، وبفعل فشل الدخول إلى عصر الحداثة، حن إلى زمن متخيل، واقتطع زمن في الزمن، لأنه اعتقد أن العودة إلى العصر الذهبي، أو إلى هذا المربع الزمني، سوف يجد له الحلول السحرية لعلل الحاضر، ومن هنا أصبح التراث مقدساً، برتبة سلطة، نقصد هنا بمعنى زمن في الزمن، أي أن العرب والمسلمين في الوقت الحاضر، ينتابهم الحنين والشوق إلى العيش في العصر الذهبي (عصر الخلفاء الراشدين) بمعنى أنهم كونوا لأنفسهم زمناً خاصاً بهم في الزمن العادي، لكن ليس صحيحاً أن الزمن الذي أعقب عصر الرسول كان وردياً، كما كانت تصوره الكتب المدرسية لنا أو كتب الأصوليات. هناك فرق كبير بين النص الديني (القرآن)، وبين الذين عايشوا هذا النص، فالإنسان يخطئ في كل زمان ومكان، وما ينتج عنه أحياناً، لا علاقة له بالنص، بل هو خطاب ديني، وإلا كيف يمكن تفسير معركة الجمل بين علي بن أبي طالب وزوجة الرسول عائشة التي سقط فيها (٢٥ الف قتيل)؟، كيف يمكن تفسير النزاع الشرس بين الأمويين والعباسيين، والذي انتهى بذبح الأمويين؟، وهروب القسم المتبقي منهم وعلى رأسهم عبد الرحمن الداخل إلى إخوانه البربر في المغرب، ومن هناك قرر الذهاب إلى الأندلس.

قوة هذا التراث الذي وصل إلى رتبة مقدسة، حصلت بقوة عقل قبلي يعيش في إطار النحن (القبيلة)، لا يعرف كلمة (أنا) أو (الأنا)، بالتالي فهو يقدس كل شيء صادر من النحن (من الشيخ ورجل الدين وقرارات القبيلة بما فيها قرارات المعارك و«الأيام» والحرب والسلام، مشكلة الجابري هنا، أنه لم يخط خارطة طريق، أو مشروع نهضة، بل طالب فقط بتحويل القبيلة إلى مجتمع مدني، دون أن يذكر كيف؟، وبدلاً من ذلك، عاد الماضي، فكتب في ترتيب القرآن، معتقداً أن ترتيبه، سيساعد على فهمه، ويطور باب الاجتهاد، لأن ترتيب السور، يعني أن هناك أسباب النزول، فكل آية، بحسب الجابري، نزلت في مكان معين، وزمن معين، وبمناسبة معينة، فكيف يمكن إذن تطبيق بعض الآيات على زمن بعد مرور ١٥٠٠ عام؟!

أما المفكر الجزائري الفرنسي المخضرم، محمد أركون، فقد دعا إلى تحرير النص الأول من النص الثاني، فالنص الأول مقدس، لأنه من عند الله، بينما النص الثاني، الذي أصبح مقدساً أيضاً، هي عبارة عن تفاسير وشروح رجال الدين للنص الأول، لهذا لا بد من فكفة النص الثاني، الخطاب الديني، وإعادة تفسير النص الأول، تفسيراً تأويلياً، لكن السؤال أيضاً، هل سيقود هذا العرب إلى عصر الحداثة، سوف يجد الأستاذ أركون عدداً من رجال الدين الذين يدعون «أنه لا اجتهاد في وجود نص»، فالتشريعات التي تحتوي على نصوص، لا يجوز تأويلها، أو تغييرها بحسب الزمان والمكان، كما يقول رجال الدين هؤلاء، ونحن نضيف: هل تجميل النص وإلباسه طربوش التنوير، كما يطالب دوماً المفكر السوري المبدع هاشم صالح سيدخلنا في عصر القانون

والدولة المدنية، كيف يمكن تأويل النصوص الواضحة في القرآن مثل الزواج من اربعة نساء وشهادة امرأتين برجل أو مبدأ القوامة أو الميراث، للرجل مثل حظ الإثنتين؟.

لقد حاول هنا محمد أركون وهاشم صالح ونصر حامد أبو زيد<sup>٤١</sup> تجديد النظرية المؤسسة، وإعادة سلطة الزمن المتخيل، عبر سلطة تأويلية جديدة، التأويل يعني هنا إجراء عملية تصالح بين النص والحدثة<sup>٤٢</sup>، أو بين العقل والشريعة أو بين الدين والفلسفة، إنه نوع من الإحتيال على رجال الدين أو حتى على الدين نفسه، هذا على صعيد المضمون والمحتوى.<sup>٤٣</sup>

أن نقول إن تأويل (النظرية) المؤسسة، لا يمكن أن ينتج فكراً، لهذا نستطيع القول أنه لن تقوم للعرب قائمة، ولن تحمل لهم مشكلة إلا ببناء إنسان عربي جديد (تفجير الأنا) وهذا ما وصل إليه المفكر الفلسطيني من سوريا د. أحمد برقأوي، الذي يقول: (أنا شخص أفكر، ولست صاحب مشروع، مهمتي أن اخلق وعياً بأن الناس قطع، في سياق الأنا، وأريد دفعهم إلى التمرد، عبر دفع ثمن للتاريخ، لكي يصنعوا تاريخ)“.

ولكن لدي هنا ملحوظة، وهي: أن المفكرين الثلاثة<sup>٤٤</sup> لم يخطئوا وإنما شكلت تفسيراتهم جزءاً كبيراً من تفسير الواقع دون وضع حل له، أو خارطة طريق، أو خطة نهضوية للدخول في عصر المؤسسة، وبناء إنسان يفكر بمنطق (الأنا)، وليس بمنطق نحن، ويتحدى الثوابت التي زرعتها العقل الجمعي.<sup>٤٥</sup>

لأن الفكر يخلق الأنا، وهو الذي يفجر طاقة الإنسان، الوعي، الذات، البذرة، يشتغل جهاز الإرسال والاستقبال عند الإنسان، يزرع التمرد والإرادة في النفس، والصدق والشعور بالذات والاكتشاف والاختراع والبحث العلمي والعمل والنظام والنظافة والترتيب واحترام الوقت، أما القبيلة فتخلق النحن، و«النحن» تعلم الطاعة والقهر والكبت الجنسي والمشي مع القطيع والانسحاق الذاتي والتلقين وصحن الطبخ والهزيمة.

## ٢ . ٤ حاجة الوطن العربي إلى مفكرين

يجب أن ننتبه إلى نقطة مهمة، وهي أنه بدون بناء إنسان حقيقي وصناعة فكر، لن تقوم للعرب قائمة، والفكر يصنعه المفكرون، لكن ليس أي فكر، فكر أصيل، ومثالنا على ذلك، أن ألمانيا تحولت إلى ساحة من الركام غداة الحرب العالمية الثانية، لكن كان هناك فكر في البلد، فقد هدم الحجر، وقتلت أعداد كبيرة من الناس، ألا أن المؤسسة والفكرة موجودتان<sup>٤٦</sup>.

ونحن كذلك، نحتاج إلى إنسان مفكر (يفسر ويشرح) / أو فيلسوف (ينتج تفكير أصيل حدثي من ترابنا)، نحتاج الآن/ في الوقت الحاضر إلى صناعة إنسان، يكفينا كتابة في التراث/ الماضي/ العصر الذهبي، كما أننا غير جاهزين بعد للديمقراطية، فنحن في عصر ما بعد التراث، وما قبل الديمقراطية، عصر إخراج (الآنا) من (النحن)، وكل هذا لا يتم إلا بأيدي مفكرين عظماء.

وهنا تأتي مهمة المفكرين والفلاسفة وطبقة النخب، نحن نحتاج إلى صنف عنيف فكرياً من أمثال محمد عابد الجابري الذي كتب عن العقل العربي، أو مثل الكاتب المصري الكبير سلامة موسى الذي كان أول من أدخل كلمة (ثقافة) إلى العالم العربي، وكتب عن الشخصية العربية وعن التربية وعن الإنسان السوبرمان وعن نظرية التطور واصل الأنواع، بحاجة إلى شعراء مثل احمد فؤاد نجم الشاعر المصري الكبير.

الوطن العربي لا يحتاج إلى خطاب ديني يرعاه رجال دين لا هم له سوى مساعدة النظام السياسي، الذين يدعون الله لهداية الحكام كل يوم جمعة، ولا يثورون بحجة استقرار الأمة، لو كانوا يؤمنون بالجنة، كما يزعمون، لكانوا أول من ذهب إلى السجون بأنفسهم حتى يستشهدون في سبيل الله، ويذهبون إلى جنة عرضها السموات والأرض، عملاً بالحدِيث النبوي (أعظم الجهاد كلمة حق إمام سلطان جائر)، لا يثورون عملاً بمقولة ابن تيمية: الخوف على استقرار الأمة. أي استقرار؟ هل إدارة القبيلة مثل المزرعة استقرار؟ هل عدم وجود وزارة مالية في القبيلة استقرار؟ هذا خطاب ديني وليس نصاً دينياً.

المثقفون والمفكرون العرب يتحملون المسؤولية، لأنه لا يوجد فكر أصيل يقتحم الخطوط الحمراء ويتحدى الفكر العربي المأزوم، فكيف يمكن له أن يشكل طوق النجاة؟ المثقفون العرب لم يكتبوا في القضايا المباشرة التي تهم المواطن العربي، فمنهم من يكتب ليل نهار في التراث، ومنهم من كتب عن الذين كتبوا في التراث، ومنهم من يكتب باللغة الفرنسية والانجليزية، يكتبون عن معركة الجمل للفرنسيين، ومنهم من خرج بعد كل هذا التعب وقال لنا: (أن الفتنة لم تكن آثمة، فقد تأول الصحابة فأخطأوا)، ومنهم من يكتب بلغة صعبة جداً، لا يمكن أن يفهمها للمواطن العادي، ومنهم من كتب عن قضايا العصر، ولكن بلغة ايدولوجية، ومن هؤلاء الكاتب د. سمير أمين فقد كتب عن الأزمات التي تواجه المجتمع العربي مثل العولمة والمؤسسات النقدية الدولية مثل صندوق النقد الدولي وأزمة التنمية في الوطن العربي ومفهوم القومية ولكن للأسف كتب بمفهوم ماركسي وليس بمفهوم البحث العلمي.<sup>٤٨</sup>

ولكن علينا أن لا ننسى، أن هناك أيضاً مفكرين عظماء قدموا إسهامات كبيرة في الفكر العربي المعاصر، مثل المفكر المغربي الكبير الجابري الذي حفر ابستمولوجياً عن العطب الذي أصاب العقل العربي، والتصادم الذي حصل فيما بعد مع الفكر الجديد/ الدين، وكيف انتصر الأول على الثاني، وأكبر مثال على ذلك سقيفة بني ساعدة، بينما حفر

المفكر محمد أركون اركيولوجيا، وحاول تحرير النص الأول من النص الثاني، النص الثاني الذي ما يزال مسيطراً على التفكير العربي منذ ١٥٠٠ عاماً، وأضحى معيقاً للدخول في عصر الحداثة، كما دخله الآخر .

## ٥ . ٢ موقف الغرب من التغيير في الوطن العربي

الغرب المتنور/ والمجرم أحياناً يعيق عملية التغيير في العالم العربي عن قصد، حتى أنه يعيق التطور الطبيعي عندنا، والسبب الرئيس هو وجود إسرائيل، يعتقد الغربيون أن تطور الوطن العربي علمياً وتكنولوجياً وعسكرياً وثقافياً وسياسياً واقتصادياً سوف يعود بالويل على وجود إسرائيل، كدولة، وسوف يعرض هذا الكيان إلى الخطر، لهذا فإن مدارس ومعاهد التفكير الغربية، تسعى ليل نهار، وبكل قوة، إلى وضع الخطط، لكي يبقى الوطن العربي مقسماً، مفتتاً، متخلفاً، متناحراً، حتى لا يفكر العرب يوماً، بهذا الأمر .

فغداة انطلاق التونسيين إلى الشوارع للمطالبة بحقوقهم، وهروب الرئيس التونسي زين العابدين بن علي إلى العربية السعودية، وانتقال الأحداث إلى مصر وليبيا واليمن، تدخلت أجهزة المخابرات الغربية، لترتيب الأوراق وفق مصالحها، سارع الرئيس الفرنسي السابق نيكولاي ساركوزي لتدمير نظام القذافي، الذي كانت تربطه به علاقات وثيقة، وكذلك فعلت بريطانيا، التي نسيت أن رئيس وزراء بريطانيا الأسبق طوني بلير كان يعمل مستشاراً لدى العقيد القذافي .

وهذا الأمر لا ينطبق على زمننا الحاضر فقط، فقد كانت علاقات شاة إيران مع الغرب قبل عام ١٩٧٩ قوية جداً، وخاصة مع فرنسا، لكن، كيف وصل الخميني إلى طهران، أليس على متن طائرة «فرانس إير» الفرنسية؟ ولا حظ اليوم أن فرنسا تقوم بفرض عقوبات اقتصادية على طهران بالتعاون مع واشنطن وبرلين ولندن .

من الذي يغذي الصراعات الداخلية في الوطن العربي؟، ألم يقيم الغرب بتمويل الحرب العراقية الإيرانية التي استمرت ثماني سنوات وحصدت أكثر من مليوني قتيل بالسلاح؟، ألم يعط الغرب الضوء الأخضر للرئيس العراقي السابق صدام حسين لضرب منطقة حلبجة الكردية بالغازات السامة مثل غاز الخردل؟، ألم يقيم الغرب بتقسيم الوطن العربي بالمسطرة كما تقسم الكعكة بين المحتفلين كما حدث في اتفاقية سايكس بيكو بين بريطانيا وفرنسا ١٩١٦، وأدخل قرى لبنانية شيعية في فلسطين وسوريا؟ .

الغرب هو الذي دعم الإسلام السياسي في أفغانستان مثل ظاهرة القاعدة التي من مؤسسها عبد الله عزام، ومددها بالسلاح والمال والعتاد والإعلام لمحاربة الاتحاد السوفيتي سابقاً وكان يصف المقاتلين آنذاك بالمجاهدين

كما يقول عنهم اليوم في سوريا، الغرب لا يفهم لغة اسمها الأخلاق على الصعيد الخارجي، فهو لا يفهم سوى لغة المصالح وما حقوق الإنسان والديمقراطية وحقوق المرأة سوى شعارات مزيفة للتدخل في الشؤون الداخلية للوطن العبي وهي ركائز القوة الناعمة .

لو كان الغرب فعلاً يحترم حقوق الإنسان لما ساعد إسرائيل على تشريد ٦ مليون فلسطيني واضطراهم للعيش تحت ألواح الصفيح في المخيمات الفلسطينية منذ ٦٠ عاماً، وعدم حل القضية الفلسطينية حلاً عادلاً يعتبر وصمة عار في جبين الغرب وخاصة أوروبا .

ولكن على الرغم من كل ذلك، فإن الغرب لن يستطيع أن يوقف عجلة الزمن أو مكر التاريخ، كما يقول هيجل، عجلة التاريخ لا تتوقف، أي أن حركة التاريخ تتغير باستمرار، فحال الشعوب مع بعضها البعض مثل حال الأفراد داخل الأمم على حد تعبير الفيلسوف الألماني «إيمانويل كانط»<sup>٩٠</sup> .

عقارب الزمن لا تقف عند حدود معينة، فلا شيء في التاريخ اسمه نهاية التاريخ كما ادعى فرنسيس فوكوياما<sup>٩١</sup>، وكل ما يفعله الغرب الذي يدعم الظلم والقهر والكبت في عالمنا العربي أن يبطن من تسارع عجلة التاريخ، لكن لن يوقف عجلة التاريخ .

لا يوجد على مر العصور امبراطورية واحدة عاشت إلى ما لا نهاية . فالدول تموت كما يموت الإنسان والشجر واللغات والعادات والتقاليد والقيم والأفكار والقوانين أيضاً، وهذه القراءة العلمية تنطبق على النظام الرأسمالي، صحيح إن الغربيين يتطورون بشكل مخيف عبر خطوات تسارعية مذهلة فالسنة عندهم تعادل ٥٠ سنة عندنا، فقد انتقلوا من عصر الحداثة إلى عصر ما بعد الحداثة، ولكن هذا لا يعني أن التخلف تزوجنا زواجاً كاثوليكيّاً، هذا الكلام غير علمي .

هذا لا يعفي الأمة العربية من البحث باستمرار، ليل نهار دون كلل أو ملل عن أسباب الخلل ومواجهته كل حسب طاقته، والبداية تكمن في صناعة إنسان عربي جديد .

كل ما يقوم به الغرب حالياً عندنا هو محاولة تأجيل الانفجار عن طريق ترسيخ الاستقرار، ولكنهم لن يستطيعوا ولن ينجحوا، لن يستطيعوا الوقوف أمام عجلة التاريخ، ونحن لا نكتب ذلك لبث التفاؤل بين الناس بقدر ما هي قراءة علمية للتاريخ ولفلسفة التاريخ كما تحدث عنها ابن خلدون في مقدمته الشهيرة .

لكن السؤال الكبير: هل الغرب منتبه إلى إمكانية أن يحدث تحول في عجلة التاريخ، وأن تنتقل بوصلة الحداثة والتنوير من منطقة إلى مناطق أخرى؟ بالتأكيد نعم، ولهذا تسعى الرأسمالية الغربية الحالية بكل قوتها جاهدة لتثبيت الاستقرار في الوطن العربي، أو لنقل الحريق من منطقة دون أخرى، كما سنثبت ذلك في فصل الخطاب الإعلامي وهذا من مهمة الماكينات الإعلامية في الوقت الحاضر.

وللأسف الشديد فقد ساعدت جماعات الإسلام السياسي بقصد أو بدونه، على تبرع النظام الأمريكي المتوحش على النظام السياسي الدولي، بمساعدتها في هزيمة الاتحاد السوفيتي سابقاً في أفغانستان، فقد انطلت عليهم حيلة «الشيوعيون الكفار» ولكن لو فكرت الأصوليات الدينية قليلاً، وبعقلية سياسية وليس دينية لما قدمت هذه المساعدة على طبق من فضة للأميركان، والغريب أحياناً، أنك تسمع بعض الأصوليات الإسلامية وخاصة الإخوان يصرخون ويقولون لك «التوحش الأمريكي»، ناسين أو متناسين، أنهم قدموا لهم خدمة جليلة في يوم من الأيام.

## ٢ . ٦ الوطن العربي بين مكر التاريخ والعرق

ما يميز الفيلسوف الألماني هيغل عن غيره، نقطتين: الأولى، أنه يؤمن بالتطور، بغض النظر عن صاحبه، فقد رفع قبعته للمحتل الفرنسي نابليون بونابرت عندما جاء ليحتل ألمانيا لنشر الثورة الفرنسية، علماً بأن أول قرية احتلها نابليون كانت قرية هيغل، وقد حرق جزءاً من كتبه جراء ذلك، ثانياً، هيغل من الذين يؤمنون بمكر التاريخ، وبأن التاريخ عقلاني، ولا بد أن ينتصر الخير في النهاية، فهو إذن فيلسوف التفاؤل، كما أن هيغل يؤمن بأن الإنسان يتطور باستمرار وبأشكال مختلفة، فصيورة التاريخ تتقدم إلى الأمام، فالتطور قادم لا محالة، والتاريخ يخطو دائماً إلى الأمام حتى لو تراجع بعض الخطوات إلى الخلف في فترة زمنية محددة<sup>١٥</sup>.

المتشائمون يقولون: إن العالم العربي لن يتقدم، وسيبقى هكذا، بل على العكس تماماً، هناك انهيار وليس فقط تراجع، فالأوضاع تتراجع كل يوم في العالم العربي إلى الوراء، فالأوضاع في مصر على سبيل المثال كانت في بداية القرن العشرين أفضل من اليوم (وهذا صحيح فقد شهدت مصر ما بين أعوام ١٩٠٠ - ١٩٥٠ ولادة أفضل مفكراتها وعباقتها)، حتى أن هناك إرهابات نهضوية بدأت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، واليوم اختفت هذه الإرهابات وأصبح مشروع التنوير من مخلفات الماضي.

هذا على صعيد فريق المتفائلين بقيادة هيغل صاحب نظرية «مكر التاريخ»، في المقابل ظهر فريق آخر بقيادة الفيلسوف الألماني المخضرم «شوبنهاور» الذي إدعى ان التاريخ غير عقلاني، وبأن الشر هو الذي ينتصر في نهاية

النهايات، ليس هذا موضوع حديثنا، بل الغريب في الأمر أن هناك فيلسوفاً، عربياً ومسلماً، لم يكن متفائلاً أو متشائماً، بل كان صاحب فكرة غريبة، تشبه إلى حد معين، أفكار نيتشه، والتي تتعلق بنوع العرق، وكأن البشر أنواع يشبهون شجر التين والرمان والزيتون، أنه مؤسس علم الاجتماع المؤرخ العربي ابن خلدون الذي عاش غداة انهيار التواجد العربي الإسلامي في الأندلس حيث قال أن (العرق العربي متوحش)، وكأنه يريد القول أن العرق العربي لا يتطور، كما جاء في مقدمته الشهيرة، والسؤال: هل كان يعني هنا «ثقافة المجتمع»؟ .

فقد كتب يقول:

(إن العرب لا يحصل لهم الملك إلا بصبغة دينية من نبوة، أو ولاية، أو أثر عظيم من الدين على الجملة، بسبب خلق التوحش الذي فيهم، وهم أصعب الأمم انقياداً بعضهم لبعض . . . . العرب إذا تغلبوا على أوطان أسرع إليها الخراب، لأنهم أمة وحشية استحكمت فيهم عوائد التوحش وأسبابه، فصار لهم خلقاً وجبلة، همهم نهب ما عند الناس، ورزقهم في ظلال رماحهم . . . يهدمون الصروح والمباني ليأخذوا حجارتها أنافي القدور ويخربون السقوف ليعمروا بها خيامهم، أنهم أبعد الناس عن العلوم والصناعات)<sup>٢٣</sup>

واضاف يقول:

(العرب يهدمون الصروح والمباني ليأخذوا حجارتها أنافي القدور ويخربون السقوف ليعمروا بها خيامهم، أنهم أبعد الناس عن العلوم والصناعات، أنهم أمة وحشية استحكمت فيهم عوائد التوحش وأسبابه، فصار لهم خلقاً وجبلة، همهم نهب ما عند الناس، ورزقهم في ظلال رماحهم، وعندما تغلبوا وملكوا تقوّض عمرانهم الذي بنوه، وأقفر ساكنه، وعندما اجتاحت عرب بنو هلال وبنو سليم بلاد المغرب خربوها، وكان ذلك في القرن الخامس الهجري).<sup>٢٣</sup>

فالسؤال الذي أطره أمام نفسي: هل الأمة العربية متخلفة كعرق؟ معقول! وإذا كان هذا الكلام غير صحيح، فلماذا قال المؤرخ العربي ابن خلدون هذا الكلام؟ لماذا ربط ابن خلدون بين العرب والوحشية بهذه الصورة؟ ولماذا لم يفرق بين تصرف جماعة معينة أو حزب معين وبين الأمة العربية بأكملها؟ .

المسألة الخطيرة في هذا الموضوع، هي أن الأمة العربية في ذلك الوقت كانت للتو من أكبر الإمبراطوريات في التاريخ فقد سطعت العلوم والفلسفة والطب والترجمة في بغداد ودمشق والأندلس، فتخيل معي لو جاء ابن خلدون اليوم، ماذا عصاه أن يقول عنا؟ بماذا سيصف الأمة العربية؟ .

حسب تقديري الشخصي، أن هيغل أصح من ابن خلدون، فالتاريخ يتقدم نحو الأمام، التاريخ لا يقف عند

حدود معينة، له حركة صفتها «الصبورية» والديمومة، أي انه يتطور باستمرار نحو الأمام حتى لو شعرنا أحياناً عكس ذلك، فكلام ابن خلدون غير صحيح، فنظرية العرق هنا غير صحيحة، لذلك عندي نقطتان: الأولى - أن التغيير في العالم العربي يبدأ من أسفل إلى أعلى، وهذا لا يأتي إلا من خلال ثورة كالثورة الفرنسية، أي أن التغيير يبدأ من القاعدة الشعبية وليس بقلب النظام أو عملية اغتيال وهنا تأتي مهمة المفكرين والمثقفين العرب الذين يجب عليهم دفع الحراك الاجتماعي بقوة، وليس ماكينات إعلامية كما سنبين لاحقاً في فصل الإعلام.

ثانياً، العالم العربي يحتاج إلى تنوير، وهذا الأمر لن يقوده الإسلاميون أو الأصوليون المترمون، فطرد الاستعمار من بلادنا ومحاربة الفساد المستشري والظلم الواقع على الأفراد، وغياب الحريات، والتعليم الحر المستقل، لا يعني بأي حال من الأحوال إعطاء الإسلاميين سدة الحكم، - وأنا أضيف هنا أيضاً - حتى لو عن طريق الانتخابات، لأن الديمقراطية لا تعني فقط صندوق انتخاب سياسية، بل هي ثقافة وتعليم وحياة اجتماعية وحرية رأي وتعبير.

لماذا، لأن الإسلاميين، أصلاً، لا يؤمنون بالانتخابات ولا بالديمقراطية ولا بحرية الرأي ولا بالحريات العامة والحريات الفردية، وإنما يحتمون بالديمقراطية من أجل الوصول إلى الحكم، يستغلون الديمقراطية من أجل الوصول إلى الهدف فقط وتحقيق مآربهم.

هناك سؤال: هل يقبل الإسلاميون - مثلاً - العيش تحت نظام علماني، أنا لا أعتقد ذلك، لأنهم يعتقدون أن العلمانية تعني فصل الدين عن الدولة، وهذا كفر. « إذا كان الأمر، كذلك فكيف يمكن أن أشارك في عملية سياسية هو يرفضها كمبدأ.

ولكن رب قائل يقول: أن الناس هم الذين يصوتون لهم فلماذا ترفض رأي الأغلبية، والرد على ذلك بسيط وهو: أن الواقع في العالم العربي غير ناضج بعد للديمقراطية، قبل أن تخوض الحركات الإسلامية غمار العملية الديمقراطية عليهم أن يوقعوا أولاً على اتفاق يقضي بالقبول بدولة علمانية وليست دينية.

لا يمكن لحركات الإسلام السياسي أو للحركات الدينية بغض النظر عن الديانة، القيام بأي حركة تنويرية، لا يمكن، ولا يعني بأي شكل من الأشكال أن التخلص من الاحتلال أو من ظلم الأنظمة الدكتاتورية وفسادها، يعني جلب الحركات الدينية المترمة، وبالتالي، يصبح حالنا كمن يستجير من النار بالرمضاء.

كيف تطلبون من حركات الإسلام السياسي أن يطورنا وهي التي قضت على إرهابات التطور عندنا، أليس الغزالي الذي تسميه حركات الإسلام السياسي حجة الإسلام هو الذي قضى على الفلسفة العربية والإسلامية التي بزغت في الأندلس عندما كتب كتابه المشهور «تهافت الفلاسفة».

أليس حسن البنا الذي أسس جماعة الإخوان المسلمين عام ١٩٢٨ قضى على إرهابات النهضة التي بزغت في مصر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين وجاء بعده سيد قطب الذي نشر كتابه الشهير «معالم في الطريق» وهو دستور الحركات المتزمتة في العالم العربي اليوم، هل تطلبون من هؤلاء التنوير وهم الذين قتلوا التنوير عندنا.

ليس أمام المفكرين والمثقفين العرب إلا خياراً واحداً، وهو العمل باتجاه الحراك الاجتماعي والدفع نحو نهضة تنويرية على غرار الثورة الفرنسية، عليهم أن يكونوا متفائلين بالتاريخ لن يقف عند مرحلة معينة، فالتطور قادم لا محالة، وما علينا إلا أن نكمل المشوار، وألا نبأس من الظلم والشر والألم، فقد أخبرنا الفيلسوف الكبير هيغل أن الشر هو محرك التاريخ، فما أحوج العالم العربي إلى فيلسوف عفيف من طراز هيغل، الذي رفع قبعته تحية للمحتل نابليون بونابرت الذي جاء مبشراً للثورة الفرنسية، وكان في الوقت نفسه محتلاً لقريته «بيننا»<sup>٥٥</sup> والذي كتب أيضاً عن الأسس الفلسفية للسياسة، والقوانين الأخلاقية<sup>٥٦</sup> والذي يعتقد جزء من الأصوليين أن الأخلاق مرتبطة فقط بالإيمان.

## ٢ . ٧ الثقافات التي ساهمت في تكوين الشخصية العربية

هناك ثقافات ساهمت بقوة في تكوين الشخصية العربية، وهذا موضوع لم يبحث فيه بقوة من قبل المفكرين والباحثين العرب، إلى أن جاء عميد الفكر العربي محمد عابد الجابري وتطرق له في الجزء الرابع من رباعية «العقل العربي» في كتابه القيم «العقل الأخلاقي العربي»<sup>٥٧</sup> فقد أشار إلى وجود خمس ثقافات ساهمت في تكوين العقل الأخلاقي العربي، فتكوين العقل الأخلاقي العربي لم يأت هكذا من فراغ، فقد ساهمت موروثات في بلوره الأفكار الموجودة في هذا العقل وفي صياغة الشخصية العربية أو قل في الأفكار التي يحتويها هذا الديسك العربي، يقول الجابري :

«إن الموروثات هي الفارسية واليونانية والصوفية والعربية الخالصة والإسلامية» وبين الجابري أن لكل موروث ثقافي هناك قيمة مركزية، ففي الموروث الفارسي هناك (أخلاق الطاعة) وفي اليوناني (تحقيق السعادة) وفي العربي الجاهلي (المروءة) وفي الصوفي (الفناء) وفي الإسلامي (الدين - الإسلام)، أن الموروث الفارسي ركز على طاعة

السلطان وقد تسللت هذه القيمة في زمن هشام بن عبد الملك إلى الثقافة العربية بسبب اتساع جبهة المعارضة، لهذا أراد هذا الأمير الأموي أن يمزج الدين مع الملك، لكي يرسخ مبدأ أن طاعة السلطان من طاعة الله». <sup>٥٨</sup>

ويقول الجابري :

«إن أخلاق الطاعة تسللت من الفرس إلى الثقافة العربية عن طريق كتب الأدب وخاصة ناشر ايدولوجية الطاعة الكسروية، وهو ابن المقفع في كتبه الثلاث وهي (كليلة ودمنة/ ترجمة) و(الأدب الصغير) و(الأدب الكبير)، كما أن كتب الأدب العربي الأخرى، ووجت لذلك وهي كتاب (عيون الأخبار) لابن قتيبة و(العقد الفريد) لابن عبد ربه وكتاب (الازدهار) للاشبيهي واخيراً كتاب (صبح الاعشى في صناعة الانشاء) للقلشندي، كما أن الموروث الصوفي ظهر ابان انحطاط الحضارة العربية، فقد كانت الصوفية منتشرة في البصرة والكوفة وكان سكانهما من الفرس، وعندما تغلب المسلمون عليهم اتخذوا من القوى الغيبية أداة لمحاربة العرب». <sup>٥٩</sup>

لقد قام الجابري هنا في سابقة استثنائية بتتبع تغلغل الموروث اليوناني إلى الثقافة الإسلامية، وبما أننا نقول أن الفلاسفة المسلمون في الأندلس قد ترجموا الفلسفة الإغريقية إلى اللغة العربية فأين هي (أخلاق السعادة) التي ركز عليها فلاسفة اليونان من سقراط وأفلاطون وأرسطو في كتاباتهم.

لهذا فقد بدأ الجابري بتتبع خط ابتدأ من الفيلسوف العربي الأول الكندي وحتى الفيلسوف الأندلسي ابن رشد وكذلك قرأ كتاب الفارابي (آراء أهل المدينة الفاضلة) <sup>٦٠</sup> وأبن مسكويه (تهذيب الأخلاق) كما قرأ الجابري كل من كتاب (المقامات) للتوحيدي وكتاب (التوافقات) للشاطبي، ووصل في النهاية إلى النتيجة التالية وهي : «ان الأدبيات الأخلاقية السياسية في الإسلام التي تغرق من الموروث اليوناني قامت بإقصاء السعادة إما بتأجيلها إلى الحياة الأخرى وإنما بربطها - في هذه الدنيا - مع نموذج الحاكم المستبد»، <sup>٦١</sup>

الجابري يريد أن يقول لنا، إذن، أن القيمة المركزية في الموروث الثقافي العربي الجاهلي كانت (المروءة) وفي الموروث الثقافي الإسلامي أصبح الدين. <sup>٦٢</sup>

بل ويزد الجابري على ذلك

«أن الطاعة في الموروث الثقافي العربي امتزجت مع الدين والسلطان، وأصبحت طاعة السلطان دينية مقدسة وغير مقيدة بمدة زمنية محددة فما دام على قيد الحياة يحق له أن يحكم إلا أن يتوفاه الله، أو أن يرتكب المحظورات، بمعنى يتم عزل الخليفة المسلم أو السلطان إذا شرب الخمر مثلاً على شاشة التلفاز وهذا لن يتم بأي حال من الأحوال، وهذا يقودنا إلى أن الفقية تواطأ مع السلطان لتقدیس الحكم». <sup>٦٣</sup>

هذا الرأي قابله المفكر اللبناني علي حرب بنقد شديد في كتابه « نقد النص »، فقد بين :  
« أن الجابري مثله مثل أولئك العرب الذين يعزون أسباب ضعفهم وفشلهم ومصائبهم إلى الغير، أي إلى الغرب المستعمر أو مثل الإسلاميين الذين يؤمنون بصفاء الثقافة الإسلامية، ويدعون إلى تنقيحها من الأفكار الدخيلة أو المستوردة من جهة اليونان قديماً، أو من جهة الغرب حديثاً، صحيح أن المواقف تختلف بينه وبينهم من حيث مضامينها، ولكننا نجد أنفسنا إزاء نفس العقلية المركزية الاصطفائية التي تعتبر ان مصيبة العقل العربي أو الإسلامي قد جاءت من خارجه . »<sup>٢٤</sup>

كما ان الجابري يريد ان يقول لنا ان الفلاسفة المسلمون المتنورون، مثل ابن رشد وغيره، قاموا بحذف موضوع السعادة أثناء ترجمتهم أو كتابتهم للفلسفة الإسلامية وربطوها باليوم الآخر أو بطاعة السلطان وهذا الكلام في غاية الخطورة مع العلم انه صحيح مئة بالمئة .

المسلم اليوم لا تهمة الحياة أو التقدم فيها بقدر ما يهمة النجاة في اليوم الآخر فالحياة الدنيا بالنسبة اليه مثل ظل شجرة يستظل تحتها .

جميع ما ذكر ، تطرق اليه الجابري بالتفصيل في كتابه «العقل الأخلاقي العربي» فقد أراد من هذا الكتاب معرفة الثقافات التي ساهمت في تكوين هذا العقل الأخلاقي ، وهذه أول اطروحة جادة تكتب في تاريخ الفكر العربي ، فقد أصاب الجابري إلى درجة كبيرة في هذا الكتاب ، خاصة فيما يتعلق بقيام المفكرين المسلمين في الأندلس بحذف موضوع (تحقيق السعادة) من الفلسفة اليونانية ، أثناء الترجمة ، واستبدالها بالدين ، ولكن السؤال المركزي هنا : أين دور العلم الحديث في الحد من الموروثات والقيم الثقافية التي ساهمت وما تزال في الشخصية العربية وفي العقل الأخلاقي العربي؟ وإلى متى سوف نبقي نقول أن القيمة المركزية عند الفرس هي (أخلاق الطاعة) أثرت في الموروث الثقافي العربي؟ كيف لنا ان نغير هذا الديسك الموجود في رأس الشخصية العربية؟ كيف؟ .

هل الظروف الصعبة وحال القمع والظلم والفقر والامية هي السبب في بقاء هذه المنظومة الثقافية القيمية في الوطن العربي لكي تبقي الشخصية العربية طوال مئات السنين على حالها لا تتقدم ولا تتطور؟ هل السبب هو الخطاب الديني؟ .

أحسن الجابري صنعاً وهو يتتبع سبب وصول هذا الديسك إلى العقل العربي ، ولكن أين هو دور التربية العلمية الجذرية في الحد من هذا الموروث المثقل بالطاعة والانكسار والهزيمة النفسية والشعور بالاغتراب الذاتي وعدم القدرة على تحمل أعباء الحياة؟ .

أين هو دور المفكرين والباحثين والمثقفين في نشر الوعي بأهمية ربط التكاثر السكاني بالتنمية الاقتصادية؟ .  
أين دور وسائل الإعلام العربي في نشر الوعي بأهمية قيم عظمة مثل قيم الجمال والمنطق والصدق واحترام  
الوقت وحب العمل وحب الرسم والموسيقى والعلوم والكتاب والمسرح والسينما وتطوير التعليم؟ .

إلى متى سنبقى نقول أن هذا ليس ذنبنا، هذا ذنب الفرس؟ إلى متى سنقول أن الأمية التي تنتشر في بلادنا  
سببها أمريكا وأن حالة الفقر المدقع التي تنتشر في أحياء الصفيح في بلادنا مثل انتشار النار في الهشيم سببها  
أوروبا؟<sup>٦٦</sup>، ومتى سنقول أن سبب انقياد المجتمعات العربية للحكم بسبب تغلغل قيمة أخلاق الطاعة من  
الموروث الثقافي الفارسي، ألم يحن الوقت للقول: نحن السبب، بسبب سوء الإدارة والتخطيط والفساد  
وغياب المراجعة .

## ٣. المفكرون العرب

### ٣. ١ (المفكرون العرب) والربيع العربي

لا يمكن بأي حال من الأحوال إجراء مقارنة بين تأثير الفلاسفة الأوروبيين على التطور والنهضة الأوروبية وبين القائمين على الحركات داخل بعض المجتمعات العربية، فعلى صعيد تونس مثلاً، أول الدول التي شهدت انطلاقة الربيع العربي، هناك شخصيتين محوريّتين وهما: المنصف المرزوقي<sup>٦٦</sup>، فهذا الشخص هو مدافع عن حقوق الإنسان ورئيس حزب المؤتمر التونسي من أجل الجمهورية، ويحمل شهادة الدكتوراة في «الطب»، المرزوقي من مواليد قرقمبالية عام ١٩٤٥، عمل وعاش في المغرب، وهو متزوج من امرأة مغربية ثم سافر إلى فرنسا وأقام هناك لمدة ١٥ عاماً.

أسس المجلس الوطني للحرريات عام ١٩٩٧، وشارك في انتخابات المجلس الوطني التأسيسي عام ٢٠١١، وحاز على المركز الثاني بعد حزب النهضة (إخوان تونس)، وقد أشار في آخر تصريح له «أن الإسلاميين سيقعون في فخ الحكم لأنهم لن يستطيعوا الإجابة على أسئلة المواطنين»<sup>٦٧</sup>.

تونسياً، أيضاً، هناك راشد الغنوشي الذي يعتبر القطب الأول في جماعة الإخوان المسلمين/ فرع تونس حيث يتراأس حركة النهضة، أعجب بتجربة جمال عبد الناصر ثم انقلب عليها، سافر بعدها إلى دمشق، ثم إلى فرنسا، حكم عليه مدى الحياة عام ١٩٨٧، ثم لجأ إلى الجزائر، ومن أبرز كتبه «الحريات العامة في الدولة الإسلامية»، «القدر عند ابن تيمية»، «الحركة الإسلامية ومسألة التغيير»، «تجربة الحركة الإسلامية في تونس»، عاد إلى تونس بعد ٢١ عاماً قضاها في بريطانيا.

من المعروف أن الغنوشي يعتبر من أنصار فكرة السيطرة على مؤسسات الدولة عن طريق «الإقحام الهادئ أو الناعم» بعكس سيد قطب الذي يطالب بالسيطرة على السلطة عن طريق الاقتحام المباشر. وكانت وسائل الإعلام العربية قد أوردت شريط فيديو للغنوشي وهو يطالب سلفيين بالاستيلاء على المساجد والمدارس على اعتبار أن العلمانيين يسيطرون على مفاصل الدولة وعلى الأمن والإدارة والإعلام، لكنه بين أن كلامه «أخرج عن سياقه»<sup>٦٨</sup>.

هذا على الصعيد التونسي . أما على الصعيد المصري ، فلا يوجد أحد ، لا يمكن القبول بأن الذين كانوا يشرفون على المظاهرات في مصر لهم علاقة بالفكر أو الفلسفة ، كانوا عبارة عن مجموعة من الشباب المتحمس ، الذي يريد التغيير ، مثل وائل غنيم ومجموعة أخرى من النشطاء مثل محمد مرسي وعمرو موسى ومحمد البرادعي وعمرو حمزاوي وغيرهم ، وفي ليبيا الصورة الفكرية قائمة أكثر ، فالمشرف الأول على أحداث ليبيا كان مصطفى عبد الجليل ، وهو وزير العدل السابق في زمن حكم معمر القذافي لمدة ٥ سنوات ، وهو شيخ متمزمت ، فقد طرد إعلامية ليبية كانت عريفة حفل في قاعة مؤتمرات ، لأنها رفضت ارتداء حجاب على رأسها ، فغادرت القاعة وهي تبكي .

أما الحراك الذي اندلع ، وما يزال في البحرين والكويت والسعودية واليمن ، فهو في مجمله ، مذهبي ، يقوده مجموعة من رجال الدين الشيعة الذين يطالبون بأن يكون لهم صوت داخل هذه البلاد السنية .

على صعيد سوريا ، هناك شخص بارز هو «برهان غليون»<sup>٦٩</sup> ، أستاذ دراسات الشرق الأوسط في جامعة السوربون الباريسية ، تخرج من جامعة دمشق ، ترأس المجلس الوطني السوري عام ٢٠١١ ، ومن أشد المعارضين لنظام بشار الأسد ، ومن بعض مؤلفاته : «النظام السياسي في الإسلام» ، «ثقافة العولمة وعولمة الثقافة» ، «اغتيال العقل» ، «المأساة العربية : الدولة ضد الأمة» ، «نقد السياسة : الدين والدولة» ، من المعروف أن غليون يؤيد الاستعانة ببعض الأنظمة الدكتاتورية العربية مقابل تحطيم نظام بشار الأسد الدكتاتوري ، وهذه معادولة غير مفهومة على الاطلاق ، بل انه سيجد من الصعوبة بمكان الجلوس معاً مع جماعة الإخوان المسلمين لحكم سوريا ، من خلال الاستعراض السابق يتبين لدينا أنه لا توجد علاقة بين الربيع العربي ومفكرين من الطراز الرفيع كما كان يحدث في أوروبا ، بل لا يوجد فكر ، إطلاقاً ، وهنا الكارثة بعينها .

### ٣ . ٢ المفكرون العرب بين الخوف وعدم ملامسة الهم الأول

هنا بيت القصيد ، أن الجغرافيا العربية تعاني من فقر فكري مدقع ، واستبداد سياسي مذهل ، ولذلك لا يوجد فكر أصيل ، تطرق حول مشروع نهضوي وخارطة طريق ، حتى أن الموت غيب جزءاً من هؤلاء المفكرين<sup>٧٠</sup> ، والجزء الآخر أصبح في سن متقدم ، المشروع الفكري العربي مبعث في أكثر من جبهة فكرية ، وخاصة جبهة المشروع الوطني الديمقراطي ، لذلك انتصر المشروع الآخر ، مشروع الأصوليات الدينية ، وسبب ذلك ، ان هناك أرضية خصبة متوفرة لهذا الإسلامي للكتابة جيشاً أراد ، في حين أن غيره لجأ إلى الكتابة في نقد التراث ، ربما خوفاً من النظام السياسي الذي يمنع الاقتراب المباشر من الهموم الأولى ، بعكس نظرائهم الأوروبيين بين القرن السادس عشر والقرن التاسع عشر .

أعيد السؤال مرة أخرى ،

من الذي وضع الخطط لبناء الإنسان الأوروبي وإخراجه من عصر الظلمات إلى الإبداع والإنتاج والابتكار والصناعة؟ ملك فرنسا لويس السادس عشر أم فولتير؟ إذا لم يصلح المفكرون العرب الإنسان العربي ، فمن يصلحه إذن؟ النظام الرسمي أم الغرب ، هل نتظر بريطانيا لتتبر لنا الطريق وهي التي قسمتنا بالمسطرة؟ .

مشكلة المفكرين العرب<sup>٧١</sup> أنهم لا يشتغلون إلا في حقل التراث ، هل الكتابة في الماضي للهروب من استحقاقات الحاضر والمستقبل؟ لا توجد أمة تقدر التراث بطريقة مجنونة وتعيش في الماضي مثل الأمة العربية ، لم أجد في حياتي أمة تحلم ليل نهار بالتراث وتشغلها الفتاوي مثل الأمة العربية! .

الشعب العربي لا يريد أن يضع نقطة على السطر ، وينظر إلى الأمام ، إنه شعب يقدر النص الثاني ، يقدر شروحات ارتفعت إلى قداسة النص الأول ، بل أضحت هذه الشروحات دساتير للحركات الإسلامية المتطرفة ، مثل كتاب سيد قطب «معالم في الطريق» والذي يعتبر اليوم دستور مقدس لتنظيم القاعدة ولبعض الحركات الإسلامية<sup>٧٢</sup> ، وكذلك شروحات يوسف القرضاوي والتي حارب من خلالها على سبيل المثال لا الحصر ، مفهوم الدولة العلمانية في العقل الجمعي العربي والإسلامي وشن هجوماً عنيفاً على تركيا ، متناسياً أن النظام الديمقراطي في تركيا هو الذي أوصل حزب العدالة التركي الإخواني إلى سدة الحكم ، وأوجد كل السبل القانونية لكي يحكم هذا الحزب أربع سنوات ، دون أن يتعرض له أحد ،<sup>٧٣</sup> أو مؤسس حزب التحرير الإسلامي تقي الدين النبهاني حيث حرم التصوير ، وكأنه بذلك أوجد نصاً مقدساً ، غير قابل للنقاش ، يماثل قدسية النص المقدس الأول<sup>٧٤</sup> ، حتى أن حزب التحرير الإسلامي يرفض فكرة إجراء الانتخابات جملة وتفصيلاً ، بعكس جماعة الإخوان المسلمين ، لأنه يعتقد أن الدين يمثل عقيدة وليس رأياً .

لا أعرف حقيقة سبب بقاء المفكرين العرب في الدائرة نفسها ، فالأصولي يبكي على التراث ، والعلماني ينتقد التراث ، الأصولي ما يزال يحلم في فتاوي ابن تيمية ، والمفكرون العرب كذلك ما يزالون يحفرون في التراث الإسلامي منذ خمسين عاماً ، ما زالوا يفسرون لماذا اشتركت الملائكة في غزوة بدر ، ولم تشترك في غزوة أحد؟ ولا أعرف السبب ، هل هو الخوف من النظام السياسي الرسمي الحاكم ومن التطرق المباشر إلى القضايا التي تهتم الإنسان العربي حالياً مثل الاستبداد السياسي والخنق على الرأي والحرية والفقر المدقع وانتفاع طبقة معينة دون غيرها واستشراء الفساد بطريقة لا مثيل لها؟ أو الخوف من عذاب القبر واليوم الآخر . أحياناً نلاحظ أن هناك تراجعاً فكرياً عند بعض المفكرين العرب خاصة عندما يبلغ المفكر العربي سن الستين ، فيتحول حينها إلى داعية إسلامي . لندخل في التفاصيل : دعونا نسترجع كتابات أهم المفكرين العرب منذ بداية الإرهاصات التي حاولت شرح أسباب التخلف في العالمين العربي والإسلامي حتى الوقت الحاضر ، والتي تحورت

جميعها حول التراث العربي والإسلامي، وكأن جميع مشاكل العرب والمسلمين في الوقت الحاضر من أبو بكر الصديق وعثمان بن عفان ومعركة الجمل.

لنأخذ مثلاً واضحاً: خالد محمد خالد (١٩٢٠ - ١٩٩٦م)، الذي لقي كتابه الأول (من هنا نبدأ) رواجاً كبيراً، حيث طبع ست طبعات في سنتين اثنتين، وترجم في السنة نفسها التي صدر فيها إلى الإنجليزية في أمريكا، وقد دعا في كتابه هذا إلى فصل الدين عن الدولة.

بعد ذلك مباشرة حدث انقلاب كامل في فكر خالد محمد خالد حيث كتب الكتب التالية: (الإسلام دين ودولة) - لاحظوا الانقلاب الجذري على أفكاره الأولى التي سماها بالخاطئة -، (رجال حول الرسول)، (وجاء أبو بكر)، (بين يدي عمر)، (وداعا عثمان)، (في رحاب علي)، (معجزة الإسلام عمر بن عبد العزيز)، (أبناء الرسول في كربلاء)، (لقاء مع الرسول)، (كما تحدث الرسول)، (كما تحدث القرآن)، (عشرة أيام في حياة الرسول)، وكتب إسلامية أخرى.

السؤال، هل الكتابة فقط عن حياة الصحابة سوف تجد حلولاً عملية للوضع المزري في عالمنا العالمي، هل نقل الماضي إلى الحاضر سوف يبعد عنا مشاكلنا؟ لماذا لا نكتب في مشاكلنا المباشرة حالياً؟.

ونأتي الآن إلى المفكر الجزائري محمد اركون<sup>٧٥</sup>، فقد تمحورت معظم كتاباته، حول النص الثاني (الإسلام: أصالة وممارسة)، (تاريخية الفكر العربي الإسلامي)، (الإسلام: الأخلاق والسياسة)، (الفكر الإسلامي: نقد واجتهاد)، (القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني)، (من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي)، وفي كتابه (الإنجاز العقلي في التفسير) تطرق فيه إلى تفسير القرآن عند المعتزلة<sup>٧٦</sup>. لي مأخذ كبير على المفكر اركون أنه أصلاً لم يكتب بالعربية، فكيف يمكن التوفيق بأنه سعى لبناء إنسان عربي ومسلم يفكر بطريقة جديدة ولم يكتب بالعربية، أمل أن أكون مخطئاً في هذا التفسير، ولكن، شكراً لتلميذه ومترجمه السوري هاشم صالح الذي ترجم معظم أعماله.

المفكر الثالث التونسي هشام جعيط الذي وضع كذلك التراث الإسلامي تحت مشرحة منهج النقد التاريخي والذي كتب أيضاً كل كتبه باللغة الفرنسية. والذي منها الآتي: (الفتنة: جدلية الدين والسياسة في الإسلام المبكر)، (الكوفة: نشأة المدينة الإسلامية)، (في السيرة النبوية: الوحي والقرآن والنبوة)، (في السيرة النبوية - تاريخية الدعوة المحمدية)، وماذا بعد؟ متى سوف نخرج من هذه الدائرة؟ وإلى متى سوف يستمر الحفر؟، ألا يوجد في بلدان المغرب العربي اليوم مشاكل وقضايا إلا فتنة عثمان بن عفان؟ هل الفقر والأمية والتخلف

والبطالة التي تفتح دول المغرب العربي بسبب الزبير بن العوام؟ هل وجود الآف المواطنين الذين يعيشون في الصفيح بسبب اختلاف الخليفة علي بن أي طالب مع زوجة الرسول عائشة؟ بالقطع لا، المفكر العربي لا يتطرق إلى قضايا المواطن العربي الحالية لأنه يخاف من النظام الحاكم، مرة أخرى أأمل أن أكون مخطئاً.

وما دمنا في تونس - نخرج على المغرب - التي ولد فيها المفكر محمد عابد الجابري<sup>٧٧</sup>، بلا شك فقد أبدع الأستاذ الكبير الجابري في رباعيته نقد العقل العربي، لقد حاول الجابري أن يحفر في أعماق العقل العربي ليرى أسباب تخلفه. رائع، ولكن انظروا قائمة كتبه الجديدة، مدخل إلى القرآن، ثلاث مجلدات عن ترتيب السور في القرآن الكريم، ماذا سوف يؤخر أو يقدم ترتيب السور في القرآن بالوضع المزري المتردي المتدهور في العالم العربي، أم أنه هروب من مواجهة الواقع. أتمنى أن أكون مخطئاً.

تعالوا بنا نعود مرة أخرى إلى مصر، من حيث بدأنا، إلى الأستاذ الكبير سي د القمني الذي أشبع التراث الإسلامي نقداً وتحليلاً وتفسيراً حيث كتب كتباً مهمة مثل (حروب دولة الرسول)، (الإسلاميات)، (النبي إبراهيم والتاريخ المجهول)، (الحزب الهاشمي وتأسيس الدولة الإسلامية)، اختتمه بالمطالبة ببناء كعبة في صحراء سيناء، وكأن الذي عندنا من مقامات وشعوذات وتطرف ديني لا يكفي، على كل حال، ربما معه عذره، من يدري.

ومن هؤلاء أيضاً، عميد الأدب العربي طه حسين، الذي أسقط منهج المفكر الفرنسي ديكرت على كتابه المثير للجدل (في الأدب الجاهلي) الذي ألفه عام ١٩٢٦ وخلص في تحليلاته إلى أن الشعر الجاهلي منحول، بعد ذلك اتجه طه حسين إلى الكتابة عن التراث فكتب (الفتنة الكبرى عثمان) ثم (الفتنة الكبرى علي وبنوه). سؤالي: ما هو مشروع عميد الأدب العربي من أجل بناء إنسان عربي بعد الحديث عن فتنة عثمان وواقعة الجمل؟ أو بعبارة أخرى، ما هي تصورات طه حسين للنهوض بالإنسان العربي في الوقت الحاضر؟، أعرف أنه كتب بعد ذلك كتابه (مستقبل الثقافة في مصر)، لكن هذا لا يكفي.

يكفي هذا الاستعراض، أعود فاكراً، مع احترامي وتقديري للكثيرين لهؤلاء المفكرين الكبار والذين نعتز بهم اعترافاً لا يوصف، إلا أن النقد هنا، نقد بناءً، ويشيد بجهد هؤلاء المفكرين العابرة، لكن لا بد من القول أن المفكر اللبناني الكبير علي حرب كتب كتاباً جميلاً حول ذلك كان بعنوان «نقد النص»<sup>٧٨</sup>.

إن المشاكل التي يواجهها العالم العربي اليوم لم تأت كلها من أبي بكر الصديق وعثمان بن عفان ومعركة الجمل وسقيفة بني ساعدة، هذا الكلام غير صحيح، فالأوروبيون أيضاً لهم تراث، وكانت الكنيسة الدينية

تجز أعناقهم عبر قوانينها وتشريعاتها، لكن الفرق بين المفكرين العرب والأوروبيين، أن المفكر الأوروبي عمل قطعة إيجابية مع التراث بينما المفكر العربي يحلم ليلاً نهاراً بمعركة بدر وغزوة الخندق، وبموقفه الجمل وكأنه يعيش فقط في الماضي، أو يعتقد أن علل الحاضر في عدم استجلاب الماضي.

في المقابل بحث المفكر الغربي في حاضره، بل في وضع تصور للمستقبل، أعطيكُم مثلاً على ما أقول: لنأخذ مثلاً على ذلك، الفيلسوف الألماني هيغل وضع لألمانيا دستوراً مفترضاً، طالب فيه مواطنيه بتطبيق هذا الدستور الذي اشتمل على مفهوم الدولة والقانون الدستوري والدين واستقلال المقاطعات وحرية المواطنين<sup>٧٩</sup>.

ما أردت قوله، أن العالم العربي والإسلامي اليوم لا تتبع جل مشكلاته فقط من التراث العربي والإسلامي ومن معركة الجمل، هذا الكلام غير صحيح، فجزء كبير من مشاكل العالم العربي يتحملها المثقف العربي، دعونا نكون صريحين، يتحمل المثقف العربي مسؤولية، لأنه لم يضع خارطة طريق للنهضة بالإنسان العربي، والمطالبة بإصلاح التعليم بدءاً من روضة الأطفال ومروراً بالمدرسة وانتهاءً بالجامعة.

في المقابل، أحياناً كثيرة أقرأ لبعض المفكرين العرب عن مواضيع سابقة لأوانها، مثل العلمانية والدولة والديمقراطية والحرية والقانون والدستور، حينها أنفجر ضاحكاً، يا رجل يتحدثون عن الدستور والدولة والعلمانية وأكثر من نصف العالم العربي غارق في وحل الأمية والبطالة والفقر والتخلف، يتحدثون عن الديمقراطية والمواطن العربي لا يفهم معناها، يعتقد أحياناً أن الديمقراطية تعني فقط التصويت، وأحياناً يصوت لأن عدم تصويته لحزب ما سوف يكون السبب في دخوله جهنم، المفكرون العرب يتحملون المسؤولية الكبرى عن مأساتنا، لماذا؟

لأن الفيلسوف فولتير هو الذي حرض وبنى الإنسان الفرنسي، الذي انتفض فيما بعد واعلنها ثورة على سجن الباستيل وهناك أجرى حساباته التاريخية مع الملك لويس السادس عشر، بعد ذلك، بنى هذا الإنسان دولة حقيقية اسمها، فرنسا، والتي نعرفها اليوم.

من المفكرين العرب الذين احترمهم كثيراً، لأنه وضع بعض الحلول لبناء إنسان عربي متطور هو المفكر المصري الكبير سلامة موسى، ظاهرة تستحق الدراسة، فقد كتب عن التربية والثقافة وبناء الإنسان السوبرمان<sup>٨٠</sup>.

على المثقف العربي أن يعالج قضايا الإنسان العربي اليوم من الفقر وتخلف التعليم والبطالة وإدخال العلوم الحديثة إلى الجامعات العربية مثل علم الأنثروبولوجيا الذي يهتم بالإنسان والقيام بترجمة الكتب إلى اللغة العربية وكشف الأصوليات الدينية المترمة لدرجة الهبل والشعوذة. نريد مفكرين وكتاب ومثقفين عرب

يعالجون مشاكلنا الحالية، يعالجون الإنسان العربي، يضعون خططاً وتصورات لكيفية بناء إنسان عربي منتج مبدع متوقد الذهن يحب التعليم والمطالعة والدراسة ويتطلع لبناء دولة مؤسسات وقانون ودستور، نحتاج إلى مفكرين يسعون لتأطير المعلمين وأساتذة الجامعات عندنا، مفكرين يسعون لإصلاح مناهج التعليم في مدراسنا العربية التي عفا عليها الزمن، تلك المناهج التي تتبع أسلوب «احفظ وابصم عليك امتحان».

يا جماعة، الإنسان العربي «خربان» من الداخل، بحاجة إلى إصلاح، يحتاج إلى تغيير القرص المدمج الموجود في رأسه، نحتاج إلى مشروع لبناء إنسان عربي راق، جهاز الإرسال والاستقبال لديه يعملان، مثل الرادار، كما كان كانظ الذي اكتشف الأمم المتحدة قبل ٢٠٠ سنة من نشوئها.

فأين هم المفكرون والمثقفون والكتاب والفلاسفة العرب الذين يفكرون في إصلاح التعليم في الوطن العربي بدلاً من الكتابة عن التراث وعن معركة الجمل، وأسبابها ونتائجها، حتى تضخمت وأصبحت معركة «الحوت» من كثرة الكتب التي تناولتها، حتى أن الكاتب السوري جورج طرابيشي وصفها في أحد كتبه بذبحة التراث<sup>٨١</sup>، أين هم الذين يكتبون عن الأمي المتعلم في بلادنا، وعن العلامة والحفظ والامتحان واذكر وعدد وضع دائرة حول الإجابة الصحيحة وأكمل الفراغ التالي وضع صحا وخطأ.

للتو كنت أقرأ في كتاب المفكر المصري الكبير سيد القمني (حروب دولة الرسول) وبالفعل دهشت من حجم المعلومات التي تضمنها الكتاب في شرح مفاير وجديد للتراث الإسلامي، فقد أسقط المفكر القمني منهج النقد التاريخي على المراحل التي مرت بها حروب الدولة الإسلامية الوليدة، كما أن التحليل الذي توصل إليه يعتبر شيء عادي لأن الرجال الأوائل هم أناس عاديون يخطئون ويصيبون، وليسوا قديسين وملائكة، ولكن كم تمنيت لو صب هذا الجهد الكبير والرائع في وضع خطط لبناء الإنسان العربي من جديد<sup>٨٢</sup>، لو تحدث عن مشروع بناء المجتمعات العربية.

في الحقيقة، معظم كتاب الوطن العربي الكبار أمثال المفكر المغربي محمد عابد الجابري<sup>٨٣</sup> أو المفكر التونسي هشام جعيط<sup>٨٤</sup> أو المفكر الجزائري محمد اركون<sup>٨٥</sup> والمفكر هاشم صالح<sup>٨٦</sup> وعميد الأدب العربي طه حسين<sup>٨٧</sup> ومحمد سعيد العشماوي<sup>٨٨</sup> وحسن حنفي<sup>٨٩</sup> لم يكتبوا إلا في التراث أو كانت معظم كتاباتهم تتناول تحليل التراث الإسلامي إسقاطاً إسقاط المنهج الأبستمولوجي أو الأركيولوجي أو الأثروبولوجي عليه، ولكن هل هذا يكفي لبناء إنسان عربي متطور علمياً، حسب أعتقادي المتواضع، لا.

ومثالي على ذلك الكتاب الضخم المكون من جزأين والذي اصدره في الأونة الأخيرة المفكر محمد عابد

الجابري . الكتاب يتحدث عن القرآن الكريم ، وترتيب السور في القرآن ، وبالفعل فقد اشترت الجزء الأول أثناء زيارتي إلى المغرب وللأسف لم أستطع إكمال قراءة الكتاب ، لسبب واحد ، لو استمع الأزهر الشريف إلى آراء د . الجابري ، وأعاد ترتيب القرآن الكريم من جديد<sup>٩٠</sup> ، - طبعا ، هذا لن يحدث مطلقاً ، هل سيتغير العالم العربي ، هل سيتطور ، هل سيعود بالنفع على الإنسان العربي ، هل يحمل الكتاب برنامجاً جديداً لكيفية تطوير العالم العربي ، هل بين ثنايا الكتاب مشروع لتطوير الإنسان العربي وتحفيزه على التفكير ، بالطبع ، لا ، وهذا الأمر تطرق له بعض المفكرين مثل كمال عبد اللطيف<sup>٩١</sup> ومحمود أمين العالم<sup>٩٢</sup> .

بكل صراحة ، نحن لا نحتاج إلى مشروع جديد يتضمن بناء كعبة جديدة كما يدعو إلى ذلك المفكر سيد القمني ، أو إلى إعادة ترتيب القرآن الكريم كما يدعو إلى ذلك المفكر الجابري ، بل نحتاج إلى مفكرين وفلاسفة عرب بحجم هيغل<sup>٩٣</sup> ونيثشة<sup>٩٤</sup> وفرنسيس بيكون<sup>٩٥</sup> وكانط وديفيد هيوم<sup>٩٦</sup> وفولتير<sup>٩٧</sup> وكلود ليفي شتروس<sup>٩٨</sup> وديكارت ومارتن هيدغر<sup>٩٩</sup> ويورغن هيرماس<sup>١٠٠</sup> ومونتسكيو وسبينوزا<sup>١٠١</sup> وأخيراً جان جاك روسو<sup>١٠٢</sup> من أجل وضع برنامج أو مشروع يتضمن نقاطاً محددة من أجل تطور الإنسان العربي ، رفعة الإنسان العربي ، كيف يمكن تحفيز العقل عند الإنسان العربي ؟ .

العالم العربي والإسلامي حالياً هو عبارة عن رقعة جغرافية ممتدة من المحيط إلى الخليج العربي ولكن للأسف لا يوجد مشروع لبناء إنسان عربي آخر ، مشروع لتحديث التفكير في العالم العربي ، ليس فقط الحديث عن التحديث المادي ، أي شراء الطائرات والسيارات والآلات والقطارات من الغرب ، بل خلق إنسان عربي مبدع هو يستطيع صناعة الطائرة وقيادتها .

لكن هذا الكتابات تعرضت للفحص والنقد كما كتب غيرها ، فقد تطرق الكاتب المغربي عبد الإله بلقزيز إلى خطاب المثقف العربي وتالية السلطة كما تطرق إلى مسألة المثقف العربي والنقد<sup>١٠٣</sup> ، كما نادى المفكر المغربي عبد الله العروي بالقطيعة النهائية مع التراث وعرى الأيدلوجيا بأصولياتها المختلفة تطرق إلى الحرب الكاملة بين الكنيسة الأوروبية والفلسفة<sup>١٠٤</sup> ، وذات الأمر قام به الكاتب المغربي كمال عبد اللطيف حيث انتقد الكتابة فقط في التراث وكتب يقول : «يسيطر على منهجية معظم الإنتاج الفكري العربي نوع من الولوع بالتقليد والتخوف من الإبداع والتجديد ، وهذا ليس قاصراً على فضيل فكري بعينه ، فليس أولئك المتعلقون بالماضي هم وحدهم المقلدون ، بل ان الذين يدعون تمثيل الحداثة والعصرنة هم الأكثر تقليداً وأجتراراً لأفكار وقضايا واشكالات وليدة مجتمع آخر في سياق آخر وذوي ثقافة أخرى ، واذا كان التقليد للماضي هو تعبير عن تجهل اثر الزمان في الإنسان ، فأن تقليد الآخر هو تجاهل لاثار المكان والاجتماع والثقافة واساليب الحضاري جميعاً في تشكيل الإنسان وحديد نمط حياته وأطواره المجتمعي»<sup>١٠٥</sup> .

ولكن بكل صراحة، أكثر مفكر عربي، حاول الحفر في عمق العقل الجمعي العربي، ليعرف الخلل الحقيقي، كان عميد الفكر العربي محمد عابد الجابري في رباعيته (نقد العقل العربي) خاصة «تكوين العقل العربي» الذي بين فيه ان الاعرابي ابن الجزيرة العربية هو صانع العالم العربي<sup>١١٠</sup>، حاول الجابري من خلال رباعيته، الإجابة على سؤال واحد: وهو أسباب توقف العقل العربي عن الاجتهاد والتطور والإبداع<sup>١١١</sup>، كما أقترح ان تتحول القبيلة إلى مجتمع مدني والغنيمة إلى اقتصاد والدين إلى رأي.

### ٣. ٣ الكتابة في التاريخ الأول للهروب من المستقبل

الأمر الذي ميز كتاب النهضة الأوروبية وعباقرتها وفلاسفتها، الجرأة، الإقدام، والضمير، وإيثار المجموع على الذات، واقتحام الخطوط الحمراء، للحاكم/ الاستبداد السياسي والكنيسة/ القوانين الدينية والفرد العادي/ العادات والتقاليد، فمثلاً، تعرض الفيلسوف الفرنسي ديكارت إلى مضايقات كثيرة، اضطرته إلى الهروب من باريس، بينما اضطر ابن بلده فولتير إلى الكتابة باسم مستعار، في حين أن الفيلسوف الألماني نيتشه جن من كثرة التفكير، وابن بلده فورباخ اقتحم خطوطاً حمراء، لم يكن أحد يتصورها حتى في المنام، في حين أن الفيلسوف الهولندي اليهودي الأصل باروخ سبينوزا ضرب بسكين في خاصرته، ومع ذلك واصل كتاباته حول تأسيس علم الأخلاق وكان يتصف بأنه رجل صاحب منهج علمي تحليلي<sup>١١٢</sup>. لكي يسطر لنا نظرية متكاملة في الأخلاق أو المنطق أو القانون.

عندنا، حاول بعض المفكرين العرب، خاصة في مطلع القرن العشرين، التغيير، ولكنهم هزموا في اول الطريق وعلى رأسهم خالد محمد خالد الذي تاب عن أفكاره، وعاد يكتب عن الماضي، وعن التراث، ربما خوفاً من عذاب القبر وطعماً في الجنة.

مفكرون، لا يكتبون إلا في الماضي، أو في ترتيب سور القران (القرآن الكريم جزأين) مثل محمد عابد الجابري الجابري أو في تفسير الفاتحة مثل محمد أركون، أو في شرح معركة الجمل مثل هشام جعيط<sup>١١٣</sup>، ولكن ماذا بعد؟ هل يكتب المفكر العربي في التاريخ الأول/ في الماضي/ في التراث ليهرب من سؤال المستقبل؟ عندي حل: ليكتبوا بأسماء مستعارة، مثل الفيلسوف الفرنسي الكبير فولتير.

أول مفكر عربي طرح هذا السؤال الكبير كيف ننهض؟ ولكنه للأسف الشديد تراجع هو المفكر المصري خالد محمد خالد (١٩٢٠ - ١٩٩٦م) عبر كتابه الأول (من أين نبدأ)، الذي كسح الأسواق ولاقى رواجاً كبيراً، حيث طبع ست طبعات في سنتين اثنتين، وترجم في نفس السنة التي صدر فيها إلى الإنجليزية في أمريكا.

المفكر خالد محمد خالد وجد المفتاح السحري ، وجد الحل فقد دعا من خلال كتابه إلى فصل الدين عن الدولة في الوطن العربي (النظام العلماني)، كما فعل اتاتورك في تركيا باعتباره مفتاح الباب الأول لفتح السجن الكبير الذي يلف الوطن العربي المغلق لكي يتنفس أبناءه طعم الحرية والديمقراطية، ولكن بقدرة قادر وبين عشية وضحاها، اعترف كاتبنا بالخطأ الكبير الذي وقع فيه، فقد توضأ، وصلى وتراجع عن أرائه وأعلن التوبة الكاملة الخالصة إلى الله .

وهذا هو سر الفرق بين المفكرين العرب والغربيين، عندنا لا يوجد مفكرين أصليين، كما قال لي بالحرف الواحد أستاذ الفلسفة في جامعة دمشق المفكر الفلسطيني احمد برقأوي .<sup>111</sup>

ليس هذا فحسب، بل حدث انقلاب جذري في فكر خالد محمد خالد واخذ يكتب عن التفاصيل الدقيقة للمعارك والحروب والغزوات التي قام بها الرسول واصحابه، كل غزوة فصلها تفصيلا في كتاب محكم . منها: (الإسلام دين ودولة . . . حق وقوة . . . ثقافة وحضارة . . . عبادة وسياسة . . .) - قصد من طول هذا العنوان طلب المغفرة بسبب كتابه الأول الذي قال فيه ان الإسلام دين فقط - ، (رجال حول الرسول)، (وجاء ابو بكر)، (بين يدي عمر)، (وداعا عثمان)، (في رحاب علي)، (معجزة الإسلام عمر بن عبد العزيز)، (أبناء الرسول في كربلاء)، (لقاء مع الرسول)، (كما تحدث الرسول)، (كما تحدث القرآن)، (عشرة ايام في حياة الرسول) (إنسانيات محمد صلى الله عليه وسلم) (الإسلام ينادي البشر، إلى هذا الرسول)، وكتب إسلامية اخرى .

أراد مفكرنا القول بعد هذا الكم الهائل من الكتب، أن الإسلام هو الحل بعد أن كان فصل الدين عن الدولة هو الحل؟ .

بكل صدق، نحن نحتاج إلى مفكرين أصليين، يكتب عن تطوير التعليم (أداة + محتوى)، وعن البذرة ثم الوعي ثم الفكر ثم إنسان جديد ثم المؤسسة ثم الدولة ثم الديمقراطية ثم الإعلام، نحتاج إلى مفكرين يكتبون عن علم الأديان المقارنة، علم الاجتماع السياسي، علم الاجتماع الاقتصادي، علم النفس، علم الانثروبولوجيا/ الإنسان، علم الفلسفة، علم فلسفة الآلة، علم الأخلاق، علم المنطق، علم الجمال، علم المستقبليات، علم البيئة، علم الاستغراب، يكفي كتابة في الماضي للهروب من مشاكل الحاضر وتطلعات المستقبل .

### ٣ . ٤ أبعاد من القبيلة وتأويل النص الأول

بداية، أود الإشارة إلى أن عنوان هذا المقال مأخوذ من عنوان كتاب لأحد قادة الفكر والثقافة والشعر في العالم العربي وهو الشاعر اللبناني الكبير ميخائيل نعيمة ١٨٨٩ - ١٩٨٨ الذي كان بعنوان (أبعد من موسكو ومن واشنطن).

وللعلم فقط فإن ميخائيل نعيمة كان نائب الكاتب العربي الكبير جبران خليل جبران في الرابطة القلمية، ومن حسن الطالع أن السنة التي ولد فيها نعيمة ١٨٨٩، ولد فيها أيضاً عميد الأدب العربي طه حسين والكاتب الكبير عباس محمود العقاد - سنة خير كانت على عالمنا العربي، سنة مختلفة عن سنواتنا القاحلة.

نعود إلى عنوان مقالنا، حاول جل المفكرون العرب، بل معظمهم البحث عن أسباب الخلل التي أدت إلى سوء الحال في العالم العربي، فقد عمدوا إلى الحفر أركيولوجياً لمعرفة بواطن الخلل في الوطن العربي، فمنهم من قال أن العقل العربي الذي نشأ في الصحراء، هو عقل عشائري، يلعب دوراً مركزياً في آلية التفكير الحالية، ولهذا أخذوا يبحثون في نتائج سقيفة بني ساعدة، بعدها، انكب معظم المفكرين العرب على هذا الموضوع، حتى غدا موضحة العصر، فإذا قطع شخص الإشارة الحمراء في المغرب، قالوا لنا هذا من سقيفة بني ساعدة، وإذا حصل انفجار في العراق قالوا لنا هذا من يزيد بن معاوية ابن أبي سفيان، هناك جزء من هذا الكلام صحيح خاصة فيما يتعلق بالعقلية القبلية السائدة حالياً في الوطن العربي، أما القسم الأخر، فقالوا: لا، هذا غير صحيح، بل قالوا: يا مسلمون أعيّدوا قراءة القرآن مرة أخرى، أجروا مصالحة بين الإسلام والحداثة أو بين الفلسفة والدين، وأضافوا أيضاً بأن أوروبا لم تتطور إلا عندما فسرت الإنجيل تفسيراً يتمشى والعصر وطالبوا بضرورة فكفكة الخطاب الديني وقالوا أن الإسلام مريض بالسلفية.<sup>١١٢</sup>

هذا الفريق رأى أن تفسير الخطاب الديني تفسيراً حرفياً هو السبب في مشاكل العالم العربي، يعني بعد إعادة قراءة القرآن، سنغدو مثل ألمانيا، ما أريد أن أصل إليه، أن هناك شيئاً أبعد من القبيلة ومن الأيدولوجيا.

السؤال الكبير؟ لماذا يرد المفكرون العرب سلوك الشخص العربي اليوم إلى سقيفة بني ساعدة وإعادة قراءة القرآن؟ بينما يكتب المفكر الأوروبيون حالياً في ما بعد الحداثة<sup>١١٣</sup> ويجيبون عن أسئلة الأخلاق<sup>١١٤</sup>، وهذا ما تطرق إليه بالتفصيل المفكر اللبناني علي حرب

«صحيح ان محمد اركون يصرح في حديث جرى بينه وبين الشاعر السوري ادونيس ان مشروعه الفكري يقوم على تحرير النص الأول اي الوحي القرآني من النص الثاني أي تأويله وشروحاته، لان هذا الاخير حجب

النص الأول وأسرته، مشكلاً بذلك حججاً كثيفاً حال بين المسلم وبين الوصول إلى الظاهرة الأولى التي هي الظاهرة المعجزة على حد تعبير اركون، ولكن ليس المهم ما يصرح به هذا الباحث الناقد، وإنما المهم منطق بحثه وبنية تفكيره، ليس المهم ما يقوله عن نفسه أو ما يعترف به، بل المهم معنى أقواله والأهم ما يحجبه ويسكت عنه»<sup>١١٥</sup>.

لا أستطع تفسير ظاهرة إلقاء القمامة في الشارع في مدينة نابلس بفلسطين أو في الدار البيضاء بالمغرب بأن سببها عقلية القبيلة قبل ١٤٠٠ عام؟، وما علاقة شخص غير مربى أو متعلم أو مثقف بالإشارة المروية في دمشق أو حتى في برلين بإعادة تأويل القرآن؟، هل سقيفة بني ساعدة هي المسؤولة عن انحراط المئات من أبناء الجاليات العربية والإسلامية في أوروبا في عالم الجرائم والمخدرات والتسرب من المدارس؟ لماذا نسي أو تناسى المفكرون العرب دور علم التربية وعلم النفس وعلم الاجتماع وعلم الأنتروبوجيا في تربية الإنسان وفشل المدارس والجامعات والأساتذة في عالمنا؟ لماذا تناسوا دور الأسرة والمجتمع والمدرسة في تفجير البذرة لدى الشخص وتحويله من شخص تقليدي يأكل ويشرب وينام إلى إنسان مفكر مبدع منتج متطور؟ ما دور التربية الجذرية ووضع منهاج فلسفي في المدرسة من أجل توجيه سلوك الإنسان؟ أليس التكاثر الأرنبي في الوطن العربي وعدم وجود مكتبة في البيت وأخرى في الحي وثالثة في المدرسة هي السبب التي أخرجت إلينا شخصاً يلقي بالورقة في الشارع ويقطع الإشارة الضوئية وهي حمراء؟ إلى متى سنبقى ندور في هذه الحلقة المفرغة؟ لماذا كتب المفكر الألماني والفرنسي عن العقل وفصل السلطات وأصل الحياة والمفكر العربي لا يكتب إلا في القبيلة ومعركة أحد وقتنة عثمان ومقتل الحسين؟، بالتأكيد هناك مفكرون عرب نظروا إلى هذه المعضلة وناقشوا بالتفصيل إشكاليات الخطاب العربي المعاصر وعلى رأسهم المفكر كمال عبد اللطيف وخاصة تهميش الحقائق العلمية وتغليب الرؤى الأيدولوجية<sup>١١٦</sup>.

ألم يكتب الفيلسوف الألماني إيمانويل كانط عن الضمير وعن العقل العملي والنظري، وميكافيلي عن صفات الأمير، وفولتير عن حرية التعبير، وماركس عن العمال والفلاحين ورأس المال، وجون لوك عن العقد الاجتماعي، وشوبنهاور عن التاريخ، وباروخ اسبينوزا عن الأخلاق وهيغل عن الدستور وفرنسيس بيكون عن المختبر ونيثشة عن الإرادة والعزيمة ومونتسكيو عن فصل السلطات وأثر المناخ في التطور العقلي عند الإنسان؟ ألم يكتب ديكرات عن منهج الشك وفرويد عن علم النفس التحليلي، وداروين عن نظرية التطور وأصل الأنواع، وجان جاك روسو عن التربية.

الحق يقال أن المفكرين العرب من أصل مسيحي، تناولوا الأمور من جانب مختلف، فقد اقتحموا قضايا الحداثة بشكل مباشر، وعدم الدوران في الحلقة المفرغة، فقد كتب المفكر المصري الكبير سلامة موسى عن التربية والثقافة، وترجم شبلي شميل نظرية التطور وأصل الأنواع، وكتب العبقري اللبناني جبران خليل

جبران عن الفكر الإنساني، بصراحة: المفكرون العرب بالغوا إلى درجة الجنون في الكتابة عن التراث، باستثناء القلة مثل عبد الله العروي الذي طالب بالقطيعة عن التراث.

إذا قام جميع المفكرين العرب بالكتابة عن التراث فمتى سوف نكتب عن مشاكل اليوم؟ من سيكتب عن دور التربية وتأثير البيت والشارع والمدرسة على سلوك الإنسان العربي؟ من يكتب عن التكاثر الأرنبي ونسبة الولادة الجنونية في العالم العربي؟ الوطن العربي يتكاثر مثل الأرانب والذباب بدون الالتفات إلى علاقة ذلك مع التنمية الاقتصادية في البلد، من يكتب عن بناء إنسان عربي جديد صاحب فكر وفلسفة وبذرة؟ صدقوني، إذا لم يكن في البيت مكتبة تضم كتب فكرية وثقافية وفلسفية وتنويرية، وأخرى في الحارة وثالثة في المدرسة، لن تقوم لنا قائمة، حتى لو كتبنا كل يوم مئة كتاب عن معركة بدر وأحاديث أبو هريرة، حتى لو حصل جميع سكان الوطن العربي على شهادات الدكتوراة، فهذه شهادات كرتونية فقط من أجل تأمين لقمة الخبز، ليس إلا.

### ٣. ٥ النص بين العقل والنقل

صحيح أن كتابات المفكر العربي انقسمت بين أربعة اتجاهات، وكلها كانت محاولة للإجابة على سؤال كيف نهض؟ فالاتجاه الأول بكى على ضياع العصر الذهبي، والاتجاه الثاني انتقد العقل القبلي العربي، والثالث انتقد الخطاب الديني، أما الرابع فقد طالب بقطيعة كاملة مع العصر الذهبي، في النهاية بقي زمن العصر الذهبي هو الثقافة المؤسسة للعقل الجمعي العربي، منها يستمد تفكيره، ويرجع إليها في زمن الأزمات، وهي التي سادت في النهاية وما فوز الحركات الأصولية في دول ما يسمى الربيع العربي إلا مثلاً حياً على ذلك.

خذ «الإنتاج الغزير» الذي كتب حول موضوع الدين والتراث باعتباره الحل، فعلى سبيل المثال لا الحصر: أنور الجندي كتب حوالي ٤٠٠ كتاب<sup>١١٧</sup> وأبو الأعلى المودودي الذي ألف ٧٠ كتاباً، ومحمد قطب ٣٤ كتاباً، ومحمد الغزالي ٣٦ كتاباً، القرضاوي أكثر من ٧٠ كتاباً، تقي الدين النبهاني ٣١ كتاباً، والقائمة تطول، فهناك أزمة ثقافة واضحة في عالمنا العربي بين المثقف قبل رجل الشارع.<sup>١١٨</sup>

إنتاج غزير، ولكن جميع هذه الكتب تتمحور حول المعارك الإسلامية والصحابة وأهمية الحجاب والغرب الكافر والأحاديث النبوية، هذا الإنتاج الكبير لعب دوراً مركزياً في نشر الإسلام السياسي وفكر الإخوان المسلمين في طول الوطن العربي وعرضه، ولكن هذا الإنتاج لم يساهم البتة في رقي الوطن العربي علمياً، فهؤلاء الكتاب يريدون نقل الماضي إلى الحاضر كما هو، وكأنها حقيقة مطلقة أو كما سمها الغزالي برد اليقين لأنها تريح الإنسان، وتجلب له الطمأنينة والسكينة.

أمام هذا الكم الهائل من كتب التراث برز مفكرون عرب علمانيون حاولوا التصدي لهؤلاء عن طريق نقد الخطاب الديني والايديولوجيا الدينية، وكأنهم يقولون ليست العلة في الدين وإنما في التفسير أو في توقف الاجتهاد، وأرادوا تحرير النص الأول من النص الثاني .

الأستاذ الجزائري السابق في جامعة السوربون محمد اركون أراد ان يُجري مصالحة بين الدين والحداثة، بين العقل والشريعة، كما فعل ابن رشد، فقد دعا اركون إلى إعادة تأويل القرآن بما يتناسب والعصر الحديث، أي عقلنة الايديولوجيا الدينية أو عقلنة الدين أو تفعيل الاجتهاد في النص الأول (القرآن) وتحريره من النص الثاني (شروحات وتفسير رجال الدين).

باختصار: مؤيدو هذا الاتجاه أرادوا نقل الماضي إلى الحاضر، ولكن عن طريق تلبس الايديولوجيا الدينية طربوش التنوير، أنا لا أعرف، هل قام الغرب بتأويل الإنجيل؟ في الاصل لا يمكن المقارنة بين الدين الإسلامي والمسيحي، فالقرآن هو كلام الله بينما الإنجيل هو تجربة التلاميذ مع المسيح، فالإنجيل لا يحتوي على تشريعات وقوانين، بل رجال الكنيسة هم الذين وضعوا القوانين والتشريعات، لاستغلال عامة الناس، وعند قدوم مارتن لوثر، رسخ فكرة مفادها أن العلاقة بين الفرد والله هي علاقة مباشرة، وهذا كان الأساس الأول من أسس النظام العلماني، بمعنى آخر: مكان الدين في الكنيسة فقط. ونقطة على السطر، بدون تحايل .

للدلالة أكثر على ما نقول: هل سيؤيد الأستاذ أركون جلد امرأة في الشارع، كما تنص على ذلك الشريعة الإسلامية؟ حسب اعتقادي، باعتباره أستاذ متنور لن يؤيد ذلك، فما هو البديل؟ ربما يقول السجن حسبما ينص على ذلك القانون المدني، لكن سيخرج علينا يوسف القرضاوي ويقول لنا: هناك تشريع واضح في القرآن حول هذا الحكم، هل سيلغي الجلد ويبدلها بعقوبة السجن؟ هل سيلغي الزواج من أربعة نساء؟ هل سيلغي ان يكون للرجل في الميراث حظ مثل امرأتين؟ هل سيحرم الوراثة في الحكم؟ لهذا السبب اعتبر يوسف القرضاوي أن العلمانية لا يمكن أن تكون محايدة مع الدين<sup>114</sup>.

رأي مغاير للأستاذ أركون، لكنه ما لبث أن عاد إلى دائرة اركون مرة أخرى، فقد أرجع محمد عابد الجابري العلة إلى العقل العربي. يرى الجابري أنه لا نهضة عربية دون آلة انتاجها ولا يمكن تحصيل هذا الفكر دون نقد للعقل، وآلة الإنتاج هذه، أي العقل العربي، معطلة، أو كما أطلق عليه، العقل المستقيل .

كيف يمكن إصلاح آلة الإنتاج هذه؟ بحسب الجابري يكمن الحل في تحويل القبيلة إلى مجتمع مدني والعقيدة إلى رأي والغنمية إلى اقتصاد، لكن يبقى السؤال الكبير: كيف يمكن أن يتحول المجتمع العربي من مجتمع

قلبي إلى مجتمع مدني؟ كيف؟ هل هناك خارطة طريق؟ لكن بدل من أن يجيب الأستاذ الكبير الجابري على هذا السؤال، عاد إلى التراث مرة أخرى إلى المربع الأول وإلى دائرة أركون، وأخذ يبحث في القرآن تاريخياً، ترتيب السور وأسباب النزول، وحسب ما قرأت فإنه كان يصدد الكتابة عن الأحاديث النبوية وعن نقد العقل الأوروبي، ولكنه توفي قبل أن ينجز هذين المشروعين، وكم كنت أتمنى من كل قلبي أن ينجز على الأقل مشروع «نقد العقل الأوروبي»، ما نريد الوصول إليه الآن هو:

كل المفكرين العرب على اختلاف مشاربهم وتوجهاتهم لا يبحثون إلا في التراث، قسم يبكي وقسم ينتقد، لو أنتج العرب من فلسفة ومنطق ورياضيات وفيزياء وكيمياء وأحياء وهندسة الآلات مثل ما أنتجوه من كتب في التراث والسيرة والمعارك الإسلامية والأحاديث النبوية، لكانت الأمة العربية اليوم أقوى أمة في العالم.

أستاذ الفلسفة الفلسطيني في جامعة دمشق السورية د. أحمد برقواوي كان موفقاً في تلخيص ما سبق: قال بالحرف الواحد: (المفكرون العرب أرهقوا الفكر، معتقدين أن علة الحاضر ليست في الحاضر أو في الماضي، وإنما في ماضي يجب أن يكون حاضراً بثوب جديد وهنا منطق الفكر العربي المأزوم) <sup>١١٠</sup> كلام في غاية الروعة. إذا كتب جميع المفكرين في الماضي فمن يكتب عن قضايا الحاضر وتطلعات المستقبل؟ متى نبحت في إصلاح مناهج التعليم الخربانة في مدارسنا وجامعاتنا؟ هناك فرق مذهل بين «التعليم في الجغرافيا العربية والتعليم في أوروبا، فقد تعرفت على طه حسين وسلامة موسى وهشام شرابي وعبد الرحمن بدوي بشكل معمق جداً في ألمانيا، اكتشفت الوطن العربي في ألمانيا، لم أعرف الفرق بين طه حسين والعقاد إلا في ألمانيا، لم أعرف توفيق الحكيم بشكل معمق وأنيس منصور ومي زيادة والجابري والعروي وكمال عبد اللطيف وشاعر الفلاسفة العرب أبو العلاء المعري والحلاج وإدوارد سعيد إلا في ألمانيا.

### ٣. ٦ نقد العقل الكلي

كل المفكرين في الوطن العربي بكل اتجاهاتهم الفكرية، والدينية حاولوا البحث عن أسباب ومعوقات النهضة العربية. إن الإجابة على السؤال الكبير: كيف نهض؟ ولكنهم اختلفوا في شروط النهضة، ولذلك انقسموا على أنفسهم، وهذا أمر طبيعي وصحي، إلا أنه نشب أحياناً خلاف فيما بينهم وصل إلى حد التهجم أو القطيعة، وهذا أمر غير طبيعي.

مؤيدو الإسلام السياسي أو الايدولوجيا الدينية، أراحوا أنفسهم منذ البداية، الجواب جاهز على جميع الأسئلة. فقد اختصروا الطريق والجواب أيضاً في ثلاث كلمات، وقالوا: الإسلام هو الحل. جواب شافٍ كافٍ وقطعي يصلح لكل الأزمنة والعصور؟ وهذا كحال الشخص

الذي يعاني من وجع في البطن ويذهب إلى الصيدلي ويعطيه أوتوماتيكياً: شاي بننع، بدون نقاش، والمسألة المهمة التي ساعدت مؤيدي الإسلام السياسي في ذلك اتساع اللغة العربية ومعانيها، وهذا موضوع كبير، لكنه ليس موضوعنا الآن.

أما المفكرون العلمانيون فقد اتجهوا في طرق شتى باحثين منقبين عن معوقات النهضة العربية، فمنهم من انتقد العقل الإسلامي وكتب عن معضلة الأصولية الإسلامية التي أسسها حسن البنا في مصر عام ١٩٢٨<sup>١١١</sup>، وكتبوا عن جدلية النقاش بين السياسة والدين منذ أن صدر كتاب «الإسلام وأصول الحكم» لعلي عبد الرازق<sup>١١٢</sup> كما استعرضوا الصراع بين العلمانيين والأصوليين في أوروبا<sup>١١٣</sup> وحاولوا زرع قيم جديدة<sup>١١٤</sup> ومنهم انتقد العقل العربي، وخاصة المفكر المغربي محمد عابد الجابري.<sup>١١٥</sup>

آخرون رأوا أن الحل الأمثل يكمن في الحل القومي أو الاشتراكي، بينما قال البعض الآخر: هذا غير صحيح، الحل هو بناء دولة ديمقراطية علمانية والاستفادة من مكتسبات الليبرالية والحرية الغربية والدولة العلمانية التي وضع أسسها المصلح الألماني مارتن لوتر.<sup>١١٦</sup>

فيما بين عدد آخر أنه ليس من مهمة المفكر أن يضع حلول، فمهمته هي القبض على حقيقة الأشياء ليكشف عن معنى وجود الإنسان، والقسم الأخير أخذ يشتم ويسب ويلعن ويصيح، ويقول: «الأمة العربية في طريقها إلى الإنقراض» كما هو حال الشاعر السوري الكبير أدونيس.

هذا الجدل الدائر على الساحة العربية طبعي، فالكل يبحث عن طريق للخلاص، وعن خارطة طريق للنهضة العربية، أي عن منقذ أو أي بارقة أمل، هذا النقاش يُذكرنا بأيام المعتزلة والأشاعرة، بين أصحاب النقل وأصحاب العقل.<sup>١١٧</sup>

نعود إلى موضوعنا: الشيء الرائع الذي قام به المفكرون العرب على اختلاف مشاربهم وتوجاتهم أنهم حولوا الخيبة العربية الحالية، وحالة اليأس التي يعيشها أبناء العالم العربي إلى سؤال؟ ولكن ينبغي علينا أن ننتبه إلى نقطة هامة وهي:

في العلوم الإنسانية لا يوجد شيء اسمه كليات قطعية أو مسلمت قاطعة أو حقيقة مطلقة، أو مرجعيات مقدسة أو أجوبة جاهزة، وإنما يوجد حقائق، ففي الرياضيات يمكن القول أن واحداً زائد واحداً يساوي اثنين، بينما في العلوم الإنسانية واحد زائد واحد، قد يكون اليوم

اثنين وغداً ثلاثة، كيف :

في لقاء أجري مع المفكر العربي الكبير محمد عابد الجابري قال : تنبأ الفيلسوف الألماني كارل ماركس في القرن التاسع عشر بسقوط الرأسمالية، لأنها تحمل بذور فنائها استناداً إلى نظرية الديالكتيك للفيلسوف الألماني هيغل . ولكن الرأسمالية لم تسقط في القرن العشرين، لماذا؟ لأن ماركس لم يكن يتوقع أن تقوم الدول الرأسمالية بسرقة الخيرات والثروات الطبيعية من المستعمرات التي احتلتها في العالم الثالث وخاصة في الوطن العربي ونقلها إلى شعوبها. <sup>١٢٨</sup> لذلك، وبناءً على هذه القاعدة، لا يوجد حقيقة مطلقة في الفكر، ولا يوجد صح وخطأ، بل يوجد اجتهادات مختلفة تتغير باستمرار تاريخياً، الفئة الوحيدة التي لن تقبل بذلك هي فئة مؤيدي الأيدولوجيا الدينية <sup>١٢٩</sup> لأنهم يؤمنون بالحقيقة المطلقة، فقد كتبت القوانين ورفعت الأقلام وجفت الصحف، ولاداعي للتفكير .

ومن هذه النقطة نستطيع دحض ادعاءات مؤيدي الإسلام السياسي، بأن الأيدولوجيا الدينية لا تتعارض مع الديمقراطية وتقبل الرأي الآخر، فهذا كلام ليس سوى طريق من أجل الظفر بسدة الحكم، وبعدها لكل حادثة حديث .

نعود إلى موضوعنا مرة أخرى : القضية الوحيدة التي ينبغي أن يتجمع حولها المفكرون العرب، هي : تكاتف كل الجهود من أجل الدفع قدماً نحو تحقيق نهضة في الوطن العربي، أنا أعرف أن المسألة ليست سهلة، ولا يمكن تنفيذها بين ليلة وضحاها، بل تحتاج إلى جهد مضن وكبير جداً وصبر مثل صبر أيوب - كما يقولون-، قد يتطلب مئات السنوات والآف الضحايا وتحتاج إلى فلسفة قوية مثل فلسفة نيتشة <sup>١٣٠</sup> وإيمانويل كانط <sup>١٣١</sup> وتنوير غير عادي <sup>١٣٢</sup>، فلا شيء يأتي بدون ثمن . لا شيء .

فالقول إذن، إن السبب وراء الوضع العربي الراهن هو العقلية القبلية أو سقيفة بني ساعدة أو عدم عقلنة الدين أو غياب الديمقراطية، هو كلام غير صحيح، هذا عقل كلي، يؤمن بالكيليات القاطعة، والمسلمات المقدسة، والشروط غير القابلة للنقاش، فهناك مئات الأسباب والمعوقات التي تقف وراء الوضع الراهن في الوطن العربي، أسباب لها علاقة بالماضي والحاضر أيضاً، فالتزمت الديني يلعب دوراً وكذلك عقلية القبيلة، وكذلك غياب التربية، ودور الأهل والمدرسة والمجتمع والمكتبات والإعلام وغياب دور المثقفين والاستعمار والغرب وإسرائيل وعدم مكافحة الفقر والبطالة وانتشار الأمية والتزمت الاجتماعي والكبت الجنسي

والنفسى والنظام الابوي، وقمع المرأة والنظام السياسى الحاكم يلعب دوراً، والقائمة تطول، ما أردنا قوله هو أننا ضد الكليات والمرجعات القاطعة والحقيقة المطلقة، أو ما قد نطلق عليه العقل الكلى، للدلالة على ما نقول: صدر كتاب فى العاصمة الفرنسية باريس للفيلسوف الفرنسى ميشال أونفرى عن عالم النفس الكبير سيغموند فرويد ١٨٥٦ - ١٩٣٩ بعنوان (أفول نجم، الاكذوبة الفرويدية).

يقول أونفرى فى كتابه (أن فرويد دجال وأن التحليل النفسى هو علاج وهمى)، فقامت الدنيا فى فرنسا ولم تقعد، فقد وصف الفيلسوف الفرنسى شارل ميلمان أقوال أونفرى بأنها فلسفة استعراضية بينما وصف الفيلسوف الفرنسى برنار هنرى - ليفى صاحب الكتاب بأنه سخيى، فماذا كان رد صاحبنا الفيلسوف ميشال أونفرى على ذلك، قال: «أننى أسعى فى سياق النزعة بتحويل الأفكار إلى مسلمات مقدسة، أسعى إلى إسقاط أى سلطة يمكن أن تشكل مرجعاً». <sup>١٣</sup>

لا يوجد فى فرنسا بلد الفكر والحرية والنقد شىء اسمه فوق النقد، كل شىء تحت المشرحة، وعلى طاولة المختبر، الكليات المطلقة أو الحقيقة المطلقة هى عبارة عن (ثقافة ميثولوجية)/ أى ثقافة أسطورية، أما الفكر فهو يتطور كل يوم، بل كل ساعة، كما أنه يولد ويموت كالإنسان والشجر والدول والحضارات، لا شىء اسمه فى التاريخ نهاية التاريخ إلا فى رأس صاحب كتاب «الإنسان الأول ونهاية التاريخ» لفرنسيس فوكوياما.

### ٣ . ٧ أزمة الفكر العربي المعاصر في الزمان والمكان

يعيش الفكر العربي المعاصر حالة أزمة حقيقية، حالة قصور فهو انعكاس لحالة الأوضاع الجارية على الساحة العربية، إنه «فكر» يعيش بدون حراك أو تأثير على الساحة العربية والعالمية، بعكس الفكر الأوروبي في القرون الوسطى عندما كانت أوروبا تعيش مثلنا اليوم، كان الفكر آنذاك يتحرك في دائرة زمانه ومكانه، الفكر الأوروبي آنذاك عجل الحراك الاجتماعي كما دفع المفكرون الثمن غالباً إلى أن أشرفت شمس الحرية والتنوير على القارة الأوروبية.<sup>١٣٤</sup>

الكون الذي نعيش فيه هو أوسع مما نتخيل والزمن أكبر مما نتصور، ولكن للأسف الشديد بقي الفكر العربي أو الأصح، بقي تفكير المفكرين العرب محبوساً أو رهيناً في بقعة جغرافية صغيرة وفي زمن محدود.

فكل النقاش والحوار والتنقيب والبحث الذي قام به المفكرون العرب انحصر في عدة كيلو مترات وبالتحديد في منطقة الجزيرة العربية وخاصة الفترة التي تلت سقيفة بني ساعدة، كما بقي الفكر العربي محبوساً في فترة زمنية قصيرة وبالتحديد في فترة لا تزيد عن خمسين عاماً وهي فترة الدعوة الإسلامية والخلفاء الأربعة.

ومن أجل تقريب هذا الكلام أكثر إلى ذهن القارئ دعونا نسوق الملاحظتين التاليتين:  
أولاً: الكون أكبر مما نتخيل، فالتاريخ لم يبدأ منذ ٢٠٠٠ سنة أو ١٤٠٠ عام أي منذ بدء الدعوة الإسلامية في الجزيرة العربية كما يتخيل بعضنا وأما بدأ منذ حدوث الانفجار الكبير قبل ١٢ مليار عام.

ثانياً: الزمن أيضاً أطول مما نتصور، فعمراً قياساً بالزمن هو عمر قصير جداً وقد لا يتعدى لحظات في عمر التاريخ الطويل، فلنا أن نتخيل أنه بعد عملية التطور والانتخاب الطبيعي التي تحدث عنها عالم التاريخ الطبيعي البريطاني تشارلز داروين، وما نتج عنها فيما بعد وهو الإنسان المنتصب وظهوره لأول مرة بجانب نهر أورو في اثيوبيا بالقارة الأفريقية قبل مليوني سنة، ثم انتقل بعدها هذا الإنسان، أي قبل ٨٠ ألف عام براً عبر صحراء سيناء بعد ان سدت المنافذ البحرية أمامه في جميع الاتجاهات حتى وصل إلى فلسطين وهناك تطور إلى هيئة «الإنسان العاقل»، وبعدها حط الرجال إلى الشمال حتى وصل الجزيرة العربية ثم أنتقل إلى أوروبا، بعد هذا التطور وقف الإنسان حائراً أمام تفسير الظواهر الطبيعية فلجأ إلى الاساطير لتفسير القوانين الطبيعية وذلك في محاولة منه لفك لغز وجود الإنسان والكون والطبيعة والحياة والموت.

وبينما كانت الاساطير تنتشر في منطقة الشرق الأوسط ظهرت الفلسفة الاغريقية ٧٥٠ ق.م - ١٤٦ ق.م ، وكانت بذلك أول محاولة لتفسير الكون ، بعد ذلك انطفأت الشعلة في الغرب إلى ان بدأت ملامح الفكر الأوروبي تعود مجدداً ، حيث ظهر الإصلاح الديني في ألمانيا في القرن الخامس عشر تبعها الثورة الفرنسية في القرن الثامن عشر ثم الثورة الصناعية في بريطانيا في القرن التاسع عشر إلى ان فتحت باب الحداثة على مصراعيه ، فقد انتصر العلم على الاسطورة حتى بدا العلم يتطور في خطوات متسارعة تشبه سرعة الضوء حتى وصلنا إلى عصر الإعلام الجديد ، والآن يُحاول الغرب جاهداً الوصول إلى نقطة أخرى أبعد من ذلك بكثير وهي : صناعة أول خلية حية في المختبرات والوصول إلى المريخ أو ما يُسمى الكوكب الاحمر بحلول العام ٢٠٣٥ ، لهذا يتدربون على ذلك منذ عام ونصف العام في سفينة فضائية .

والآن : أمام هذا التحدي الهائل برز مفكرون من العالم العربي يحاولون معرفة أسباب ضعف العالم العربي ، وتساءلوا اين يكمن الخلل ؟ أمام هذه النقطة للأسف الشديد انحصر الفكر العربي المعاصر في زمان ومكان محددين ، انحصر الفكر العربي في فترة زمنية وهي التي اعقبت انتخاب الخليفة الراشدي الأول .

إذن ، حصر المفكرون العرب الزمن الذي يمتد لأكثر من ١٢ مليار في ٥٠ سنة فقط ، كما حصروا الكون الذي يوجد به ١٠٠ مليار نجمة في منطقة جغرافية لا تتعدى مئات الكيلو مترات وهي منطقة الجزيرة العربية ، باختصار ومن الآخر ، الفكر العربي المعاصر لا يتطلع إلى الأمام ، أنه كالدجاجة التي لا تحفر الا بين قدميها لالتقاء الحب ، بعكس المفكرون الغربيون الذين كانوا يتطلعون فقط إلى الأمام ، فالفيلسوف الألماني هيغل كتب دستور ألمانيا وهي ممزقة شرمزيق (كانت ألمانيا آنذاك مقسمة إلى أكثر من ٣٠٠ دولة) كما كتب كتابا جاء بعنوان «أسس فلسفة القانون» ، وابن موطنه الفيلسوف الألماني الكبير أيمانويل كانط تنبأ بقيام الأمم المتحدة عبر كتابه الفذ (السلام الابدي) ، وماركس تنبأ بحدوث ثورة عمالية ضد الرأسمال الجشع ، ونيثشة قال «إنكم لن تفهموا أفكارا إلا بحلول العام ٢٠٠٠» والفيلسوف الفرنسي جان جاك روسو كتب عن التربية .

أمام هذا الوضع ، لم يكتب المفكر العربي بشقيه الإسلامي والعلماني إلا في التراث ، في نتائج سقيفة بني ساعدة وأسباب هزيمة المسلمين في معركة أحد وترتيب سور القرآن ، فالعلماني ينتقد ورجل الدين يبكي ، ولا أحد يتطلع نحو الأمام ، نحو المستقبل .

أمام هذه الصورة الدراماتيكية لا يريد الفكر العربي المحاصر أن يفك يديه من القيد أو أن يُخرج نفسه من السجن ، إنه يعيش الماضي والبكاء على الاطلال والعيش بلا أفق أو تطلع ، يحب البقاء في فترة زمنية قصيرة وفي بقعة جغرافية محددة .

هذا الزمن القصير وهذا المكان الصغير ربما سيكتب لاحقاً في كتب التاريخ في مساحة لا تتعدى نصف صفحة، ولكننا ألبسنا هذه الفترة الزمانية - المكانية لباس القداسة والتبجيل حتى نحيل لبعضنا أن الخروج من هذا الزمن هو خروج من التاريخ.

كلمة أخيرة: المفكرون العرب ينبغي - ولا نقول يجب - أن يتطلعوا نحو الأمام، عليهم أن يكفوا عن الكتابة في التراث والتنقيب في طبقات التراث والبحث في التراث، وكأننا أصبحنا أمة من تراث أو لكأنه لا يوجد في الحياة إلا التراث، أو لكأن التراث موجود فقط عند الأمة العربية.

ينبغي على المفكرين العرب الإجابة على السؤال المركزي وهو: كيف نهض؟ أو بعبارة أخرى: كيف نحقق إرادة سياسية وتنمية ثقافية وفكرية واقتصادية في بلادنا؟ كيف نصلح التعليم أداة ومضمون؟ ما هي أسس التربية الصحيحة لأطفالنا؟ كيف نحفز طلابنا في المدارس والجامعات على التفكير بدلاً من الحفظ؟ كيف يمكن أن نقاوم الكبت الجنسي والنفسي والاقتصادي والاجتماعي والسياسي الذي يعيشه شباب الوطن العربي؟ كيف يمكن مقاومة القهر الذي تعيشه المرأة العربية؟ وكيف يمكن لنا بناء إنسان عربي جديد، وكيف يمكن مقاومة الأصوليات.<sup>٣٥</sup> بدون الإجابة على هذه الاسئلة وغيرها، سنبقى خارج دائرة التاريخ، أي خارج دائرة الزمان والمكان.

### ٣ . ٨ . المثقف العربي وثقافة الصراخ

وإذا ما نظرنا إلى الوطن العربي من المحيط إلى الخليج فسنعجده يخلو من قصة نجاح واحدة، جميع القطاعات فاشلة سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وثقافياً وتعليمياً وزراعياً وسياًحياً وكذلك رياضياً حتى ليخيل إليك أن التراجع والتقهقر والهزيمة غدت ثقافة عربية بامتياز، فالقطاع الوحيد النشط والحيوي هو قطاع السب والشتم والبكاء على ضياع التراث.

أمام هذا المشهد المأساوي للوطن العربي تنبه بعض المفكرين العرب العظام إلى هذا الوضع وطالبوا بتغييره، فعلى سبيل المثال لا الحصر طالب عميد الأدب العربي طه حسين<sup>٣٦</sup> من خلال كتابه «مستقبل الثقافة في مصر» بنقل علوم الغرب إلى الوطن العربي، وقال: «الطريق إلى تطور الوطن العربي يمر عبر باريس ولندن وطوكيو».

وهذا ما ينطبق أيضاً على الكاتب المصري الكبير زكي نجيب محمود فقد طالب الوطن العربي بالانتقال إلى الحداثة من خلال كتابه الشهير «مجتمع جديد أو الكارثة» فاخترنا الكارثة طواعية، نحن أمة تعشق الكوارث إلى حد النخاع.

إذن، بدل البحث عن خارطة طريق للقيام بمشروع تنويري تنقل الوطن العربي من حالة التخلف الكاسحة التي تجتاحه انقسمنا على أنفسنا إلى قسمين: قسم وهم الإسلاميين، قسم العالم إلى قسمين: إسلامي فاضل وجاهلي فاسد<sup>٣٧</sup> والقسم الآخر اتخذ من الصراخ والعيول والشتم ضد النظام الرسمي والغرب منهجاً له للتعبير عن حالة الغضب التي تجتاحه.

قبل أن أكمل، دعوني أؤكد على الفكرة التالية: أنا لا أنكر أن الغرب أجرم في حقنا وأنه يتحمل مسؤولية كبيرة، بل وساعد في تخلفنا، وخلق كياناً سرطانياً في بلادنا، هذا الكيان أعاق مشروع التنوير ولا يزال، ولكن ليس كل تخلفنا وتقهقرنا ناتج من الغرب، هذا غير صحيح، جزء من تخلفنا من نتاج الغرب والجزء الآخر منا وفينا وبسببنا.

نعود إلى موضوعنا: صحيح أن الألم كبير، ولكن ما يميز المثقف دائماً أنه يتميز عن غيره بمنهجية علمية، حالة الصراخ هي حالة السائد الصاحب في الوطن العربي وكأننا في فزعة أو هوشة أو «طوشة» بين قبيلتين، فالعيول والشتم والسباب والبكاء على الأطلال لا يفيد.

وهناك نقطة أخرى بالإضافة إلى الصراخ أود التركيز عليها وهي: الناس في الوطن العربي كالغرقى الذين يبحثون عن بطل لينقذهم، فمرة تراهم ينتقلون بين مكان وآخر، ومرة أخرى بين أيديولوجية وأخرى للبحث عن ضالته، إنهم كالتائه وسط غابة مترامية الأطراف، من كل الاتجاهات اشجار، فمنذ عام ١٩٥٢ والعالم العربي يبحث عن بطل، وما ان يظهر شخصاً ما ويتحدث بعض الكلمات عن فلسطين ويشتم إسرائيل، حتى نرى العالم العربي يقول كما قال العالم البريطاني نيوتن: وجدتها، وجدتها، ولكننا نعود بعد ذلك خائبين تائهين لا حول لنا ولا قوة، الوطن العربي يتمدد كمياً وليس نوعياً، فالتكاثر الأرنبي ينتشر في الوطن العربي مثل انتشار النار في الهشيم، ويومياً تزايد الطبقات الفقيرة والمهشمة التي تنام في المقابر وعلى السطوح، فالأطفال عندنا يولدون في بيئة غير صحية على الإطلاق.

الوطن العربي لا عمل لديه سوى الشتم والصراخ على أمريكا وأخواتها، إنه ينقب عن مثالبها كذريعة للهروب من الدخول إلى التاريخ، إنه يعيش حالياً في عالم مغلق لا معنى للزمان فيه.

المثقفون والمفكرون العرب لا يفكرون على سبيل المثال بعقد اجتماع فيما بينهم لوضع خطة إصلاح أو خارطة طريق لمشروع تنويري يساعد على نهوضنا، والعلو من شأننا بين الأمم، فالشتم على الغرب ليس حلاً، والسب على أمريكا لن يفيد، الحل/ أو خارطة الطريق/ أو الطريق يمر...، وهذا يتطلب:

أولاً: علينا ان نقوي أنفسنا من الداخل وان نشمر عن سواعدنا وأن نضع خطة نهضوية مستنيرة تتم مراجعتها سنوياً، خطة شاملة تقود إلى تحرير المجتمع من النص الثاني وتحرير التعليم من الايدولوجيا وتعمق التربية الجذرية داخل المجتمع وتكافح التكاثر الأرنبي وتحارب البطالة والامية وتبني مؤسسات الدولة الحقيقية وتعمق حق المواطنة ودولة القانون والدستور وتنشر ثقافة الديمقراطية وتقوم ببناء المصانع وتنشر التكنولوجيا الزراعية وتحارب الفساد والمحسوبية والرشوة .

ثانياً: علينا أن نقوي قطاع التعليم ونصلحه أداة ومضمونا، فالتعليم الحقيقي هو التعليم النقدي، الجدي، هو البحث العلمي، هو التعليم المحرر من الأيدولوجيا، هو الذي يحفز على الإبداع والتفكير، صدقوني أنه لا يوجد في بلادنا مدارس، المعلمون في بلادنا يحتاجون إلى تأطير، والمناهج أيضاً تحتاج إلى تطوير .

كيف لنا أن نتفوق ولا يوجد جامعة عربية واحدة من بين أول ٥٠٠ جامعة متفوقة في العالم؟ كيف لنا أن نتطور وبيننا ٧٠ مليون أمة منهم ١٧ مليون أمة من مصر و ١٠٠ ألف مصري لا يستطيعون الزواج ثانية بسبب القيود الكنسية وهناك ١١ مليون عانسة في مصر؟؟ ونسبة البطالة في بعض الأقطار العربية تتعدى نسبة ٤٥٪ .  
التعليم المؤطر هو مفتاح تطور الشعوب، نحتاج التعليم الذي يدرس تاريخ أديان مقارنة وفلسفة التاريخ والعلوم الفلسفية والمنطق والأخلاق والمسرح والموسيقى والفن واللغات، وإنشاء والمختبرات العلمية الحديثة التي تساعد على التفكير بل هي أصل التفكير، فالكاتب المغربي الكبير عبد الله العروي قال «الامية لا ترتفع بإتقان القراءة والكتابة»، يقصد من ذلك أن التعليم لا يعني فقط تدريس (بابا في الحقل وماما في المطبخ )، أحياناً أسأل نفسي: هل التخلف في العالم العربي أضحى ثقافة؟.

### ٣ . ٩ مقارنات

٣ . ٩ . ١ بين أتاتورك وحسن البنا، هل يلعب الحظ دوراً في نهضة الأمم؟  
هل يلعب الحظ دوراً في نهضة الأمم كما يلعب في حياة الأفراد؟ ألا يقود الحظ أحياناً لأمة من الأمم رجلاً استثنائياً يقلب حياتها رأساً على عقب؟ ألم يلعب مثلاً كمال أتاتورك دوراً في تحويل تركيا من دولة مريضة إلى دولة علمانية، ذات تعددية سياسية اضحت الآن من أقوى الدول في منطقة الشرق الأوسط، وأحد اعضاء حلف شمال الاطلسي؟

سؤال يشغلني طوال الساعة . لندخل في صلب الموضوع: سعى عشرات المفكرين العرب في القرن التاسع عشر إلى البحث عن الخلاص جاهدين للحاق بركب الحضارة والتمدن ودعوا إلى ضرورة تحديث العالم العربي عقلياً ومادياً، فقد قاموا بجهود جبارة وكبيرة، فانكبوا يكتبون ويؤلفون ويترجمون وخاصة في مصر وسوريا ولبنان، ولكن جميع جهودهم باءت تقريباً بالفشل .

وبحلول العام ١٩٢٤ حدثت نقطة تحول غير عادية، فقد أعلن ضابط تركي شاب اسمه كمال أتاتورك إنهاء الخلافة الإسلامية وإقامة دولة تركية علمانية عصرية حديثة وجلب دستوراً من أحدث دساتير العالم، حتى غدت تركيا اليوم دولة لا تقارن مع النظم السياسية العربية.

بعكس الأتراك، برز عندنا شاب من إحدى القرى في مصر، اسمه حسن البنا حيث أعلن عن تأسيس جماعة الإخوان المسلمين عام ١٩٢٨ من أجل الدعوة إلى «الأخلاق الفاضلة ومقاومة المنكرات»، وقد جاء هذا الإعلان رداً على الضربة المدوية التي أعلنتها أتاتورك والغى بسببها الخلافة الإسلامية التي كان مركزها آنذاك اسطنبول.

هذا الإعلان شكل البداية التي كسرت فيه شوكة الإرهاسات الفكرية التي بدأت تظهر في القرن التاسع عشر وهذه حال مشابهة لحال الغزالي، الذي كسر شوكة فلاسفة المسلمين في الأندلس عندما أصدر كتابه «تهافت الفلاسفة» والذي اعتبر فيه أن الفلسفة طريق الضلال وأن العقل الإنساني لا يميز بين القبح والحسن !!! ولكن يا ليت الأمور بقيت عند هذا الحد فقد حصل أحد المعلمين الشباب من وزارة المعارف المصرية على بعثة إلى الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٤٨ لدراسة التربية وأصول المناهج، وهناك يبدو أن هذا الشاب شعر بصدمة نفسية نتيجة الفارق الحضاري بين مصر وأمريكا آنذاك، تخيلوا معلماً يخرج من قرية «موشة» -أحدى قرى محافظة اسيوط التي ولد فيها عام ١٩٠٦ - إلى الولايات المتحدة الأمريكية، مثل هذه الحالة شاهدت مثلها عشرات الحالات في ألمانيا، العشرات من الطلبة الذين يفشلون بسبب الصدمة الثقافية والحضارية الشاسعة بين الشرق والغرب الذي قطع أشواطاً كبيرة وسنوات ضوئية في التطور والعلوم.

هذا المعلم هو سيد قطب، ففي أثناء تواجده في أمريكا كتب مقالاً بعنوان «أمريكا التي رأيت» قال فيه: (سلوك الشعب الأمريكي سلوك بدائي لم يفارق مدارج البشرية الأولى، بل أقل من البدائي)، قد نفهم نقد قطب لأمريكا إذا تمحور حول الثقافة الامبريالية أو الخطط الاستعمارية وسرقة الرأسمالية للشروات الطبيعية من شعوب العالم الثالث ولكن لا أفهم أن أمريكا سيئة لأن سيد قطب ربما رأى شاباً يقبل فتاة في الشارع.

بعد ذلك عاد إلى مصر عام ١٩٥٢ وأعلن الحرب على كل ما هو غير إسلامي -وأصدر كتابه الشهير «معالم في الطريق» والذي قسم فيه العالم إلى نصفين: عالم مسلم فاضل وآخر جاهل، وغدا هذا الكتاب دستور الحركات الأصولية الإسلامية المتطرفة مثل حركة الجهاد الإسلامي المصرية بقيادة أمين الظواهري الذي انضم فيما بعد إلى اسامة بن لادن وأسساً تنظيم القاعدة.

هذا الكتاب شكل تربة خصبة ودستور تعتمد عليه عشرات الأصوليات المترتبة في المجتمعات العربية والإسلامية، والتي ارجعنا إلى الوراء، بحجج الجهاد ومقاومة الفساد والتغير، وقد قويت شوكتها عندما التقت مصالحتها مع مصالح الولايات المتحدة - «المؤمنني» - ضد السوفييت «الكفار» في أفغانستان، الذين قدموا لنا المساعدة والبعثات الدراسية، ثم ما لبث أن اندلع صراع عنيف بين الحركات الأصولية وعلى رأسها تنظيم القاعدة والعالم الغربي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، عندما قام الأخير باختطاف طائرات مدنية، وهاجم بها برج التجارة العالميين في مدينة نيويورك. قبل هذا الزمن كان التنسيق في أبهى صورته بين الغرب الذي دعم بالسلاح والمال والإعلام والمعلومات وبين الإخوان المسلمين بقيادة عبد الله عزام، بعد ذلك أخذ الإسلاميون يلطمون على خدودهم وقد جننونا وهم يتحدثون عن السياسات الأمريكية في المنطقة العربية، ولكن بعد فوات الأوان حيث لا ينفع الندم، ولكن ها هم يلتقون اليوم مرة أخرى في سوريا، فالتنسيق بين الغرب والقاعدة والإخوان في سوريا على أعلى مستوياته، حتى أن هناك دولاً عربية تزود كتائب «البراء» و«النصرة» التابعتين للقاعدة في سوريا بالصواريخ علناً وفي وضوح النار، ويقدمون المال والمعلومات الاستخباراتية والقواعد اللوجستية والدعم الإعلامي، وهذا ليس دفاعاً عن نظام بشار الأسد، بقدر ما هو تحليل لما يحدث تحت الطاولة وتحججه وسائل الإعلام، وهذا ما سوف نتطرق إليه لاحقاً.

والآن: هل حظ الأمة العربية عاثر إلى هذه الدرجة؟ هذا الحظ الذي ابتسم للأتراك ونقلهم من عالم الأسطورة والسحر والشياطين وإرضاع الكبير وتحريم الرياضة على النساء والزواج من القاصرات والأرض مستقيمة والهجوم على الفن ومنع النساء من ركوب السيارات ومنع وجود برلمان ونقابات وانتخابات ومظاهرات إلى عالم الدولة العصرية المتطورة.

صحيح، أنني لست من المتحمسين للطريقة التي غير بها أتاتورك الأوضاع في تركيا ولكن نصف تطور أفضل من عدمه، كما قامت بعض القيادات العربية، بقصد أو بدونه، بتدمير بعض المؤسسات التي كانت موجودة عندنا، فقد أنهى الرئيس المصري الأسبق جمال عبد الناصر عام ١٩٥٢ مؤسسة الديمقراطية في سوريا، حيث حول النظام الديمقراطي البرلماني في سوريا إلى نظام رئاسي استثنائي على اعتبار أن «الديمقراطية خدعة غربية» !!، كما أنه للأسف الشديد فشل في خلق دولة عصرية ذات مؤسسات، عدا عن وقوع معظم الأقطار العربية آنذاك تحت الاستعمارين البريطاني أو الفرنسي.

أمام هذه التطورات الدراماتيكية والأحداث التاريخية ماتت الإرهاصات الفكرية التي أخذت تتبلور في القرن ١٩ واعلنت وفاتها رسمياً بانتهاء المنظومة الاشتراكية التي كانت تدعم حركات التحرر وتقدم البعثات الدراسية للطلاب العرب في جامعاتها، وتحول العالم بعد ذلك إلى عالم القطب الواحد.

### ٣ . ٩ . ٢ الأمة العربية ومأزق الخروج من الماضي ، سجال ساطع الحصري مع طة حسين

الأمة العربية منذ سقيفة بني ساعدة ولغاية الآن لا تعشق إلا العيش في زمن في الزمن ، فقد اختارت لنفسها زمنا خاصا وهو الزمن الذي أطلقت عليه العصر الذهبي وجلبته إلى الزمن الذي تعيش فيه ، فهي إذن ، تعيش فكراً في الماضي البعيد وجسدياً في الحاضر ، وكأنها تريد القول : علة الحاضر تكمن في غياب الماضي ، كما قلنا سالفاً .

وهذا الكلام لا ينطبق على مؤيدي الايدولوجيا الدينية بل يشمل أيضاً بعض المفكرين العرب الذين يريد جزء منهم نقل الماضي إلى الحاضر أو عبارة أدق : تلييس الحاضر طربوش الماضي ، كيف :  
في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ظهر مؤسس الفكر القومي العربي ساطع الحصري ، وهو أحد الدعاة السوريين المتنورين الذين دعوا إلى الوحدة العربية ، وحدة تضم جميع الناطقين باللغة العربية ، لغة وتاريخ .

وللعلم فقط ، ما ميز الحصري عن غيره من القوميين العرب هو أنه دعا إلى الوحدة العربية بين الأقطار العربية فيما دعا عبد الرحمن الكواكبي وشكيب أرسلان إلى الوحدة العربية والإسلامية ، بينما دعا أنطون سعادة مؤسس الحزب السوري القومي الاجتماعي إلى الوحدة العربية باستثناء الجزيرة العربية لأنه وصفها بالبدواة .

بعد أن تولى ساطع الحصري منصب وزير التربية والتعليم في دمشق في زمن ملك سوريا آنذاك فيصل الأول ، عمل على تغيير مناهج التربية والتعليم باتجاه تجذير الوحدة والابتعاد عن عالم الأسطورة والخرافات الأمر الذي قوبل بالانتقاد اللاذع ، حتى أن أحد المترجمين الإسلاميين هجاه بشدة في البيت التالي :  
ساطع أظلم لما وسد الأمر إليه // خسف الدين بجهل لعنة الله عليه  
الحصري كان ذكياً ، وكان يعرف بالضبط أن العالم العربي مريض ويحتاج إلى وقت طويل للنهوض نحو التقدم والتمدن والتطور والحداثة والنهضة ، وأن التنوير قادم لا محالة ، لذلك قابل هذا الهجاء بالضحك ، وأخذ يشدو البيتين كلما التقى أصحابه .

وعندما خُلع الملك فيصل الأول وانتقل لتولي عرش العراق أصطحب معه الحصري وعينه معاوناً لوزير المعارف ، وهناك قام الحصري بتدريس كتابه للصف الأول الابتدائي «القراءة الخلدونية» ، حيث قصد منه تعليم النشء الجديد المفاهيم البعيدة عن عالم الميثولوجيا والقريبة من الفلسفة والمنطق والعلوم الحديثة .

وبقي الحصري مسؤولاً عن التعليم في العراق إلى أن قامت ثورة رشيد عالي الكيلاني عام ١٩٤١ وعلى أثر ذلك قام الانجليز بنفيه إلى مدينة حلب ، وهذا أمر ليس بغريب على الإنجليز ، فلم يأت من بريطانيا إلا

الاستعمار والترفقة والتخلف وتقسيم العالم العربي بالمسطرة وتسليم فلسطين إلى قطاع الطرق واللصوص . ساطع الحصري كان قومياً ويحلم بإنشاء وطن عربي كبير ، لذلك رد بقوة على بعض المفكرين العرب الذين اعتبروا إن لاقطارهم طبيعة ثقافية مميزة ، وخاصة ، فقد رد في هذا السياق على عميد الأدب العربي طة حسين ، الذي بين من خلال كتابه «مستقبل الثقافة في مصر» أن مصر تحتفظ بهوية فرعونية ، الأمر الذي أثار حفيظة ساطع الحصري .

وقد استنكر بقوة فكرة فرعونية مصر معللاً ذلك «بأنه إذا كانت المشاعر الفرعونية تتأصل في وجدان المصريين فإنه يجب معه أن تستعيد لغة الفراعنة وحضارتهم ، وأن مصر لا يمكن أن تنبذ العروبة الحية تحت دعوى الانتماء إلى حضارة ميتة» .

قد أستطيع تفهم بعض الايدولوجيين الدينيين الذين يريدون العودة بنا إلى زمن مضى قبل ١٤٠٠ عام ولكنني لا أستطع أن اتفهم موقف عميد الأدب العربي طة حسين الذي يريد أن يعود بنا ستة الآلاف سنة إلى الورا؟ لا أعرف السر وراء عشق الإنسان العربي حب النظر دائماً إلى الخلف ولماذا تسيطر علينا عقدة الحنين إلى الماضي؟ ، فكل شعوب الأرض كان لها تراث وماضٍ ، لماذا لا نحب العيش إلا في أوهام الماضي الذي انتهى ولن يعود أبداً ، لن يعود .

ونلاحظ المفارقة الآن ، فقبل فترة وجيزة ، وصل الغرب إلى العتبة الثانية من عصر الحداثة ، حيث تناقلت وكالات الانباء عن قيام بعض المختبرات العلمية التابعة للجامعات الأمريكية بمحاولة خلق خلية حية ، فالعلماء الأمريكيون يعكفون منذ ١٥ عاماً على إمكانية «صناعة» إنسان من لحم ودم في المختبر العلمي بأيدي إنسان آخر ، وهذا العصر تنبأ به المفكر الكبير سلامة موسى في كتابه «الإنسان السوبرمان» ، أي إمكانية خلق إنسان يتمتع بمواصفات خارقة مثل القدرة الكبيرة على الذكاء ولون البشرة والعينين وطول الجسد وربما زيادة في عمر الإنسان ، ولكننا لا نعرف متى سيتم ذلك ، ربما بعد مئات السنين ، من يعرف؟ المهم أن الغرب انتقل من عصر التراث إلى عصر الحداثة وما بعد الحداثة ، ونحن نبتعد أو نهرب أو ننفي أنفسنا إلى عصر مضى قبل ١٤٠٠ عام ، بل ويريد جزء آخر منا الانتقال إلى زمن مضى قبل ٦٠٠٠ عام بدعوى أن له هوية ثقافية خاصة وهي الهوية الفرعونية!

حسب اعتقادي أن السبب في استمرار سيطرة عقدة العودة إلى الماضي هو ردة فعل نفسية من عصر الحداثة ، لكن هذه الصدمة ستزول عاجلاً أم آجلاً ، فلا العودة إلى العصر الذهبي أو العصر الفرعوني ستحل مشاكلنا ، لن تحل مشاكلنا إلا ببناء إنسان عربي جديد ، صاحب فكر فلسفي ، هذا الفكر يأتي عن طريق إصلاح نظام التعليم مضموناً وأداة ، وتحويل الدين من عقيدة إلى رأي شخصي وبالتالي فصل الدين عن الدولة - أقصد

---

المجتمع فلا يوجد دول عندنا - ، والانتقال من مؤسسة الخدمات إلى عصر المؤسسات التاريخية وتدريس مساقات الفلسفة والمنطق والأخلاق ونظرية النشوء والاتقاء وتدريس علوم الاكسيولوجيا ( البحث في مفاهيم القيم ) ، وعلم السيوسولوجيا ( الاجتماع ) ، وعلم الانثروبولوجيا ( الإنسان ) ، وعلم المستقبليات والموسيقى والرسم والتربية وتأطير المعلمين وفك العزلة الاجتماعية عن المرأة وأستئناف مسيرة ابن رشد والفارابي وابن خلدون وابن حزم وابن طفيل وهشام شرابي وإدوارد سعيد وسلامة موسى وإكمال ما كتبه عميد العقل العربي المفكر المغربي محمد عابد الجابري .

## ٤. التعليم والتعليم النقدي

حسب اعتقادي المتواضع أن هذا الموضوع يحتاج إلى كتاب لوحده، فنوع التعليم الموجود في المجتمعات العربية هو تعليم تلقيني وليس نقدي، ولهذا لا يوجد لدينا إنسان صاحب بذرة وفكر.

المقصود هنا بالتعليم هو التعليم التقليدي الكلاسيكي الذي يركز على العلامة والحفظ والبصم وأخيراً الشهادة، أما التعليم النقدي فهو المبني على النقد والبحث العلمي والعرض داخل المحاضرة، علينا أن نفهم شيئاً واحداً وهو: بدون جامعات حقيقية ومعاهد أبحاث عليا على غرار جامعة هارفارد الأمريكية التي تأسست عام (١٦٣٦) وجامعتي أكسفورد وكامبريدج البريطانيتين ١٢٠٩، وجامعة السوربون الفرنسية ١٢٥٣ وهايدلبرغ الألمانية ١٣٨٦ لن تقوم للعرب قائمة.

في العالم العربي لا يوجد جامعات أو مدارس حقيقية ولا يوجد تعليم حقيقي، لأن الجامعة تحتاج إلى دولة حقيقية ذات مؤسسات ونظام ديمقراطي لاحتضانها ودعمها، كما أن الجامعة هي عبارة عن نتاج تطور متدرج داخل المجتمع، وهذا لم يحصل بعد في العالم العربي، لاسيما أيضاً أن الجامعة في العالم العربي لا يوجد بها مسابقات حقيقية تحفز على التفكير وتفجر طاقة الإنسان، كل ما فيها مسابقات تقليدية تعكس حالة المجتمع الراهنة، بالإضافة إلى أن طريقة تقييم الطالب في العالم العربي بدائية، ما زالت تعتمد على الامتحان والعلامة كوسيلة من أجل تقييم الطالب، بينما يقيم الطالب الأوروبي على أساس البحث العلمي والعرض الأكاديمي، كما أن الجامعات العربية بنقصها الكثير من التخصصات المهمة مثل تخصصات الفلسفة والمنطق والبيئة والمستقبلات وعلم الأنتروبولوجيا وعلم الأديان المقارنة وعلم الاستغراب وعلم الأخلاق وعلم الآلة وعلم فلسفة الآلة.

فالجامعات العربية هي عبارة عن أبنية ومكاتب وشهادات ورواتب ووجاهات وكراج للسيارات الفارهة ومكان للتعرف ولهذا لن تجد أي جامعة عربية في قائمة أول ٣٠٠ جامعة حقيقية على مستوى العالم.

التعليم الحقيقي هو التعليم الذي يحاول الإجابة على جميع أسئلتنا، ويسلط الضوء من خلال الأبحاث العلمية على المشكلات التي يعاني منها الوطن العربي، أعتقد أن هناك علما مغيبا في العالم العربي، وهو علم

الانثروبولوجيا، أي العلم الذي يبحث في الإنسان، من خلال هذا العلم نستطيع أن نحفر في عمق أعماق الإنسان العربي - أنا لا أقصد هنا البحث في القبيلة والتراث وإنما في السلوك والتربية للإنسان العربي - لنبحث عن السبب أو العقدة في عدم تطور البذرة لدى الإنسان العربي الحالي، وكيفية إيجاد حلول لهذه المشكلة.

وعلى الصعيد المادي والتقني، العالم العربي بحاجة إلى بناء مصانع، وليس إلى عمارات شاهقة، ولكن ما علاقة المصانع بالجامعة، من خلال وجودي في ألمانيا تعلمت شيئاً واحداً وهو أن المصانع والشركات الصناعية الكبرى تشكل المختبر العملي للمساق النظري الذي تعلمه الطالب الجامعي، نحن بحاجة إلى خارطة طريق علمية تقود إلى اكتشاف إنسان عربي متطور مبدع منتج وليس إلى صرف مليارات الدولارات من أجل بناء العمارات والبنيات الشاهقة التي سوف «تعشعش» فيها الطيور بعد أن ينتهي الكاز من بلادنا.

الجامعات العربية ينبغي أن تلغي أسلوب الامتحان الذي يقيم به الطالب في المدرسة أو في الجامعة، أسلوب عفا عليه الزمن، واستبداله بمادة البحث العلمي والقاء محاضرة علمية في المساق أمام الطلاب، ويجري بعدها نقاش علمي حول موضوع ما، عند إذن تتحول الجامعات إلى مصانع لتخريج المفكرين والعلماء والفلاسفة والمهندسين والأطباء، كما يحدث في الجامعات الغربية.

التعليم الحقيقي المبني على البحث العلمي هو سر تقدم الشعوب حتى لو تدمرت دول بكاملها، كما حصل في ألمانيا إبان الحرب العالمية الثانية، التعليم الحقيقي هو الذي قاد ست جامعات إسرائيلية لتكون في مقدمة أفضل الجامعات العالمية على الإطلاق، التعليم الحقيقي هو الذي جعل ألمانيا تجلس إلى جانب أعضاء مجلس الأمن الدولي الخمسة لتبحث مع أعضاء مجلس الأمن الدولي الملف النووي الإيراني، التعليم الحقيقي يجعلك تفكر ليلاً نهاراً في المشكلة ووضع فرضيات لحلها والخروج بعدة احتمالات.

#### ٤ . ١ أسطورة «العقول العربية المهاجرة»

كم كنت في غفلة من أمري عندما سافرت إلى ألمانيا، وكنت أفكر أنني سألقي العقول المهاجرة التي أمرنا أستاذ اللغة العربية أن نكتب عنها، كم كانت الصدمة كبيرة، إلى الحد الذي لا يتصوره العقل إن كل ما تعلمناه في المدرسة كان غير صحيح، طبعاً مع احترامي لبعض الأشخاص الذين هم فعلاً مبدعين في مجال عملهم وهؤلاء استثناء والاستثناء لا يلغي القاعدة.

ملف الاطباء العرب في أوروبا، مع بعض الاستثناء، يحتاج إلى مجلدات، فحدث ولا حرج، فهناك تجارة طبية تختص طبعاً باطباء العالم الثالث وخاصة العرب منهم اسمها ( تجارة التأمين الصحي )، والأمر ذاته، على صعيد ملف الجمعيات العربية والإسلامية، فكل صحف العالم لا تستطيع أن تكتب عن مشاكلها، فهناك

عشرات الجمعيات التي تأسست على أساس عائلي قبلي وكأننا نعيش في اليمن، (فمثلاً لا تستغرب عندما تسمع أن هناك جمعية باسم جمعية العواودة، نسبة إلى دار أبو عواد، أو جمعية العجارنة، نسبة إلى دار عجلان، وهلم جرا. جمعيات عربية أخرى لا تضم سوى الرئيس ونائبة، فإذا أراد نائب الرئيس أن يتمتع بكرسي العرش لبعض الوقت ويصبح رئيساً، فإن سيادة الرئيس الأول - يزعل - ويترك جمعيته (مضافة أبو محمود) التي أسسها، ويؤسس جمعية أخرى تحت عنوان (مضافة أبو حامد)، وقد يلجأ إلى تأسيس جمعية ثالثة بعنوان (مضافة أبو حمدي) وهلم جرا.

أما إذا أردت الحديث عن وضع الطلاب العرب في أوروبا، إنه وضع صعب جداً... مثال: عندما تجري أي مؤسسة استطلاعاً للرأي بين الطلاب العرب، وتسال سؤالاً على سبيل المثال: هل تعرف من هو محمد عابد الجابري؟، أو خليل عبد الكريم أو الصادق النيهوم أو سبينوزا أو فورباخ أو يورغن هبرماس، فستفاجؤ أن النتيجة ستكون صفراً، أما إذا سألت في استطلاع للرأي كم دكتوراً مثلاً في العاصمة برلين ستجد أن النسبة كبيرة.

حدثني صاحبي: إنه تناقش مع طالب فلسطيني يدرس في إحدى الجامعات الألمانية الكبيرة لا يعرف من هو غسان كنفاني، كما أنني التقيت بطالب آخر يدرس هندسة نووية، ولا أعرف إذا كان يستطيع معرفة ما معنى النووي أصلاً، الدراسة فقط في المجال النظري.

بعد هذا، ماذا تختلف الجاليات العربية والإسلامية في أوروبا وأمريكا عن المجتمع السوداني أو المصري أو الفلسطيني أو المغربي أو الجزائري، لا شيء، كله نسخة واحدة، نفس «الديسك»، ديسك واحد موجود في رؤوسنا، في رؤوس كل الأمة العربية، لا توجد منظومة معرفية. أنا أعرف تمام المعرفة أن هذا الحديث للذين لم يعيشوا في الغرب صعب جداً، صعب جداً فهمه، كل شخص لم يعيش في الغرب لا يعرف ما معنى ما أقول أو على الأقل لا يعرف الخفايا التي تختبئ خلف هذه السطور، أو ألغاء بعض السطور.

حالنا يشبه المثال التالي، قلت لصديق لي أن جهاز الحاسوب عندي، يتعطل باستمرار، وأحياناً تخرج صفحات أو دعايات من الانترنت لا أريدها، فقال لي أريد أن أنظف لك الجهاز - علماً بأن معلوماتي في الحاسوب ليست قوية، جاء صديقي وقام بتنظيف الحاسوب، ذهبت كل البرامج القديمة، أحضر أقراصاً مدمجة وعليها البرامج، بعد ذلك عاد جهاز حاسوبي يركض مثل (الغزال)، شكرت صديقي، ثم انصرف. بعد ذلك، قلت، يا إلهي، لقد نظف صديقي جهاز الحاسوب من الأوساخ التي علقت به، كما ينظف الإنسان مكتبة البيت من الغبار التي تعلق بالكتب، وقلت في نفسي، ما هي الطريقة التي نظف بها عقولنا من الأوساخ التي علقت بها؟ فما دامت «الأوساخ» عالقة في رأس العربي الذي سافر وعاش في أوروبا لمدة أربعين عاماً أو

أكثر، ويعيش كما يعيش الناس في السودان ومصر والصومال وجيبوتي والمغرب، لا بد من مفكر أصيل مثل صديقي يأتي إلينا ويغير الديسك الموجود في عقولنا وينظف عقولنا من الأوساخ، كل ما يفيد هو تغيير الديسك في العقل العربي، ووضع برنامج جديد، لا يفيد استبدال مبارك أو بشار وجلب الإخوان المسلمين بل ينبغي تجذير تربية وفكر جديدين، فلا بد من مارتن لوثر عربي وفولتير عربي أيضاً. ما أريد أن أقوله بصريح العبارة، لا يوجد عقول عربية مهاجرة، كل الأسماء التي تظهر على شاشات القنوات الفضائية العربية، هي مجرد أسماء وهمية كاذبة لتعبئة البرامج الأخبارية والحوارية، فالفضائيات العربية تقوم باستضافة خبير سياسي في الشؤون الشرق أوسطية من باريس أو رئيس مركز الديمقراطية وحقوق الإنسان من لندن، ويكون المركز عبارة عن طاولة في بيته، مجرد وهم لا يمت للواقع بصلة.

«الديسك» الموجود في عقل الإنسان العربي هو ذاته في فلسطين والسودان ومصر وفرنسا وأمريكا بحاجة إلى تنظيف، قصدي بحاجة إلى تبديل، ووضع دييسك آخر مختلف تماماً، نحن بحاجة إلى تربية جذرية شاملة، جديدة، وأخرى. . سؤال بانتظار الإجابة من المفكرين العرب، أن وجدوا.

#### ٤ . ٢ التعليم المجاني والمؤطر

نعني هنا بالتعليم المؤطر، أي النقدي، أي البحث العلمي وليس الامتحان، هذا الأمر الخطير تنبه له عميد الأدب العربي عام ١٩٢٥ طة حسين عندما كتب مقالاً قال فيه: (الامتحان يدمر أخلاق الطالب على الصعيدين الأكاديمي والسياسي).

أولاً: دعونا نستعرض بلغة الأرقام الفارق الهائل في المعرفة بين الوطن العربي والغرب على الرغم من وجود الآلاف المدارس والجامعات في بلادنا لكي نعرف أهمية ما معنى التعليم النقدي أو المؤطر: معدل قراءة الإنسان الغربي سنوياً ٢٠٠ ساعة مقابل ٦ دقائق عند الإنسان العربي، في حين بلغ عدد الأبحاث العلمية المحكمة ١١ لكل ١٠ الآلاف من السكان في العالم الغربي مقابل ثلث بحث في العالم العربي.

عدد براءات الاختراع العربية بين أعوام ١٩٠٠ - ٢٠٠٠ (٣٠٠) براءة اختراع، في حين بلغت في إسرائيل (٧٦٥٢) وفي كوريا (١٦٣٢٨).

في أوروبا عدد الذين يقرؤون الصحيفة لكل ١٠٠٠ من السكان ٢٨٥ صحيفة يوماً مقابل ٥٣ صحيفة في العالم العربي، في حين بلغ إنفاق الجامعة في الوطن العربي على الطالب ٢٤٠٠ دولار سنوياً مقابل ١٤٢٠٠

دولار في إسبانيا التي تترجم عدد الدول العربية مجتمعة، العرب يشكلون ٦٪ من نسبة سكان العالم بينما يشاركون في ١.١ في صناعة الكتاب سنوياً على المستوى العالمي، وأخيراً أنفق العرب لغاية الآن على التكنولوجيا المعلبة ١٠٠٠ مليار<sup>٨٣</sup>.

والآن: أين الخلل، ولماذا؟ في اعتقادي يكمن الخلل في التعليم/ أداة ومضمون، مثلاً، أتساءل أحياناً ما فائدة أن يُعقد امتحان لطالب الإعلام لكي يجيب فيه على اسئلة مثل عدد أو أذكر أو عرف أو اكمل الفراغ التالي أو ضع صحح وخطأ أو دائرة حول الإجابة الصحيحة.

لماذا لا يكون الامتحان في غرفة تحرير يكتب فيها الطالب نشرة أخبار أو تقرير أو إجراء مقابلة صحيفة أو اذاعة أو يقوم بعمل تحقيق أو قصة اذاعية، وهكذا دواليك لكي ترتبط الجامعة بالمجتمع ويتخرج الطالب حينها مبدعاً وناقداً في ان معاً؟

عندما تقول لطالب الإعلام عدد أو أذكر، يعني ذلك: انك حولته من حيث لا تدري إلى إنسان يصمم ويحفظ ولا يفهم ما يدور حوله، يعني: تعليم بصمي مثله مثل التوجيهي وهذا مغاير تماماً للتعليم النقدي المبني على النقد والمشاركة والإبداع وملازمة الحياة الواقعية وتشجيع النقاش الجماعي وتقبل الرأي والرأي الآخر وأيجاد حلول علمية وحقيقية لمشاكلنا المعاصرة.

رب أحد يسأل: كيف يقيم الطالب في الجامعات الأوروبية؟ من خلال دراستي التي امتدت عشر سنوات في ألمانيا، يقيم الطالب في الجامعة التي درست فيها من شقين: عرض يلقيه الطالب أمام الطلاب وبحث علمي يسلمه في نهاية الفصل الدراسي، اما العلامة فقد كانت توزع على النحو التالي: ١ وتعني ممتاز، ٢ وتعني جيداً، ٣ وتعني جيد، ٤ وتعني مقبول، ٥ وتعني راسب.

استغرب أحياناً بان يحصل الطالب الجامعي على علامة ٦٩٪ وبالتالي تقف علامة واحدة امام تخصص الطالب لكي يلتحق بدائرة الإعلام، وهذا في اعتقدي مخالف جداً للمنطق لان علامة واحدة لا تعني ان الطالب يستحق دخول قسم الإعلام أم لا، بينما دخول التخصص يجب أن يكون على أساس الإبداع.

نقطة أود التركيز عليه وهي: أن القسم الأكبر من طلابنا الذين يتخرجون من الجامعة يتخرجون وهم في سن مبكرة جداً، في أحياناً كثيرة يكون عمر الطالب ٢٠ أو ٢١ عاماً وهذا يعتبر كارثة بحد ذاته لسبب بسيط وهو: هناك علاقة مباشرة بين الوعي والسن. بمعنى آخر: أن الطالب يسعى جاهداً إلى سياسة حرق المراحل، الزمن

مهم جداً لأن الإنسان يتعلم من خلاله التجارب ويتصل مع أكبر عدد ممكن من الناس، إلا أن الكثير من الطلاب يشعرون أن الجامعة تعتبر حملاً ثقيلاً عليهم ولا بد من التخلص من هذا الحمل في أسرع وقت ممكن.

أعذر طلابنا أحياناً لأنهم يسرعون في الدراسة بسبب الوضع الاقتصادي والسياسي في بلادنا ولكن لا بد من الاعتراف بأن ذلك يعتبر في غاية الخطورة:

إن حرق المراحل لا يفجر البذرة أو الطاقة الكامنة عند الطالب، بل يقيه كما هو وكأنه التحق بالجامعة فقط منذ يوم أمس، لم يتغير إبداعياً أو عقلياً أو سلوكياً، بل أصبح رقماً جديداً أضيف إلى أعداد العاطلين عن العمل.

ما أريد قوله: هو أنه لن نحل مشاكلنا إلا عن طريق إصلاح نظام التعليم أداة ومضموناً، كيف:

#### الأداة:

١. تشجيع الأستاذ على مواصلة البحث العلمي ونيل الدرجات العلمية العالية، وتوفير الفرصة له لكي يشترك في المؤتمرات العلمية والدولية باستمرار لكي يجدد المعلومات لديه، وتوفير الراتب المادي للأستاذ لكي يتفرغ فقط للتعليم.
٢. توفير القاعدة اللوجستية للطلبة من مختبرات علمية وأجهزة حديثة واستوديوهات وشاشات عرض ومسارح للنقاش وغير ذلك، بدلاً من الاعتماد فقط على الجانب النظري.
٣. إدخال البحث العلمي والعرض الأكاديمي في الجامعة كقياس لإبداع الطالب بدلاً من الامتحان الذي يأتي على صيغة: ضع دائرة حول الإجابة الصحيحة أو اكمل الفراغ التالي أو صح وخطأ أو عرف المصطلحات التالية أو اذكر أو عدد.

#### المضمون:

١. إدخال مادة الفلسفة والمنطق في المرحلة الثانوية بالمدرسة لكي ننمي التفكير عند الطالب.
٢. إدخال تعديلات باستمرار على المناهج الأكاديمية من قبل خبراء متخصصين مؤهلين وضرورة ربط المناهج الأكاديمي بواقع المجتمع.
٣. إدخال تخصصات جديدة في الجامعة مثل الفلسفة والمنطق والأخلاق وتدرّس علوم الاكسيولوجيا (البحث في مفاهيم القيم)، وعلم السوسولوجيا (الاجتماع السياسي)، وعلم الانثروبولوجيا (الإنسان)، وعلم المستقبلات وعلم الأديان المقارنة والترجمة والموسيقى.
٤. التطرق إلى أبرز المفكرين في الوطن العربي، فلا يعقل مثلاً أن يتخرج الطالب من المدرسة أو من الجامعة دون أن يعلم مثلاً بابن رشد والفارابي وابن خلدون وابن حزم وابن طفيل وهشام شرابي

وإدوارد سعيد وسلامة موسى ومحمد عابد الجابري وعلي حرب وعبد الله العروبي وإبراهيم أبو لغد وطة حسين وأبو العلاء المعري ونيثشة وعبد الرحمن بدوي وأحمد فؤاد نجم ونجيب محفوظ وفولتير وعبد الرحمن منيف والطيب صالح وغسان كنفاني وأدونيس وهشام جعيط وغيرهم الكثير .  
٥ . ربط المساق بمكتبة الجامعة، في الجامعات الغربية لا يوجد «دوسية» يحفظها الطالب عن ظهر قلب «كالبغواء» ومن ثم يقدم فيها امتحاناً في نهاية الفصل الدراسي .

بعد كل هذا وذاك، يأتي دور «غربة» الطلبة، بمعنى آخر، أن الطالب الذي لا يبدع لا يجوز أن يبق له مكان داخل الجامعة، عليه أن يغادرها، بمعنى آخر ليس كل من سجل في الجامعة يستطيع أن يستمر فيها، عليه أن يبذل جهداً كبيراً، ليس كل من سجل في الجامعة سوف يحصل على شهادة تلقائياً، عليه أن يبدع وينضبط ويحترم الوقت .

الطالب يجب أن يصل إلى قناعة مفادها أنه بدون إبداع لن يستطيع إكمال دراسته الأكاديمية، أغلب الطلاب يعتقدون أن الجامعة مثل «دار أبو سفيان من دخلها فهو آمن»، هذا غير صحيح، هناك بعض الجامعات من يحصل فيها الطالب على علامة ٦٠٪ يقوم بتنظيم احتفال لزملاءه كما في جامعة دمشق السورية مثلاً، عندنا «يزعل» الطالب لان علامته فقط ٧٩٪ .

بدون إنسان متعلم تعليم حقيقي نقدي ومؤطر نقى في دائرة الجهل، فالجهل لا يقود إلا إلى الطاعة والقهر والكبت والمشى مع القطيع والانسحاق الذاتي والتلقين .

وهذا لن يأتي إلا عن طريق التعليم المؤطر الحقيقي، وليس التعليم العادي التقليدي التلقيني، فالفرق بين الاثنين كالفرق بين الأرض والسماء، فالتعليم العادي يعطيك شهادة ولقب ووجهة اجتماعية، أما التعليم النقدي فهو يعطيك طالب جامعي متنور مبدع يعرف لماذا يعيش؟ وأين يعيش؟ وماذا يدور حوله؟، التعليم المؤطر الحقيقي يعطيك طالب جامعي متعلم، والتعليم التقليدي التلقيني يعطيك طالب جامعي أو «متعلم أُمي» على حد رأي المفكر المغربي عبد الله العروبي .

الإنسان الجديد هو الذي ينتج الفكر، الفكر يخلق الأنا، يفجر طاقة الإنسان، يخلق الوعي والذات والبذرة، ويشغل جهاز الإرسال والاستقبال، ويزرع التمرد والإرادة في النفس والصدق والشعور بالذات والاكتشاف والاختراع والبحث العلمي والعمل والنظام والنظافة والترتيب واحترام الوقت .

كل هذا يحرك شيئاً ما بداخل الإنسان، يفجر بذرة بداخله، لكي لا يبقى رقماً، بل صانعاً للحدث، هنا يُخلق

الفكر، والفكر يخلق إنساناً، والإنسان يخلق مؤسسة، والمؤسسة تخلق دستوراً وقانوناً وإعلاماً، بعد ذلك تأتي الدولة، غير ذلك، من سابع المستحيلات، كما يقولون.

رب أحد يقول إن الدول العربية مليئة بالجامعات والمعاهد التعليمية العليا كما يوجد لدينا في إمارة أبو ظبي جامعة السوربون، وهناك الجامعة الألمانية - المصرية، وأكثر من ٢٥٠ جامعة في العالم العربي، هذا الكلام غير صحيح فكل ما هناك بنايات بدون وجود برامج تعليمية محكمة وفي ظل أنظمة عقلية عشوائية.

من خلال تجربتي الدراسية في الجامعات الألمانية، تعتبر كلية الفلسفة العمود الفقري للجامعات الألمانية، لأن الفلسفة تعتبر المحرك الرئيسي لبناء مجتمع يفكر ويتكرر. أنا لم أع ما معنى كلية الفلسفة إلا بعد قدومي إلى ألمانيا ففي الجامعة التي تخرجت منها من فلسطين، لا يوجد للأسف الشديد قسم للفلسفة في تلك الجامعة، ولكنني لا أعرف لغاية الآن سبب عدم وجود قسم للفلسفة في تلك الجامعة.

على كل حال الفرق بين الجامعات العربية والجامعات الألمانية فرق شاسع وكبير جداً، للأسف في العديد من المجالات، فالطالب الألماني يركز على البحث العلمي وكيفية تطوير نفسه بعكس الطالب العربي الذي يركز على الشهادة الجامعية باعتبارها وجهة اجتماعية وعلى العلامة التي تميزه عن باقي الطلبة الآخرين، والعلامة هنا، على كل حال، لا تعني أن الطالب مبدع مبتكر.

في الجامعات الألمانية يتم تقييم الطلبة من خلال قيامهم بالقاء محاضرة أمام الطلبة عن موضوع ما، فإذا كان الطالب يدرس على سبيل المثال العلوم السياسية وأخذ مساق عن الشرق الأوسط فيستطيع ان يلقي محاضرة مثلاً عن الحرب الأمريكية في العراق أو عن نتائج الحادي عشر من سبتمبر أيلول ٢٠٠١ أو الحرب الأمريكية في أفغانستان، وبعد أن يلقي الطالب المحاضرة يقوم بالإجابة على أسئلة زملاءه، الأمر الذي يشجعه على البحث العلمي والتخصص وعلى الوقوف أمام الطلبة وإلقاء المحاضرة مما يعزز ثقته بنفسه ويعطيه شجاعة بأنه يستطيع أن يقول رأيه بكل وضوح ودون خجل أو خوف.

هذا هو الشق الأول من تقييم الطالب في الجامعات الألمانية، أما الشق الثاني فإن الطالب يقوم في نهاية المساق بكتابة بحث علمي لا يتجاوز العشرين صفحة، وهذا البحث يجعله يبحث على الأقل في عشرين مصدراً ما بين كتاب وبحث علمي وعلية يقوم البروفيسور بتقييم الطالب في نهاية المساق.

على العكس تماماً فإن الجامعات العربية تقوم بتقييم الطالب من خلال إجراء الامتحانات الكتابية للطالب

الأمر الذي يجعله فقط يركز على العلامة ويحفظ الإجابة عن ظهر قلب وعندما ينتهي الامتحان تنتهي كل المعلومات التي حفظها الطالب تماماً كما يحصل تماماً عند امتحان التوجيهي ، فأنا شخصياً سهرت الليالي من أجل اجتياز امتحان الثانوية العامة وحفظت كتب التاريخ والجغرافيا عن ظهر قلب والآن نسيت كل شيء ، للأسف الشديد ، الجامعات في العالم العربي هي عبارة عن مدارس ثانوية تركز فقط على التدريس وإعطاء الشهادة الكرتونية من أجل المفاخرة الاجتماعية بعكس الجامعة الألمانية التي تركز على البحث العلمي والإبداع وتثقيف الفرد وحثه على أن يكون عنصراً فعالاً في المجتمع لا رقماً زائداً بين الأرقام .

قبل عدة أشهر جرت مناقشة مع أستاذ جامعي عربي حول الفرق والبون الشاسعين بين الجامعات العربية والألمانية فقال بالحرف الواحد وأنا مع فكرته قلباً وقالباً إنه مع خصخصة الجامعات العربية من أجل تطويرها فافضل الجامعات في العالم (جامعات النخبة) هي جامعات تنتمي للقطاع الخاص مثل جامعات هارفارد وكولومبيا وبراون ولييل وشيكاغو .

تعتبر الجامعات الألمانية هي العمود الفقري لتطور المجتمع الألماني وكل العلماء والمثقفين تخرجوا من الجامعات ، فالطالب الجامعي الألماني يذهب إلى الجامعة من أجل ان يتعلم ويتطور ولا يعتبر الجامعة مكاناً للتسامر أو تحويل حرمها الجامعي إلى مجمع للسيارات الفاخرة كما شاهدت بنفسي في بعض الجامعات العربية .

هناك نقطة مهمة أيضا في العالم العربي ، وهي نقص التخصص في الأقسام التقنية ، فعلى سبيل المثال لا الحصر تعتبر نسبة الطلبة الذين يدرسون الدراسات الأدبية في الجامعات العربية ٧٠٪ مقابل ٣٠٪ يدرسون الدراسات التقنية ، الجامعات في العالم العربي يجب أن تتحول من اسم شكلي إلى مختبر فعلي نشط على ارض الواقع وأن تساهم الجامعة في الحراك السياسي وأن تكون الجامعات منبراً للرأي الحر ولتخريج العظماء والنوابغ من خلال توفير المنح الدراسية للطلبة المبدعين وليس المتوقفين في العلامات فقط .

يجب على «الجامعات العربية» أن تقوم بفتح اقسام تقنية في العالم العربي ، ولماذا لا ترفد الجامعات العربية ووزارات التربية والتعليم في العالم العربي الآلاف من الطلبة العرب للدراسة في الجامعات الغربية ونقل التخصصات التقنية إلى العالم العربي ورحم الله الكاتب الكبير سلامة موسى الذي طالب بنقل ما اسماء ( أيولوجية الالة) من الغرب إلى العالم العربي ، أعرف كل المعرفة بأنه إذا تم ردف الآلاف من الطلبة العرب إلى الجامعات الغربية ، فسوف يتزوجون هناك من غريبات ويحصلون على جنسية البلد الذي يعيشون فيه ، ولن يعود إلى الوطن العربي سوى ٥٪ ، وأحياناً أقول (معهم حق) .

---

أود التركيز على نقطة أخرى وأخيرة، وهي في غاية الأهمية، أن الجامعة أو المنطقة لا تلعب دوراً أبداً في تأهيل الطالب، فقد يكون طالبا في جامعة محمد الخامس في المغرب أفضل مئة مرة من طالب درس في جامعة أكسفورد البريطانية، البذرة هي الأساس، إذا وجدت البذرة وجد التطور وإذا انعدمت انعدم التطور، حتى لو كان الشخص في جامعة هارفارد، هذه أسماء فقط، لا يعرف معناها إلا كل شخص سافر إلى الغرب وعاش هناك.

## ٥. الربيع العربي في الخطاب الإعلامي

### ٥ . ١ الإعلام بين التنوير والأجندة السياسية ١٣٩

يعرف بعض فقهاء الإعلام الإعلام بأنه «تزويد الجماهير بالمعلومات والأخبار بقصد التأثير عليها وإقناعها»<sup>١٠٠</sup>، لكن كيف يحدث التأثير: عن طريق معلومات، جزء من المعلومات، حجب المعلومات، صورة، جزء من الصورة، صورة دون أخرى، صورة ونص، تغيير الصورة عن طريق النص، نصّ ونص ديني، وما معنى «التأثير» هل هو تنوير الفرد، تثقيفه، زرع قيم لديه، معرفه، معلومات، أخبار، أدلجة.

قبل الانتقال إلى مثال توضيحي دعونا نستعرض مقال لرئيس تحرير صحيفة «القدس العربي اللندنية» عبد الباري عطوان - لنبين أن التغطية الإعلامية «للثورات العربية» تمت وتتم وفق أجندة سياسية وليس بناء على حدث -، ومن المعروف أن الأستاذ عطوان صحافي له حضوره في وسائل الإعلام البريطانية وخاصة ال بي بي سي، كما أنه كان إحدى الشخصيات المشهورة على قناة الجزيرة القطرية، كتب عبد الباري في صحيفته مقالاً بعنوان «تفرقة إعلامية بين الثورات» كتب يقول: (لنقرأ جيداً)

«سألت الصحافية البريطانية سو اللويد روبرت التي تعمل في محطة تلفزيون «بي . بي . سي» مسؤولاً سعودياً كبيراً في السفارة السعودية في لندن عما إذا كانت بلاده ستشهد مظاهرات مثل بقية الدول العربية الأخرى . فأجاب بأنه: لا يستبعد ذلك ولكنه لا يتوقع أن يكون لها أي تأثير، وعندما استفسرت عن أسباب اطمئنانه الملحوظ والراسخ، قال لها وابتسامة عريضة على وجهه: السبب بسيط وهو أنه لن تجرؤ أي قناة عربية أو أجنبية على تغطيتها وبث وقائعها مثلما حدث في مصر وتونس ويحدث حالياً في ليبيا.

«تذكرت كلام هذا المسؤول السعودي يوم أمس، وأنا اقلب معظم المحطات التلفازية بحثاً عن تقرير أو خبر عن مظاهرات احتجاج دعت إليها جهات سعودية معارضة للنظام، أو حتى الاستعدادات الأمنية المكثفة للتصدي لها في حال قيامها، ولكن دون جدوى، كل ما عثرت عليه هو أخبار مقتضبة جداً، وغير مصورة، عن مظاهرات وقعت في المنطقة الشرقية حيث تتركز الأقلية الشيعية، وإصابة ثلاثة أشخاص بجروح نتيجة إطلاق رجال الأمن النار على المتظاهرين».

«الصحافية البريطانية المذكورة حصلت على تأشيرة دخول إلى المملكة لإجراء سلسلة من التحقيقات عن المرأة السعودية، وبعد انتظار دام أكثر من ستة أشهر، وعندما علمت بأنباء مظاهرات الهفوف والقطيف في منطقة الاحساء ذهبت إلى هناك وصورته هذه المظاهرات، ولكنها فرحة لم تكتمل، فقد هاجمتها مجموعة من رجال الأمن وصادرت جميع الأفلام، واقتادتها وزميلها المصور رهن الاعتقال إلى مدينة الرياض حيث جرى تسفيرهما على أول طائرة مغادرة إلى لندن».

«هذه الواقعة تؤكد أن هناك «تفرقة سياسية» في تغطية الثورات في الوطن العربي تمارسها بعض محطات التلفزة العربية والأمر هنا يتوقف على اعتبارات عديدة، بعضها يعود إلى عامل النفط، والبعض الآخر «جغرافي»، وثالث له علاقة بأمريكا، ورابع «طائفي» وأحيانا يتداخل أكثر من عامل في هذه المسألة».

«بمعنى آخر هناك «ثورات حميدة» وأخرى «خبثية» في نظر الفضائيات العربية والأجنبية، الأولى تتطلب الدعم المفتوح على الاصعدة كافة، والثانية يجب ان يتم التعقيم عليها، وتطوير فعاليتها، والامتناع عن تقديم أي دعم إعلامي أو سياسي لها بكل الطرق والوسائل».

«المتظاهرون في البحرين يشكون من الشكوى من اهمال الفضائيات العربية لهم، ويقولون انهم يثرون للأسباب نفسها التي ثارت من أجلها الجماهير المصرية والتونسية والليبية. ويتمسكون بالطابع السلمي والحضاري لاحتجاجاتهم، ويطالبون بالإصلاح السياسي. وليس تغيير الحكم، ومع ذلك يواجهون بالإهمال واللامبالاة، وإذا حصل خروج عن هذا الوضع، فعلى استحياء شديد».

«... ولعل أغرب الانتقادات جاءت من سلطنة عمان، حيث شهدت البلاد سلسلة من المظاهرات الشبابية المطالبة بالإصلاح، مرفوقة بالكثير من العتب بل والغضب، من تجاهل الفضائيات، والإعلام العربي عامة لمثل هذه المطالب، ويصرخون قائلين بأنه اذا كان النفط هو عامل الاهتمام فنحن لدينا شيء منه، واذا كان الفقر والبطالة عاملان آخران فلدينا منهما الكثير أيضا».

«الصحوة العربية التي انطلقت من مدينة بوزيد التونسية ووصلت شرارتها إلى دول عديدة، تواجه حاليا بصحوة أمريكية مضادة، بهدف حرف هذه الثورات عن أهدافها، ومحاولة تدجينها، وهذا ما يفسر الجولة الحالية للسيدة هيلاري كلينتون وزيرة الخارجية الأمريكية في المنطقة التي ستبدأ من تونس مروراً ببنغازي وانتهاءً بالقاهرة».

وأختتم عبد الباري عطوان حديثه بالقول: «صحيح إنه لا بواقي على شهداء ثورات «التيتم الإعلامي» في

البحرين وسلطنة عمان واليمن والعراق، ولكن الصحيح أيضا، أن عجلة التغيير انطلقت، وإرادة الشباب اقوى من أن تتوقف في منتصف الطريق، حتى تحقيق كل مطالبها العادلة»<sup>١٤١</sup>.

الإعلام العربي/ الخطاب الإعلامي العربي والاصح الخليجي يسعى إلى فرض أجندة سياسية خاصة به، بالتعاون مع بعض الدول الغربية الذي يتعامل معه في السر والخفاء.

علينا أولاً أن نعترف أن هناك فرق كبير جداً بين الدولة في الغرب باعتبارها مؤسسة تاريخية وبين «الدولة» في العالم العربي التي يمكن أن نطلق عليها مؤسسة للخدمات<sup>١٤٢</sup>، هذه الأخيرة، لديها ماكينات تبث خطاباً إعلامياً أو مؤدج حولت ثورة الياسمين في تونس إلى حريق، أشعل في مناطق جغرافية عربية دون أخرى، والمقصود بالأخرى هنا دول الخليج العربي بما فيها البحرين وعمان.

لكن ما المقصود هنا بالتنوير يعني: توعية الفرد، وتثقيفه، وتنويره، تشغيل جهاز الارسل والاستقبال لديه، تفجير البذرة عنده، بكل ما يدور حوله من قضايا، في جميع المناطق الجغرافية، وعدم حصر الأمور في تزويده بمعلومات عن ما يحدث أو بجزء من تلك المعلومات، فالتنوير هنا أوسع من الإعلام، ولهذا يدعي جزء من الإعلاميين العرب أن الإعلام سطحي، وهذا غير صحيح، فالإعلام في أوروبا ليس سطحيًا، ولا تنحصر مهمته، قام أو حدث أو قتل أو غرق مثلاً.

لأن الإعلام في أوروبا تنويري لكن الإعلام العربي، لا يقوم بعملية التنوير، أو حتى بالأخبار عن معلومات، بل إن ما يقوم به، هو إيصال جزء من المعلومات للمتلقي لأنه يشكل الرأي العام العربي وفق أجندة سياسية تتوافق والمصالح السياسية لبعض الدول وارتباطاتها الاقليمية<sup>١٤٣</sup>.

#### مثال أول:

تعتبر لبنان دولة المحاصصة الطائفية بامتياز، ففي لبنان لا يوجد نظام ديمقراطي، بل هناك تقسيمة واضحة للمناصب السياسية في البلد، ولا نقول في الدولة، لأنه لا يوجد دولة أصلاً، فهناك المسيحيين، حزب الكتائب وحزب القوات اللبنانية، ولهم منصب رئيس الجمهورية، ويوجد لهم إعلامهم الخاص مثل «البي بي سي» و«ام تي في»، وهناك المسلمون السنة، ولهم منصب رئيس الوزراء، ولهم إعلامهم الخاص مثل «المستقبل»، والمناصب السياسية هنا بالوراثة، كالأنظمة الملكية، وهناك أيضا الدرروز وعلى رأسهم الحزب التقدمي الاشتراكي، وهؤلاء تدعمهم العربية السعودية وفرنسا بكل قوة، في الجهة المقابلة، هناك المسلمون الشيعة، وعلى رأسهم جماعة حزب الله، وحركة أمل، ولهم إعلامهم الخاص، وهو تلفزيون المنار، هذه

الجماعة لها منصب رئاسة البرلمان، وتدعمها كل من سوريا وإيران، لقد شكل مقتل العميد وسام الحسن مدير وحدة المعلومات في جهاز المخابرات اللبناني الداخلي يوم الجمعة الموافق ١٩ . ١٠ . ٢٠١٢ مثلاً حياً على حالات الهستيريا التي اصابت البلد، بحيث تحول لبنان إلى عصابات متناحرة، بفعل التحريض الإعلامي التي كانت تقوم به تلك المنابر الإعلامية، وكانت كل جهة تتهم الجهة الاخرى بانها تنفذ أجندة اجنبية .

مثال ثان :

في اليمن هناك قناة اليمن التي يسيطر عليها بقايا نظام علي عبدالله صالح، وقناة سهيل التي تدعي وقوفها إلى جانب الشعب، والتجيش الإعلامي التي تقوم به كل جماعة ضد الجماعة الأخرى .

مثال ثالث :

في الحالة الفلسطينية، فقد كان تلفزيون فلسطين يحشد بكل قوته للانتخابات البلدية والقروية التي نظمت يوم السبت الموافق ٢٠ . ١٠ . ٢٠١٢، بينما كانت قناة الأقصى، تبث نشرات أخبار معظم عناوينها تركز على: «أن حركة فتح نافست نفسها، أو أن الانتخابات كشفت مدى الفجوة وعدم الثقة بين الرأي العام والفصائل الفلسطينية» كما كانت تطعن في شرعية التمثيل الفلسطيني، وكأنه أصبحت هناك منطقتين مغايرتين .

مثال رابع :

العراق يعيش في حالة تناحر وتصارع قومي ومذهبي واثني وعرقي إلى درجة لا توصف، فإعلام البلد مقسم بين الاكراد الذين يحكمون شمال البلاد، والمسلمون السنة الذي يعيشون في الوسط، والشيعية الذين يعيشون في الجنوب، ولكل قومية أو مذهب إعلامها الخاص الذي يدافع عن أفكارها وأعمالها .

مثال خامس :

هناك فرق بين ثلاث قنوات تبث من نفس المنطقة الجغرافية وهي الجزيرة العربية<sup>١٤٤</sup> والانجليزية والقطرية، فالأولى تبث للعالم العربي، أي لأحمد ومحمود مثلاً، وهو عالم عاطفي «يطيش على شبر ميه» كما يقولون، ولكن القناة تستخدم العاطفة، أو ما يطلق عليه الاستعارة لتجنيد الرأي العام العربي وفق أجندة سياسية بحتة . في حين تستخدم الجزيرة الإنجليزية وهي موجة للرأي العام الغربي أي لجلك وجورج المعلومة فقط، لأنها تعرف أن جورج الانجليزي لا يستقبل الا المعلومة، لأن الشعوب الغربية شعوب واعية، من خلال متابعة هذه القناة تستطيع أن تعرف أن رئيس التحرير هو عقلية غربية وليست عربية، تعرض القناة نشرة أخبار متنوعة تقريباً، لا تركز على الموضوع السوري فقط، في حين تستخدم قناة قطر التي تبث فقط لسكان قطر رسائل إعلامية، لتمجيد العائلة الحاكمة حيث تستغل العائلة ما نسبته ٧٠٪ من النشرة الرئيسية في المناسبات التي

قضتها العائلة في ذات اليوم ضمن نشرتها الأخبارية، ويغيب شعار الرأي والرأي الآخر عن برامج القناة .

مثال سادس :

في حرب لبنان «تموز عام ٢٠٠٦» وأثناء العدوان الإسرائيلي على جنوب لبنان والمعارك التي اندلعت مع حزب الله الشيعي اللبناني انقسم الإعلام العربي على نفسه، فقد وقفت قناة الجزيرة القطرية وقنوات سوريا والدنيا وقناة الاقصى التابعة لحركة حماس وقناة المنار التابعة لحزب الله اللبناني وقناة العالم الايرانية جميعاً وقفوا إلى جانب حزب الله اللبناني بعكس قناة العربية التي وقفت ضد حزب الله اللبناني وحركة حماس وإيران وسوريا .

وهذا السيناريو تكرر مرة أخرى في حرب غزة عام ٢٠٠٨ .

لكن مع اندلاع «الحراك في سوريا» لاحظ أن قناة الجزيرة القطرية والعربية السعودية والمستقبل الحيرية، وقفوا إلى جانب الثورة السورية، بينما وقفت قنوات المنار والعالم وسوريا والدنيا بالإضافة إلى قناة الميادين اللبنانية والتي يرأسها الإعلامي اللبناني المنشق غسان بن جدو إلى جانب سوريا ضد المعسكر الأول، فيما خرجت قناة الاقصى من جبهة سوريا-حزب الله وانضمت جبهة إيران وقطر ومصر .

إذن، المسألة هنا، ليست تداول خبر، فبعد أن كانت قناة الجزيرة القطرية وقناة المنار الشيعية اللبنانية «صديقتان» في حرب تموز عام ٢٠٠٦، أصبح الخبر الأول في قناة الجزيرة الخبر السوري وأصبح يمتد لأكثر من ساعة، بينما احتل الخبر البحريني الخبر الأول في قناة المنار الشيعية، حتى أن قناة سوريا التي كانت تتغنى يوماً ما بالجزيرة في حرب تموز ٢٠٠٦ أو حرب غزة ٢٠٠٨ أصبحت قناة مؤامرة وفتنة إعلامية من وجهة نظر النظام السوري .

كما أن الجزيرة القطرية أخذت تشيطن حزب الله عن طريق بث صور قتلى الحزب بصورة متكررة وهم الذين قتلوا أثناء المعارك في سوريا مع الجيش النظامي أو بث أخبار عن حزب الله وهو يقصف برامجات الصواريخ بلدة القصير في سوريا، وقد سمعت بنفسي شتم وسباب ضد حزب الله من يساريين وإسلاميين، في حين كانت صورة زعيم الحزب حسن نصرالله صلاح الدين الايوبي عام ٢٠٠٦، أصبح حزب الشيطان عام ٢٠١٢ .

أذن ما يحرك الإعلام العربي، ويرتب نشرة أخباره هي المصالح السياسية بين الأنظمة السياسية بعكس الإعلام الغربي حيث يتم ترتيب النشرة الإخبارية بحسب المعلومة في ذلك اليوم ولا يتدخل السياسي مطلقاً في نشرة الأخبار أو ترتيبها أو حجب أي معلومة عن المواطن .

أتوقع لاحقاً، أن ينكشف غبار الخطاب الإعلامي من نشرة أخبار الماكينات الإعلامية بشكل أوضح، ولكن

بعد سقوط بشار الأسد، كما أتوقع، غدا، عودة العداء المسبق، والكامن بين الجزيرة والعربية، فهذا هو طارق الحميد رئيس تحرير صحيفة الشرق الأوسط اللندنية وأحد أعمدة الإعلام في العربية السعودية يشن حرباً إعلامية ضد يوسف القرضاوي، فكتب مقالاً بعنوان: «العودة لعصر الجمل»

«ها هي مصر تمر بمطب سياسي ثقيل آخر، على خلفية أحكام ما عرف بمعركة الجمل، ومحاولة الرئيس المصري إقالة النائب العام هناك، ثم العودة عن ذلك القرار، نظراً لأنه ليس من صلاحية الرئيس، لكن القصة كلها ليست بالاعتراض على الأحكام الصادرة على متهمي موقعة الجمل، ولا حول جدلية إقالة النائب العام، بل هي أكبر من كل ذلك».

القصة هي قصة من يريد إعادة الأمور إلى عصر الجمل، وليس الاحتجاج على الأحكام القضائية حول معركة الجمل.

وأبرز مثال على ذلك ما صدر مؤخراً عن الدكتور يوسف القرضاوي، المرجع الروحي للإخوان المسلمين، والذي طالب من ناحية حجاج بيت الله الحرام بالدعاء في مكة على من سماهم أعداء الأمة.

كما طالب، من ناحية أخرى، بإعادة محاكمة من تمت تبرئتهم بمحاكمة معركة الجمل. وقال: «إن النائب العام، ومن معه من قضاة لم يكونوا أمناء للأسف، لذلك أقاله الرئيس محمد مرسي وأحاله ليكون سفيراً بالفاتيكان، والنائب العام يقول إن الرئيس لا يستطيع أن يقيلني.. هذا عجيب.. هل هو نبي؟

ومن هنا يتضح أننا أمام حالة من الفوضى، والرغبة المستمرة في تدمير مفهوم الدولة، والقوانين، والأنظمة، والحصول على سلطات «روحية» تفوق سلطات الدولة والقانون، خصوصاً أن القرضاوي ليس بمفتي مصر، أو السعودية، أو المسلمين عموماً!

فمن هو القرضاوي حتى يوجه حجاج بيت الله الحرام للدعاء بقضايا معتمدة على رؤى، ومصالح، سياسية متقلبة؟ بل إن تسييس الحج يعد مخالفة للقوانين السعودية التي تستحق الاحترام، وطوال عمر الدولة السعودية، وهي لا تسمح بأن يكون الحج مجالاً للسجلات السياسية. فإذا كان القرضاوي يدعو للدعاء على أعداء الأمة في الحج، فإن بعضاً ممن يصفهم القرضاوي بأعداء الأمة مسلمون أيضاً، وقد يعتقدون أنهم هم على حق أيضاً ويرون أن من واجبه هم أيضاً الدعاء على من يرونهم أعداء للأمة، وليس كما يرى القرضاوي، فإذا لم يكن هذا هو الجدل، فما هو إذن؟ بل وكيف تستقيم دعوة القرضاوي مع قوله تعالى: «فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج».

أما قول الدكتور القرضاوي بأن النائب العام المصري ليس بنبي لكي لا يُعزل، فهذه قصة أخرى محيرة، فما قيمة القوانين والأنظمة والديساتير إذن؟ وما قيمة الحديث عن دولة القانون والمؤسسات، إذا كان القرضاوي يريد تهميشها، وتهشيمها، بموقف سياسي مغلف بخطاب ديني؟ وما قيمة القضاء أصلاً إذا

كان يجب ان يحكم وفقا لرغبات الشارع، الثائر أو غير الثائر، فحينها نحن لا نتحدث عن قوانين، ومحاكم، بل عن رغبة في الانتقام؟

«خطورة تصريحات الدكتور القرضاوي انها تلغي الدولة، وتهز من هيبتها، كما ان تصريحات الدكتور القرضاوي من شأنها ان تعيدنا لعصر الجمل، بدلا من ان تقود للانتصار لضحايا معركة الجمل! فخطورة تلك التصريحات انها تفرض على السنة مرشدا أعلى، وبرسم الواقع والتعود، واستغلالا للأحداث التي تمس الرأي العام العربي، ويتأثر بها. ولذا فمن المهم أن نتنبه لخطورة ذلك جيدا»<sup>١٤٥</sup>.

## ٥ . ٢ تأثير الإعلام على الفرد العربي

إن بين أساتذة الإعلام في الوطن العربي بعض وعلى رأسهم د. فاضل محمد البدراني في كتابه «الإعلام وصناعة العقول»، أنه يتم التلاعب في مفردات الخبر أو في الصورة للتأثير على الرأي العام العربي، حتى أنه أطلق على الخبر بـ «صناعة الخبر»<sup>١٤٦</sup> أو ما أطلق عليه صورة مجزوءة<sup>١٤٧</sup>.

التأثير الذي تقوم به وسائل الإعلام العربية وخاصة الخليجية منها، يتم عبر التلفاز، لانه صورة أو جزء من الصورة وأحيانا صورة مباشرة.

انتشار نسبة الأمية في الوطن العربي لعب ويلعب دوراً كبيراً وما يزال يلعب في ذلك، فقد بلغ عدد الأميين في الوطن العربي قرابة ٧٠ - ١٠٠ مليون امي منهم ١٨ مليون أمي في مصر من اصل ٨٠ مليون (هناك ٤ مليون أمي في ألمانيا من أصل ٨٠) فالمواطن العربي يتجه نحو مشاهدة التلفاز أكثر من أي وسيلة إعلامية أخرى لأنه لا يتقن القراءة والكتابة، فالتلفاز أداة سهلة تتكون من صوت وصورة، فهناك سلطة هائلة للصورة وغياب شبه كامل للنشاط الذهني، وهذا يسهل تدفق المعلومات وإنتاج المعنى الذي تريده الأنظمة السياسية القمعية. هناك عدة أمثلة حية من الواقع سوف نعرضها لنبين أن وراء نشرة الأخبار أجندة سياسية وليس حدثاً سياسياً فقط للتأثير على المواطن باتجاه رؤية أو موقف دون آخر، كما سنثبت بأن قطر التي تدعم قناة الجزيرة القطرية تدعم أيضاً إعلامياً التنظيم العالمي لجماعة الإخوان المسلمين وكافة التيارات الأصولية في الوطن العربي.

فأثناء تغطية الحرب الإسرائيلية على لبنان «حرب تموز» عام ٢٠٠٦ انقسم الإعلام العربي على نفسه فقد وقف لصالح حزب الله كل من قناة الجزيرة القطرية وسوريا والمنار والاقصى، بينما وقف عكس هذا التيار كل من قناة العربية السعودية والمستقبل التابعة لرفيق الحريري.

وهذا الأمر انطبق أيضا على حرب غزة عام ٢٠٠٨، لقد اشتعلت في هذه الفترة حرب مستعرة بين قطر

والسعودية تديرها قناتي الجزيرة والعربية، بينما كانت قناة سوريا تصف الجزيرة بأنها «قناة التنوير والمقاومة» في الوطن العربي.

وأثناء اندلاع «الثورة السورية» عام ٢٠١٢ انقسم الإعلام العربي مرة أخرى على النحو التالي: قناة الجزيرة القطرية والعربية السعودية والمستقبل الحريرية اللبنانية، بينما وقف في الجهة العربية سوريا التي وصفت الجزيرة بأنها «قناة الفتنة» والمنار والعالم الايرانية وانشق جزء من الجزيرة بقيادة الإعلامي غسان بن جدو وأسس قناة «الميادين» اللبنانية الموالية لنظامي سوريا وإيران.

فقد خلقت الجزيرة من حزب الله بطلاً عندما تعلق المكان بجنوب لبنان، بينما تحول حزب الله إلى شرير عندما انتقل مقاتلوه إلى سوريا، هنا تستخدم النص والصورة للتأثير على المشاهد، في الحالة الأولى استخدمت صور صواريخ حزب الله وهي تطلق على إسرائيل، وفي الثانية استخدمت صور راجمات صواريخ الحزب وهي تطلق حممها على بلدة القصير التي يسيطر عليها الجيش السوري الحر في سوريا.

مثال أول/ أخبار تهدف إلى أخونه الشارع العربي :

تابعت باهتمام نشرة أخبار الجزيرة يوم الاربعاء الموافق ١٩ . ٩ . ٢٠١٢ عند الساعة التاسعة صباحاً وكانت النشرة الأخبارية على النحو التالي :

٠٠ : ٩ - ٢٠ : ٩ تفاصيل مملدة جداً عن احداث «الثورة السورية» في كل مدينة وقرية وشارع .

٢٠ : ٩ - ٣٥ : ٩ أخبار عن الفلم المسئ للرسول والذي كان بعنوان «براءة المسلمين»<sup>١٤٨</sup>

٣٥ : ٩ - ٤٢ : ٩ احتجاجات السلفيين في تونس .

٤٢ : ٩ - ٥٠ : ٩ افتتاح ندوة عن الاسرى الاردنيين في عمان باشراف جماعة الإخوان المسلمين

٥٠ : ٩ - ٥٥ : ٩ افتتاح جناح إسلامي في متحف اللوفر الباريسي .

في هذه الأثناء كانت الجزيرة مباشر تنقل فعاليات مؤتمر عن الإسلاميين ونظام الحكم في تونس ، بعد ذلك بثت الجزيرة الأم برنامجاً عن دور الإسلاميين في تنشيط الاقتصاد في دول «الربيع العربي» .

واضح تماماً ، بما لا يدع مجالاً للشك ، أن القناة تدعم الأخبار التي تصب لصالح الحركات الإسلامية وخاصة جماعة الإخوان المسلمين ، فالقناة غير معنية بوجود تيار تنويري ، لأن الحركات الإسلامية أداة من أدوات السياسة القطرية الخارجية بالإضافة إلى وجود المال الخطاب الإعلامي ، لكن السؤال لماذا تقوم قناة الجزيرة أو الجزيرة مباشر بنقل كل شاردة وواردة عن أي شخص أو فعالية لجماعات الإسلام السياسي ، فإذا عقد مشير المصري أحد متحدثي حماس مؤتمراً تقوم القناة بنقله في بث مباشر .

وفي هذا السياق كتب د . وليد الشرفا في مجلة «سياسات» يقول : أن القناة «هي عبارة عن رأس مال رمزي في الاستحواذ على مساحات التشكيل العام للوعي وفرض اللامات على المجال العام ، . . . في مساحة الحوار تكمن المفارقة ، فالعداء والشتائم والروح الدينية والقومية تتكاثر على الشاشة ، لا ينطبق ذلك على الجزيرة الناطقة بالانجليزية . . . خطاب يباهي وزير خارجية قطر بسياسة بلاده النافذه في علاقاتها مع أمريكا وإسرائيل وبقدرته على استصدار تصريح للرئيس عباس للمشاركة في قمة الدوحة عام ٢٠٠٩»<sup>١٤٩</sup> فالمرقب لجميع البرامج التي تقدمها قناة «الجزيرة» القطرية تصب في مصلحة السياسة القطرية ، وخاصة برامج «الاتجاه المعاكس» الذي لم يتطرق مطلقاً لنظام الحكم في قطر أو للمعارضة القطرية ، أو لعدم وجود برلمان قطري ، أو وجود الجالية الاجنبية وحقوقها السياسية في هذه الامارة ، وكذلك برامج «بلا حدود» الذي يعتبر ناطق رسمي باسم جماعة الإخوان المسلمين ، و«ما وراء الخبر» واخيراً «قضية المنتصف» ، وهذا نفس الأمر ينطبق على قناة «العربية» السعودية الناطقة من «دبي» في الإمارات العربية المتحدة ، وخاصة برامجها «نقطة نظام» للإعلامي حسن معوض ، و«السلطة الرابعة» و«بانوراما»<sup>١٥٠</sup> .

لا بد من التطرق إلى نقطة هامة، وهي ان العلاقة التي تربط الدولة في مؤسسات الإعلام والملكية الفكرية والقوانين وحرية الرأي والتعبير هي ذاتها في قطر والسعودية، فالخطاب الحكومي هو المسيطر على المجتمع ولكنه أحياناً غير مسيطر على الخطاب، ففي قطر هناك سيطرة على الإعلام، باستثناء الجزيرة التي تعتبر أداة من الأدوات السياسية للنظام القطري على الصعيد الخارجي فقط، وهناك سيطرة شبة مطلقة للأصوليين على خطاب الجزيرة الإعلامي .

مثال ثان - الأخبار فقط سياسية :

جاء في نشرة الأخبار على شاشة قناة الجزيرة القطرية مساء ١٤ . ١٠ . ٢٠١٢ العناوين التالية :

- ١ . مجزرة في داريا ومعارك طاحنة في سوريا .
- ٢ . تركيا تحظر عبور الطائرات السورية .
- ٣ . خمسة شهداء في غارات في غزة .
- ٤ . الرئيس الموريتاني في باريس لتلقي العلاج .
- ٥ . الترابي يحذر الإسلاميين من فتنة السلطة .
- ٦ . اختيار علي زيدان رئيساً جديداً للحكومة في ليبيا .

نلاحظ هنا، ان جميع عناوين نشرة الأخبار السياسية، لا يوجد تقارير تهدف إلى توعية أو زرع قيم لدى الفرد العربي، أنها عناوين مجزوءة، وخاصة في الجانب السوري، للتأثير على الفرد العربي .

مثال ثالث/ أخبار جميعها عن سوريا :

كما رصدنا نشرة أخبار قناة الجزيرة صباح ١٥ . ١٠ . ٢٠١٢، الساعة ٩ صباحاً فكانت على النحو التالي :

- ١ . الأحداث في سوريا .
- وفي نشرة أخبار ١٠ صباحاً صباح يوم ١٥ . ١٠ . ٢٠١٢ كانت على النحو التالي :
- ١ . الأحداث في سوريا .
- ٢ . الابراهيمى في طهران .
- ٣ . اتفاق في مانبلا .

مثال رابع/ نشرة أخبار متنوعة في الإعلام الناطق بالعربية:

في المقابل كانت نشرة أخبار بي بي سي البريطانية في نفس الساعة صباح ١٥ . ١٠ . ٢٠١٢، الساعة ٩ صباحاً فكانت على النحو التالي:

- ١ . الدبلوماسي الجزائري الاخضر الابراهيمي في طهران .
- ٢ . المؤتمر الليبي ينتخب علي زيدان رئيساً للوزراء .
- ٣ . خبر عن الحكومة الفلبينية .
- ٤ . الشرطة البرازيلية تشن حملة على مدن الصفيح .
- ٥ . الانتخابات الرئاسية في لتوانيا .

نلاحظ هنا، إن نشرة أخبار القناة البريطانية متنوعة، ولا تركز فقط على سوريا، وكأنه لا يوجد في العالم إلا سوريا .

مثال خامس - أخبار لابرز السياسة الخارجية القطرية:

وعندما رصدنا نشرة أخبار الجزيرة، الساعة ٦ مساءً، من نفس اليوم، ١٥ . ١٠ . ٢٠١٢، قرأها جمال ريان، تركزت النشرة على:

- ١ . الابراهيمي في طهران لايجاد حل حول الأزمة السورية .
- ٢ . الأحداث في سوريا .

نلاحظ في هذه النشرة، قيام مدير التحرير، في الجزيرة، بحشو، بعض من تصريحات وزير الخارجية القطري، ورئيس الوزراء، الذي ما يزال في منصبه من ٢٢ عاماً، يقول: انه يثق في جهود الابراهيمي، ولكنه لا يثق في رغبة النظام السوري بإنهاء الأزمة»، وكان هذا التصريح يحاكي أحيانا تصريحات الخارجية الأمريكية، دعاية واضحة لقطر ولسياستها الخارجية .

مثال سادس - أخبار تصب في الخيار الطائفي

ومن دول الخليج إلى لبنان، والتي توصف بأنها بلد الحرية الإعلامية (طبعاً ليس بلد الديمقراطية، لأنها قائمة على نظام (المحاصصة الطائفية) نجد أن الإعلام مقسم بين الطوائف اللبنانية وأحياناً يعتبر عائلي بامتياز، فقناة المستقبل تتوزع بين نازك الحريري وهي زوجة رفيق الحريري ١٠ ٪، بهية وهي شقيقته ١٠ ٪، غالب الشماع مقرب من العائلة ٨ ٪، سعد الدين الحريري ٨ ٪، بهاء الدين الحريري ٨ ٪، شفيق الحريري ٧ ٪، كما أن رفيق الحريري يملك اسهماً في صحيفتي «النهار» و«السفير» .

وفي العام ١٩٩١ انطلقت قناة «المنار» الشيعية اللبنانية التابعة لحزب الله والممولة من قبل إيران، وتعتبر قناة المنار الذراع الإعلامي لايران في لبنان وأحد القواعد الإعلامية المتقدمة لإيران في المنطقة.

اما جريدة «النهار» البيروتية فهي تعتبر صوت الروم الارثوذكس المعارضة بشدة للنظام السوري حيث تشرف عليها عائلة تويني، فالتأثير هنا يتم على مناطق دون أخرى حسب مصدر الرسالة الإعلامية ومحتواها.

عندي قناعة كاملة وهي اذا لم يتوقف التمويل المباشر من قبل السلطة السياسية للإعلام فإن يكون هناك إعلام مستقل، من المفروض أن يتم جمع ضريبة من المال على كل جهاز تلفزيون أو راديو يدفعها المواطن شهرياً، تجمعها هيئة مستقلة، ثم توزعها على الإعلام الوطني شبة الرسمي مثل القناة الأولى أو القناة الثانية وليس للإعلام الخاص، وهكذا يكون الخبر الأول في نشرة الأخبار هو ما يهم المواطن الذي دفع وليس عن الرئيس واعماله اليومية، فالخبر يكون هنا عبارة عن معلومات موضوعية ليس لها أي خلفية أيديولوجية.

نعترف هنا، أن الفضائيات العربية وعلى رأسها الجزيرة التي انطلقت عام ١٩٩٦ شكلت المصدر الأول للخبر وحركت الساكن خاصة عند المعارضات العربية، ونقلت الخبر في بث حي ومباشر، واخترقت الحواجز التي وضعتها الأنظمة السياسية الا أن تلك الفضائيات تحولت فيما بعد إلى أدوات لتشكيل الرأي العام العربي ودعم الحركات الإسلامية المتطرفة.<sup>١٥١</sup>

يقول بعض الإعلاميين: إن الفضائيات العربية لم تصل بعد إلى مرحلة النضج، فهي ما زالت في عصر التكوين، وما زالت بحاجة إلى تراكم خبرات إعلامية كتلك التي حصلت عليها وسائل إعلام غربية، أنني لست من مؤيدي هذا القول، لسبب بسيط وهي أن الفضائيات العربية هي نتاج أنظمة قمعية سياسية تهدف إلى تشكيل الرأي العام العربي وفق أجندة سياسية بحتة، في حين أن وسائل الإعلام الغربية هي نتاج أنظمة ليبرالية جاءت بفعل تطور تاريخي امتد من القرن الثاني عشر لغاية القرن التاسع عشر، فهناك فرق هائل وبون شاسع بين الجانبين.<sup>١٥٢</sup>

يقول الصحفي المصري محمد هيكل: لا يوجد صحافة لوجه الله، لا يوجد صحافة مستقلة استقلالاً تاماً وخارج السيطرة، فقد بين الصحفي محمد كريشان من الجزيرة خلال مداخلة له أن أمير قطر أطلق الجزيرة كمشروع قطري نتيجة خلاف بين قطر والسعودية على الحدود، فقد كان للسعودية قنوات فضائية مثل «إم بي سي» وجريدتي الحياة والشرق الأوسط، ولهذا أرادت قطر اطلاق قناة تعبر عن وجهة النظر القطرية، وهو ما يسمى في علم الإعلام «توازن الرعب الإعلامي»، لذلك نجد هامشا واسعا جداً من الحرية على صعيد القضايا الخارجية، هذا الهامش يدعم الحركات الإسلامية وعلى رأسها التنظيم العالمي لجماعة الإخوان المسلمين

وخاصة حركة حماس ، وكذلك هذا الهامش يضيق أو يتسع بحق بعض الدول العربية بحسب علاقتها آنذاك مع قطر) بينما الحرية غائبة تماما على صعيد القضايا الداخلية .

بقي القول أن هناك أكثر من ٥٠٠ قناة فضائية عربية اليوم ، أغلبها اخبارية يومية أو مسلسلات وأفلام أو أغاني أو قنوات متخصصة تشكل بشكل أو بآخر في الرأي العام العربي ، ولكن لا يوجد قناة تنويرية واحدة تدعم الفكر الليبرالي العلماني المتنور في الوطن العربي لأن أباطرة الإعلام العرب لا يوجد بينهم تنويري واحد .

على الرغم من أن التلفاز وسيلة إعلامية واسعة التأثير والانتشار إلا أنه وسيلة إعلام سطحية وتسطيحية ، يغطي برامج أخبارية ولكنها لا تترك وعياً وتربية جذرية في نفس المواطن العربي ، الإعلام العربي لم يفتح على البنية الثقافية العربية ، ولم يتطرق إلى البرامج الثقافية التنويرية التي تترك تغييراً في العقل التفكير العربي مثل طرق باب عدم وجود ثقافة القراءة واحترام البيئة وترسيخ ثقافة الديمقراطية كمؤسسة وليس كصندوق بريد وتطوير التعليم أداة ومضمونا وطرق باب النظام العشائري ، كما أن الإعلام العربي غيب بشكل كبير صوت المفكرين والمثقفين غير الغوغائيين ، ولم يسمح بأن يؤثر صوتهم داخل المجتمع وطبقاته ، بل لجأ إلى استضافة أشخاص تحت مسميات كاذبة ودجالة ومناقفة مثل (لواء ومحلل عسكري من معهد الاستراتيجيات العسكرية والأمنية) ليتحدث لنا عن التطورات العسكرية في مدينة حلب السورية ولكن هذا «اللواء» أخذ هذه الرتبة عن طريق الوساطة والمحسوبيات ولم يطلق رصاصة في حياته ، ولا يوجد أصلاً معهد على أرض الواقع ، أو (رئيس مركز أبحاث) ويكون المركز عبارة عن طاولة في بيت المتحدث ، أو دكتور ، ويكون الأستاذ خريج جامعة مثل رومانيا مثلاً ، أو (خبير في الشؤون العسكرية ومحلل استراتيجي) وهو لم يقرأ كتاباً استراتيجياً واحداً في حياته . الإعلام العربي يحب الكذب ، ولا يدقق في المسميات الوظيفية ، لأنه يبحث عن ايدولوجيا لتشكيل الرأي العام نحو قضية أو رؤية أو موقف معن ، ما سر الإعلام العربي أنه لم يجر مقابلة مع المفكر هاشم صالح الذي يعتبر مثلاً أحد أعمدة التنوير في الوطن العربي .

الإعلام العربي يهتم فقط بجمع المال خاصة في التلفاز التجاري ، وهذا ينعكس على الإعلام الخاص مثل شبكة روتانا التي يملكها الملياردير السعودي الوليد بن طلال أو إعلام رسمي وطائفي أو إعلام فضائي ليكون سوط وأداة من أدوات سياسته الخارجية .

كما أن الإعلام العربي غيب صوت المرأة المتنورة ، مثل الكاتبة التونسية رجاء بن سلامة أحد مؤسسين رابطة العقلايين العرب أو المفكرة المغربية فاطمة المرينسي وقضايا البيئة وقضايا هامة مثل التكاثر السكاني الكارثي والزواج المبكر وزواج الأقارب .

## ٥ . ٣ تشكيل الرأي العام العربي

مصطلح الرأي العام ظهر في القرن ١٨ بالتحديد مع الثورة الفرنسية من قبل وزير مالية الملك الفرنسي لويس السادس عشر جاك ينكيز للإدلالة على المستثمرين في بورصة باريس ، في الفلسفة اليونانية لم يظهر هذا المصطلح ، وفي القرون الوسطى ظهر مصطلح «الاتفاق العام» بسبب السيطرة الدينية المطلقة من قبل الكنسية ، وفي الخطاب الإسلامي ظهر مصطلح الشورى ، وبعد فرنسا انتقل مصطلح الرأي العام إلى بريطانيا في بداية القرن ١٩ .

ولقياس الرأي العام إيجابيات وسلبيات ، فمن ايجابياته إعلام المواطن بآراء غيره ، وخلق قيادة ديمقراطية في البلد ، ومساعدة الإدارة الحكومية ، وخلق تفاهم دولي نحو مواضيع مثل البيئة ، لكن لقياس الرأي العام مساوئ أيضاً ، مثل تضليل الرأي العام وعندها يصبح الإعلام دعاية أو «بروباجندا» .

الرأي العام يتغير بسبب أساليب مختلفة منها أسلوب الملاحقة والتكرار وهو عكس أسلوب الجدل والمناقشة ، وكذلك أسلوب الاثارة العاطفية والتركيز على الغرائز وأسلوب تحويل انتباه الجماهير أو وضع البرامج الإيجابية المحدودة أو عرض الحقائق أو افتعال الازمات أو اثارة الرعب والفوضى وأخيراً نشر الشائعات بين المواطنين .<sup>١٥٣</sup>

هناك فرق هائل بين تشكيل الرأي العام أو تنويره ، هناك فرق كبير بين الوعي والوعي المعلن<sup>١٥٤</sup> أو بث الأيدولوجيا والتي تعني هنا الفكر الممثل لوجهات نظر إحدى جماعات المصالح<sup>١٥٥</sup> ، عربياً هناك ماكينات إعلامية عبر خطابها الإعلامي في العالم العربي ، هي التي تشكل الرأي العام عبر مضامين إعلامية ذات صبغة دينية بهدف دعم وتقوية التيار الإخواني .

### مثال أول/ شيطنة أنظمة عربية دون أخرى

فكرة هذا العنوان جاءت من خلال برنامج من عدة أجزاء بثتها قناة الجزيرة القطرية بتاريخ ٢١ . ٩ . ٢٠١١ عنوانه «مبارك والعائلة» ، في اشارة إلى الرئيس المصري السابق محمد حسني مبارك ، البرنامج يدور حول محاولة نجل مبارك جمال السيطرة على كرسي الرئاسة المصرية وأبيه ، وقد شبه البرنامج عائلة مبارك بالعائلات الفرعونية التي سيطرت على مقاليد الحكم لفترات طويلة ، السؤال الكبير وهو بالطبع ليس دفاعاً عن نظام مبارك وحاشيته ، وإنما دفاعاً عن الحقيقة التي جزأت ، لماذا يتم وصف نظام سياسي بأنه نظام فرعوني ينتقل الحكم من الأب إلى الابن ولا يتم التطرق إلى نظام حمد بن خليفة آل ثاني ، فقد قام الابن بالانقلاب على والده ، واستلم الحكم ثم سلم ابنه تميم وهو ابن موزة بنت آل مسند منصب ولي العهد ، لماذا تتطرق قناة الجزيرة القطرية إلى هذه القضية وتثيرها بين الرأي العام بينما تتناسى قضايا مهمة والمستوى نفسه ؟ أليست القضية

محكمة من أجل «شيطنة آل مبارك بين الرأي العام العربي» ؟ .

لقد وُظف التلفاز هنا من أجل إحداث آثار انقلابية في حياة المجتمعات<sup>٦٥١</sup> ونحن نضيف هنا «في حياة مجتمعات دون غيرها»، حتى أن عبد الباري عطوان رئيس تحرير صحيفة القدس العربي في أحد مقالاته كتب في هذا الشأن يقول: «لقد استخدمت أشرس الأسلحة لتقويض بشار الأسد واستخدمت أسلحة دمار شامل فضائية»<sup>٧٥١</sup>.

مثال ثان - تحويل حسن نصرالله من صلاح الدين الأيوبي إلى شيطان

عملت الجزيرة القطرية من حزب الله اللبناني وزعيمه حسن نصر الله قائداً عربياً مسلماً مثل صلاح الدين الأيوبي عام ٦٠٠٢، أثناء الحرب بينه وبين إسرائيل في جنوب لبنان، لكن عندما تعلق الأمر في سوريا عام ٢١٠٢ قامت الجزيرة بشيطنة حزب الله، حتى أنني سمعت شتائم من يساريين وإسلاميين ضد حزب الله بسبب دعمه لنظام بشار الأسد، فقد عرضت الجزيرة صور قتلى حزب الله الذين قتلوا في سوريا على يد الجيش السوري الحر وهم يقاتلون الجيش السوري النظامي، كما بثت الجزيرة أخباراً تفيد أن عناصر مقاتلة من حزب الله دخلوا مدن سورية لقتال الجيش الحر، وهناك آخرون ينتظرون الأوامر من حسن نصرالله على الحدود السورية اللبنانية، وأن حزب الله يقصف بلدة القصير براجمات الصواريخ، لكن قد يقول قائل: ما دام هناك أخبار حول هذا الشأن فلماذا لا تقوم الجزيرة ببثها، والجواب: هناك أخبار أيضاً من منطقة القطيف الشيعية شرق السعودية ومن البحرين وعمان ومن داخل قصور الأسر الخليجية الحاكمة لا تقوم الجزيرة ببثها. تبقى في نفس المثال، فقد ألقى زعيم حزب الله حسن نصر الله خطاباً مهماً يوم ١١ . ١٠ . ٢٠١٢ عن تحليق طائرة استطلاع صغيرة بدون طيار، من صناعة إيران وتجميع حزب الله فوق الأراضي الإسرائيلية وحلقت لمسافة ٣٠٠ كيلومتر، أي ٣ ساعات، الخطاب بث على شاشة «المنار» و«الميادين» و«القناة الثانية الإسرائيلية»، ولكن لأول مرة قناة «الجزيرة» و«الجزيرة مباشر» لم تنقل الخطاب رغم أهميته.

وهذه أول مرة في تاريخ القناة، لماذا؟ لأن نصرالله كذب قناة الجزيرة بدون أن يذكرها بالاسم، لأنها ادعت دخول مقاتلين تابعين للحزب إلى سوريا للعمل العسكري مع جيش بشار الأسد، نصرالله قال «إن أعضاء الحزب الذين قتلوا في مواجهات مع الجيش الحر هم سكان لبنانيين يعيشون في قرى سورية داخل الحدود السورية بفعل اتفاقية سايكس بيكو، ولم يطلب منا النظام السوري أن نقاتل إلى جانبه لغاية الآن»<sup>١٥٨</sup>.

هذا المثال الواضح، يبين أن الإعلام العربي هو ماكينات إعلامية، خطاب إعلامي وليس إعلاماً، هو استعارة وليس معلومة، الإعلام العربي الحالي هو امتداد للعقل العربي القبلي الذي تكون في صحراء الجزيرة العربية قبل ١٥٠٠ سنة، أنه عبارة عن ماكينات تبث «معلومات محددة» أو «معلومات مجتزأة»، أو صورة مجزأة

من عدة صور أو من مشهد، لإيصال هدف سياسي إلى الرأي العام العربي بهدف تشكيله، الإعلام يحتاج إلى أرضية خصبة وهي دولة مدنية عصرية ترفع يدها عن الإعلام كمعلومة، وتضمن لها الحرية الكاملة، وأن يكون سقف حريتها بلا حدود، بحيث يسمح لكاميرا الماكينة الإعلامية دخول قصور الأمراء العرب وخاصة قصر أمير قطر .

#### مثال ثالث/ خدمة الرسائل النصية

نلاحظ في تلفزيون «الجزيرة مباشر» أن هناك رسائل مكتوبة «sms» تكتب أسفل الشاشة، فقد رصدناها وكانت على النحو التالي :

«يا رب لا تخل العيد يأتي الا ونضحى ببشار»، «الأحزاب الدينية الحاكمة في العراق سهلت مهمة التغلغل الايراني»<sup>١٥٩</sup>، « تخيل أن بشار الرئيس اللبناني هل يمكن ان تتحدث في السياسة»، «ارحل يا بشار عن بلد الاحرار»، «مرة النظام يركزون على الشائعات»<sup>١٦٠</sup> «الأسد دك الكبار والصغار ببراميله»، «ان الله على نصركم قريب يا جيشنا الحر»، «الحرب بدايتها غرور وآخرها ندم يا بشار»، «اللهم انصر أهل الشام الاحرار ودمر بشار» «اسود الجيش الحر قادم يا عصابة بشار وماهر»، «ربي ينصركم يا سوريا»، «والله حكام العرب قهروني بسكوتهم» .<sup>١٦١</sup>

نلاحظ هنا أن جميع الرسائل ضد بشار الأسد ونظامه، ولكن السؤال الكبير : بما أن سقف الحرية كبير وكبير جداً في قناة الجزيرة القطرية، هل يمكن لأحد فينا أن يكتب ويبعث رسالة إلى الجزيرة مباشر وفيها «اللهم خذ حمد إلى جهنم لأنه انقلب على أبيه»، أو رسالة ثانية: «أين بر الوالدين يا حمد» أو «متى سوف تستقيل من منصبك يا حمد» .

هذه الرسائل لن تبت أبداً، لأن الحرية في قناة الجزيرة مجزأة ومبرمجة، ولا يوجد إعلام في الجزيرة، بل هو خطاب إعلامي، أو لنقل سلاح دمار شامل، ماكينة إعلامية، ليس لها علاقة بالتنوير، أو المعرفة، ولا يمكن أن يقوم أمير قطر بدور إيمانويل كانط، أو بدور هيغل، أو فولتير، أو جان جاك روسو، الا من لا يعرف ما معنى التنوير .

#### مثال رابع/ أسلمة الشارع العربي

قامت قناة الجزيرة مباشر والتي تعتبر صوت الإخوان المسلمين في الوطن العربي بنقل لمدة يومين متتاليين، مؤتمر به ٣٥ ورقة «بحثية» عن (الإسلاميون ونظام الحكم الديمقراطي، التجارب والاتجاهات)، ربط مباشر في العقل الجمعي العربي بين الأصولية الإسلامية وبين النظام الديمقراطي ولكن الفرق بين الاثنين كالفرق بين

الأرض والسماء، فالديمقراطية لا تنحصر في السياسة فقط، بل في الحياة الاجتماعية والثقافية والإنسانية، وهذا ما يرفضه الإسلاميون جملة وتفصيلاً، فقد ورد على وكالة رويترز أن الإخواني راشد الغنوشي -زعيم حزب النهضة- دعا السلفيين في تونس إلى الاستيلاء على المساجد والمدارس لأن الإدارة والجيش والإعلام بيد العلمانيين، هل يعقل لسياسي وصل إلى الحكم بطريقة «ديمقراطية» يدعو إلى الاستيلاء على المساجد ودور التعليم بهذه الطريقة<sup>١٣</sup>.

لماذا نقوم بعمل عشرات البرامج الحوارية ونشرات الأخبار ضد نظام مبارك الذي يقيم علاقات مع أمريكا وإسرائيل ولا نعد البرامج نفسها ضد جماعة الإخوان المسلمين التي أبتت تلك العلاقات على حالها؟ من هو الذي يملك حق تحويل «الخطئية» إلى «فضيلة» و«الخيانة» إلى عمل «وطني»؟ الرأي العام العربي، يتشكل من قبل خطاب إعلامي، فإذا أردت أن تقيم ثورة، فيمكنك أن تقيمها في ٢٤ ساعة من خلال امتلاكك إلى ثلاثة قواعد رئيسة وهي: ماكينات إعلامية ضخمة ومال يتدفق من آبار الغاز والنفط وشيخ يشرعن الحدث السياسي، بهذه الأقطاب الثلاثة مجتمعة تستطيع أن «تشيطن» أي رئيس أو وزير أو سلطة أو نظام سياسي ومن لا يملك يكون بمثابة ضحية لهذه الماكينات، وأكبر دولة عربية تتخوف من هذه الماكينات حالياً هي الجزائر، بعكس دول الخليج التي تنام وهي هادئة الأعصاب، مرتاحة البال، ليس لأنها دول ديمقراطية، بل لأنها تملك جميع الماكينات الإعلامية، فهي التي تصنع الخبر، وهي التي «تبيعه» للمواطن العربي «الأمي».

#### مثال خامس / المقدرة على تحويل الخيانة إلى طهارة

إقامة علاقات دبلوماسية بين مصر وإسرائيل في عهد مبارك كانت خيانة وفي عهد الإخوان «مش وقته»، هناك جزء من الماكينات الإعلامية تحاول أن تبرمج الرأي العام العربي على القاعدة الجهنمية التالية: دعونا نجرب حكم الإخوان المسلمين ونرى ما بعد، السؤال: لماذا لا تنتج قناة الجزيرة القطرية برامج تقول فيها: إن الإخوان المسلمين في السودان - بقيادة عمر البشير - هم السبب المباشر في تقسيم السودان إلى بلدين وتحويل جنوبه إلى مرتع لإسرائيل؟ من الذي القى بحليف البشير في غياهب السجون وهو حسن الترابي سوى البشير نفسه؟ ماذا قدم حكم الإخوان المسلمين للسودان سوى الفقر المدقع والبطالة والامية والجهل والتخلف؟ من المسؤول عن عدم إقامة دولة عصرية مدنية في السودان وارتكاب مئات المجازر التي راح ضحيتها الآلاف في جنوب السودان أو في غرب البلاد وهي منطقة دارفور؟

الإعلام العربي يقوم على تشكيل الرأي العام العربي بعدة طرق منها: التكرار والملاحقة والإثارة العاطفية، وتحويل انتباه الجماهير نحو قضايا فارغة، وافتعال الأزمات، ونشر الرعب والفضى، ونشر الشائعات، وتمجيد الإرهابيين مثل تنظيم القاعدة الإرهابي الذي كان يذبح ويقتل ويجز عنق البشر في العراق، وتقوم

قناة الجزيرة في قطر ببث أشرطة لزعيم التنظيم باعتبارها أشرطة مهمة .

الإعلام العربي الخليجي هو السبب المباشر في نشر الكليات والمسلمات القطعية عند الرأي العام العربي ، لقد أنتج الإعلام «فكراً» قطعياً جدياً متمتاً أيديولوجياً وسطحياً وليس متنوراً ومفكراً ومثقفاً ، لم تطرح الماكينات الإعلامية الخليجية سؤالاً التنوير ، لأن الإجابة على هذا السؤال يعني تلقائياً تفكيك تلك الاسر الخليجية التي تمول هذه الماكينات ، فهل يمكن أن تجد شخصاً يهدم بيته بنفسه؟

الإعلام العربي يشكل الرأي العام العربي وفق أجندة سياسية واضحة تماماً ، فعلي سبيل المثال لا الحصر ، هناك خوف من دول الخليج من النظام الإيراني الدكتاتوري ، لهذا هناك إيعاز غربي بقص أجنحة إيران في المنطقة وهما حزب الله الشيوعي في لبنان والنظام السوري (خير من يقوم بهذا العمل قناة العربية القطرية التي تبث من دبي وصحيفة الشرق الأوسط التي تصدر من لندن)، إذن ، لا بد من بث آلاف الرسائل والتقارير والبرامج الأخبارية ليلا نهارا من أجل تثوير المواطن السوري ضد نظام الحكم ، ومد «الثوار» بالأسلحة والعتاد والمال والأجهزة والمعلومات ، لكن السؤال يا ترى ، لو طلبنا من تلك الدول عمل نفس الشيء للقضية الفلسطينية ولللسطيني المشرد من وطنه وأرضه منذ أكثر من ٦٠ عاماً هل سنجد الجواب نفسه ، بالطبع لا وألف لا .

ماذا نبث عشرات التقارير الإخبارية ونرسل المراسلين والصحافيين إلى حدود سوريا من جهة الأردن وتركيا والعراق ولبنان للحديث عن ٥٠٠٠٠ لاجئ سوري ، بينما ننسى أكثر من ٤٠٠ ألف لاجئ فلسطيني محروم من أبسط حقوق الإنسان في لبنان منذ عام ١٩٤٨؟

ماذا تبث مئات الرسائل يوميا لإبقاء قضية اللاجئين السوريين متوقدة وحية في أذهان الرأي العام العربي والغربي بينما تتناسى اللاجئين الفلسطينيين و«نغيب» هذه القضية عن الرأي العام العربي والغربي؟؟ أليس الإعلام هو من يشكل المواطن العربي المسكين عن طريق المضامين الإعلامية مثل ترتيب الأخبار والقضايا الإعلامية والزمن والموسيقى والصورة والكلمات والمصطلحات وأخيراً والنص الديني .

هناك مواضيع مغيبة في نشرات أخبار الجزيرة ، فالبرلمان المصري ناقش مسألة تخفيض سن الزواج من ١٨ إلى ٩ سنوات ، وهذا يعني انقلاباً شاملاً وكاملاً على حقوق الأطفال والمرأة ، وعلى مبادئ الدولة العصرية ، بالإضافة إلى تعميم شامل للتنسيق الأمني وتسيير الدوريات المشتركة في صحراء سيناء بين قوات الأمن المصرية التي ترعاها جماعة الإخوان وإسرائيل ، وكذلك قيام الرئيس المصري الإخواني مرسي بغض الطرف عن اتفاقية كامب ديفيد التي قام الإسلاميون بقتل محمد أنور السادات بسببها ، وكذلك حضور مصر -وهي الدولة العربية الوحيدة بقيادة الإخوان- لمؤتمر حقوق اللاجئين اليهود في هيئة الأمم المتحدة ، هذه المواضيع وغيرها لا تثار في أروقة ونشرات أخبار وتقارير وبرامج قناة الجزيرة القطرية والسبب معروف وهو تشكيل

(الرأي العام العربي) وفق أجندة سياسية لصالح السياسة الخارجية الرسمية القطرية، لقد كان أيام مبارك بقاء انفاق غزة جريمة وطنية، وعندما جاء مرسي، لم يبقها، بل دمرها، وهذا هو الجديد، لكن قناة الجزيرة لا تتطرق إلى ذلك، لقد قمنا برصد ليلة واحدة لإعلانات بثتها قناة الجزيرة عن برامج تريد بثها خلال الأيام المقبلة وكانت الاعلانات على النحو التالي ليلة ٢٥ . ٩ . ٢٠١٢ :

- ١ . برنامج وثائقي من عدة أجزاء يحمل عنوان «مبارك والعائلة» باعتبار مبارك وعائلته عائلة فرعونية
- ٢ . (نلاحظ، أن الجزيرة لا تتجج برنامج بعنوان (حمد وعائلته)، ولا تتطرق لانقلاب الابن على أبيه، وتعيين الابن تميم في منصب ولي العهد، وبقاء وزير الخارجية القطري ورئيس الوزراء في المنصب لأكثر من ٢٢ عاماً).<sup>١٣</sup>
- ٣ . برنامج «شاهد على العصر» استضاف فيه أحمد منصور المراقب العام لجماعة الإخوان المسلمين سابقاً في سوريا عدنان سعد الدين .
- ٤ . برنامج «الاتجاه المعاكس» حول سوريا ودور الإسلاميين هناك .
- ٥ . برنامج «في العمق» الذي يقدمه علي الظفيري عن تحالفات الإسلاميين في تونس .

الواضح تماماً، أن هناك ماكينة إعلامية ضخمة، تقف وراء أخونه الشارع العربي، لهذا السبب، فاز الإخوان المسلمين في فلسطين والمغرب وتونس ومصر وليبيا، حيث قام وزير العدل الليبي السابق، والثائر الحالي مصطفى عبد الجليل بطرد إعلامية ليبية، لأنها لم ترد الحجاب في مؤتمر، وغادرت قاعة الفندق وهي تبكي، وفي سوريا سوف يتولى الإخوان الحكم، وسوف «يعض» أستاذ دراسات الشرق الأوسط- في جامعة السوربون الباريسية ورئيس المجلس الوطني السوري سابقاً- يديه ندماً، لأنه تحالف يوماً ما مع الإخوان، وسيعرف حقيقة بعض الأنظمة العربية من بلده سوريا .

#### مثال سادس / نشرة الأخبار بين الاستعارة والحيادية

- كما رصدنا، نشرة أخبار لقناة الجزيرة صباح يوم الأربعاء ١٠ . ١٠ . ٢٠١٢، فكانت على النحو التالي :
- ١ . الأحداث الجارية في سوريا ومدة الخبر ٢٥ دقيقة .
  - ٢ . اللاجئون على حدود شمال وجنوب السودان .
  - ٣ . مسيرات في مصر .

أما قناة بي بي سي العربية في اليوم نفسه فكانت على النحو التالي :

- ١ . سوريا ومدة الخبر ٧ دقائق .

٢. تعامل الدول الخليجية مع الإخوان قطر والسعودية والإمارات .
٣. توزيع جوائز نوبل للفيزياء وتقدير عن الجهة التي يمكن أن تتسلم جائزة نوبل للسلام .  
نلاحظ هنا أن هناك «حيادية» وإعطاء معلومات في الـ «بي بي سي البريطانية» .

وهنا، يحضرني حديث الشاعر السوري الكبير، ادونيس لمجلة «بروفيل» النمساوية عندما قال «إن الربيع العربي تحول إلى خريف إسلامي، وأن نظام الحكم في العالم العربي، انتقل من حكم دكتاتوري سياسي إلى دكتاتورية أصولية»، ورفض أدونيس الانتقال من دكتاتورية عسكرية إلى دينية، فالإسلاميون لا يخفون أفكارهم تجاه الدولة المدنية ذات التعددية السياسية ويعتبرون أن الدولة الديمقراطية تعني الإلحاد<sup>٤٦</sup> ها هو الداعية المصري وجدي غنيم يقول «سيادة الشعب كفر وضلال والحرية الشخصية باطله وحرية التدين تساوي الردة» .

### تسطيح ذوق الرأي العام :

في المقابل، هناك تسطيح للرأي العام العربي، وتفريغه من أي مضمون تنويري أو تثقيفي أو فكري، فهناك عشرات الفضائيات للجمال والحجاب والضرب بالرمل والاتصالات الهاتفية التي تطلب الإجابة على أسئلة سخيفة مثل «شيء تبوسه وتدوسه وتزع على فلوسه» بهدف سرقة أموال المواطنين عن طريق الاتفاق المسبق مع شركات الاتصالات، وهناك لقطات لأغان لا تصلح إلا لغرف النوم، يديرها أشخاص بالتعاون مع شركات اتصال يتقاضون في الليلة الواحدة مثل رأس السنة مثلاً ٧٥٠ الف دولار وأحياناً ٢٠٠ الف دولار . كما أن هؤلاء الأشخاص، ساعدوا على انحطاط الأغنية العربية، فبدلاً من أغنية «قارئة الفنجان» كتابة نزار قباني وغناء عبد الحليم حافظ، أو أغنية «الربيع» للمطرب الكبير فريد الأطرش هناك أغنية «عاو» و«بيوس الواو» و«بحبك يا حمار» لسعد الصغير الذي رشح نفسه للانتخابات الرئاسية المصرية .

### تسطيح اللغة :

هذا التأثير، لا ينحصر على مضمون النص والصورة، بل يؤثر تأثيراً مباشراً على اللغة العربية، فاللغة ليست فقط حروفاً وإنما هي نشاط إنساني وليس مجرد نسق مغلق بحسب تعبير عالم اللغة الألماني كارل بولر، فقد ورد على إحدى الفضائيات وخاصة على شريطها في أسفل الشاشة «دخ (بدل من كلمة طخ) ابو غالب تسلم يا ذهب، دلوعة سبيع ولا يهملك يا حلوة، وش تقول يا مهبول» (الكتابة هنا باللهجة المحكية) .

### تسطيح الوعي :

هناك قنوات فضائية مثل المخدر، تنادي بالتداوي بالأعشاب مثل قناة «الحقيقة»، وأخرى تدعي أنها إسلامية، وتكذب على لسان أكبر شيوخها، فقد جاء في برنامج (سوريا إلى أين)، على قناة «المجد»، للشيخ محمد

صالح المنجد، بتاريخ ٢٩ . ٨ . ٢٠١٢ ومدة الحلقة ساعة و٤ دقائق و٤٨ ثانية، أن امرأة سورية قامت بتخيئة شاب سوري، كانت تلاحقه قوات الجيش السورية التابعة للنظام، فدخل البيت، وأختبأ تحت عباءة السيدة، ولم تستطع قوات الأمن مشاهدته، قصة خيالية، لا تمت للواقع بصلة.<sup>١٦٥</sup>

لا بد من الارتقاء ببرامج التلفاز بالتلفاز عن طريق تغيير أسلوب التمويل، فالفيلسوف الفرنسي بورديو يقول «نحن نستمد وعياً بالواقع من التلفاز»، فالجهة التي تدعم وتمول تقوم بفرض أجندتها على المحرر أو المذيع فيها، لهذا لا بد من استحداث ضريبة يدفعها المواطن عن كل جهاز تلفزيون أو راديو لهيئة مستقلة تجمع هذه الأموال وتقسّمها فيها بعد على الإعلام الرسمي شبه المستقل لكي تكتب عن المواطن الذي دفع ومول، وليس عن الرئيس وهذا يشبه نظام هيئة الاذاعة البريطانية «بي بي سي».

هناك علاقة وثيقة بين تطور المجتمع فكراً وبين الإعلام، فالإعلام هو مؤسسة تأتي نتاج تطور إنسان لديه بذرة وفكر ثابت، لهذا، من المفروض تدريب الصحفيين العرب في مؤسسات عريقة جداً، وخلق مدارس تعني بالعمل المهني الإعلامي المباشر، ولا أقصد هنا كليات الإعلام الأكاديمية التي يتخرج منها ٥٪ فقط صحفيين، وإنما مدارس متخصصة في الإعلام، يكون مجموع عدد طلابها لا يزيد عن ٥٠ طالباً، بالإضافة إلى ابتعاث طلبة إعلام إلى أوروبا لكي يتعلموا ويتدربوا في كبريات دور الصحافة العالمية مثل «بي بي سي» البريطانية أو «مونت كارلو» الفرنسية أو صحيفة «لوموند» الفرنسية أو مجلة «شبيغل» الألمانية أو «تايمز» الأمريكية وغير ذلك.

ومن المفروض أيضاً، الغاء وزارات الإعلام والثقافة والأوقاف في العالم العربي، لأن هذه الوزارات تشكل الرأي العام أيديولوجياً، وفي المقابل تطوير القانون الذي يحمي الصحفيين ومثلي وسائل الإعلام، ووقف المحسوبيات والواسطات ومحاسبة المتطاولين على ذلك، وخلق قنوات فضائية عربية للتثقيف والوعي والتنوير مثل قناة «ارتي» الألمانية الفرنسية المشتركة، وهي تعنى بالجوانب الثقافية بين البلدين، فلا يمكن معرفة كيف يؤثر الإعلام العربي على الرأي العام العربي إلا من خلال متابعة قنوات فضائية عربية محترفة سواء في فرنسا أو ألمانيا أو بريطانيا.

## ٥ . ٤ أدوات تحليل المضمون

هناك خمس أدوات لتحليل المضمون وهي :

### ١ . ترتيب القضايا

ترتيب نشرة الأخبار في الماكينات الأخبارية العربية غير بريئة، بل هناك دول تحرك وتقسم الخبر وفقاً لأجندة إقليمية بحثة، فالمشاهد العادي يعتقد أن هناك «حرية» في القناة، والصحيح أن هناك «حرية مجزوءة» في القناة، والمقصود هنا، أن المحلل السياسي يستطيع سب بعض الأنظمة العربية، أو سب القناة، أو انتقادها على القناة، وفي أحيان قليلة، انتقاد بعض الأنظمة الخليجية، ولكن لا يجوز له انتقاد النظام السياسي الممول للقناة.

هناك أمر أخطر من ذلك وهو، أن الأنظمة السياسية العربية، تلجأ، أحياناً، إلى تفجيرات، في ملاعب الخصم السياسية، لنقل الحدث، أو لترتيب النشرة، من مكانه، إلى مكان الآخر، إنها لعبة إعلامية دموية خطيرة، انتهت في أوروبا منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، فقد دوى انفجار عنيف في حي الأشرفية في شرق بيروت، عن طريق مركبة مغلومة - المنطقة فيها أحزاب وقوى مسيحية لبنانية مثل حزب الكتائب وحزب القوات اللبنانية، -، أسفر عن مقتل وسام الحسن مدير وحدة المعلومات في جهاز المخابرات اللبناني الداخلي، والعقل المدبر الذي كشف كيف يقوم النائب اللبناني ميشيل سماحة وزير الإعلام اللبناني السابق بنقل متفجرات في سيارته الشخصية لقتل معارضين للنظام السوري، استهدف التيار المحسوب على ١٤ آذار، تيار المستقبل والكتائب والدروز.

قناة الجزيرة من جانبها استضافت على الهواء مباشرة، المحلل السياسي محمد سلام<sup>٦٦١</sup>، وأشار في قراءته للانفجار، أن هناك بصمة «للنظام الأسدي» على الانفجار، في حين استضافت قناة العربية رياض رحال النائب عن حزب المستقبل، حيث طالب بجمع السلاح غير الشرعي والمقصود هنا سلاح حزب الله اللبناني .

أكبر مثال واضح في ترتيب القضايا على وسائل الإعلام العربية أو الناطقة بالعربية هو ترتيب الخبر السوري، الذي يعتبر الخبر الأول في قناتي الجزيرة والعربية، بينما يعتبر الخبر المتعلق بالبحرين الخبر الأخير على القناة نفسها، ويكون عادة عبارة عن خبر قصير على خلفية خارطة بدون تحليل أو صور، بعكس قنوات المنار والعالم والميادين.

اليكم المثال التالي :

الساعة ١٠ صباحاً، ١٧ . ١٠ . ٢٠١٢



الجزيرة (قطرية / خليجية)

- ١ . سوريا .
- ٢ . الحوار الوطني التونسي حول الدستور .
- ٣ . مناظرة حول الانتخابات الأمريكية .
- ٤ . جدل حول الدستور المصري .
- ٥ . الرهائن في مالي .
- ٦ . التحقيق حول مقتل السفير الأمريكي في ليبيا .
- ٧ . احداث في أفغانستان .
- ٨ . حول سائق أسامة بن لادن .

العربية

العربية (قطرية / خليجية)

- ١ . سوريا .
- ٢ . اقتصاد الأسهم الخليجية .
- ٣ . الانتخابات الأمريكية .
- ٤ . المحكمة الدستورية في مصر ترفض المواد المتعلقة بها في الدستور المقترح .
- ٥ . بنغازي .
- ٦ . تونس .



سكاي نيوز عربية (بريطانية / تبث من دبي)<sup>١٧</sup>

- ١ . سوريا .
- ٢ . رياضة .
- ٣ . مصر .
- ٤ . ليبيا .
- ٥ . تقرير حول أمراض كبار السن .
- ٦ . الاقتصاد في الانتخابات الأمريكية .



## الميادين (لبنانية/ بدعم من سوريا وإيران)

- ١ . سوريا .
- ٢ . مناورات أمريكية - إسرائيلية .
- ٣ . امنستي تدعو السعودية إلى حق التظاهر .
- ٤ . شعارات للمعارضة في الكويت ضد أمير البلاد .
- ٥ . مواجهات في البحرين احتجاجاً على استمرار اعتقال نبيل رجب .
- ٦ . الرئيس الإيراني يزور العراق .
- ٧ . عبد المنعم ابو الفتوح يدعو الرئيس المصري محمد مرسي إلى الغاء اتفاقية كامب ديفيد وفتح معبر رفح .

## فرانس ٢٣ (فرنسية/ من باريس)<sup>١٨</sup>

- ١ . سوريا .
- ٢ . الأسلحة الأمريكية تنقل إلى سوريا عن طريق قطر والسعودية .
- ٣ . مظاهرات في الكويت بين المعارضة وقوات الامن على قانون الانتخابات .
- ٤ . رجل من القاعدة يقول ان الرهائن الفرنسيين في الساحل بصحة جيدة .

نلاحظ هنا، أن الخبر المتعلق بمنطقة الخليج، لا يغطي نهائياً على شاشتي الجزيرة والعربية، إلا إذا كان الخبر يتعلق بفعالية ضد نظام الحكم، يبدو أن هناك اتفاقاً ضمناً بين دور التلفزة الخليجية بعدم التطرق لأنظمة الحكم الأخرى .

## ٢ . المدة الزمنية

فعندما يتم تناول الخبر السوري لمدة ساعة في صدر نشرة الأخبار فسوف يكون تأثيره أكثر من الخبر البحريني الذي يتم تناوله لمدة دقيقة واحدة .

مثال :

لقد قمنا برصد خمس قنوات فضائية ، لنعرف مقدار الزمن الذي تستغرقه كل نشرة أخبار :  
والوقت كان ، مساء يوم الأربعاء ، الساعة ٦ مساءً ، بتاريخ ١٧ . ١٠ . ٢٠١٢

### قناة الجزيرة

- ١ . سوريا ، إسقاط مروحية ومذبحة في مسجد بحلب وخبر وتقرير وبث مباشر من الحدود التركية - السورية وبث مباشر من حلب والاحضر الابراهيمي وتوزيع كتب على اللاجئين السوريين في الأردن  
٠٠ : ٦ - ١٥ : ٦
- ٢ . نتيناهو يقول أن اراضي الضفة الغربية غير محتلة .
- ٣ . الأمم المتحدة تحذر في تقرير لها من تسونامي في لبنان .

### قناة العربية

- سوريا ٠٠ : ٦ - ١٧ : ٦

### قناة سكاي نيوز عربية

- سوريا ٠٠ : ٦ - ١٥ : ٦

### قناة فرانس ٢٤

- ١ . الرئيس الفرنسي يقر بقمع متظاهرين جزائريين في فرنسا عام ١٩٦١ : ٠٠ : ٦ - ٣ : ٦
- ٢ . سوريا ٠٩ : ٦ - ٩ : ٦
- ٣ . مظاهرات في تونس احتجاجاً على ملف الإعلام ٠٩ : ٦ - ١١ : ٦
- ٤ . إعدام حوالي ٦٠ من اتباع القذافي لحظة القبض عليه ١١ : ٦ - ١٢ : ٦
- ٥ . الانتخابات الأمريكية ١٢ : ٦ - ١٥ : ٦

## قناة بي بي سي

١. سوريا ٠٠ : ٦ - ٥ : ٦
٢. اتفاقيات بين شمال وجنوب السودان ٥ : ٦ - ١٣ : ٦
٣. اضراب الصحفيين في تونس ١٣ : ٦ - ١٧ : ٦

من الأمثلة السابقة، نلاحظ، أن سوريا تأخذ حيزاً زمنياً كبيراً على شاشات الجزيرة والعربية وسكاي نيوز، بينما في ال بي بي سي وفرنس ٢٤ يأخذ حيزاً أقل بكثير.

مثال آخر على المعلومة والاستعارة من قناتي الجزيرة العربية والانجليزية وهما ييثان من المنطقة نفسها، ولكن العقلية التي تقف وراء الرسائل الإعلامية مختلفة كلياً:

## الجزيرة العربية الأم:

نشرة أخبار الساعة ١٢ ظهراً، يوم الجمعة، ١٩ . ١٠ . ٢٠١٢

١. سوريا من الساعة ٠٠ : ١٢ - ٤٥ : ١٢
  ٢. البحرين من الساعة ٤٥ : ١٢ ولغاية الساعة ٤٥ : ١٢ و١٥ ثانية (بالتحديد)
- الخبر عبارة عن «مواجهات عنيفة بين متظاهرين وقوات الأمن البحرينية»، أدت إلى مقتل شرطي بحريني واحد، وقد أفردت وكالة الأنباء الفرنسية مساحة واسعة في أخبارها، إقرأ الخبر على وكالة الأنباء الفرنسية لنرى كيف اختصرته الجزيرة إلى سطر واحد بدون صور.

«أعلنت وزارة الداخلية الجمعة وفاة شرطي بحريني متأثراً بجروح اصيب بها في انفجار عبوة ناسفة يدوية الصنع خلال صدامات مع متظاهرين ليل الخميس الجمعة في قرية شيعية بالقرب من المنامة.

وقالت الوزارة الجمعة عبر موقع التواصل الاجتماعي تويتر «استشهد احد رجلي الامن اللذين اصيبا في التفجير الارهابي الذي وقع مساء امس الخميس في منطقة العكر الشرقي (الشيعية) جراء قنبلة محلية الصنع. ولم تذكر الوزارة أية تفاصيل عن وضع رجل الامن الآخر.

وقال شهود عيان أن الكثير من القرى الشيعية في البحرين شهدت ليلة الخميس صدامات استمرت حتى وقت مبكر من فجر الجمعة بين قوات الامن ومتظاهرين شيعية، خرجوا إلى شوارع القرى تلبية لدعوات أطلقها ائتلاف شباب ١٤ فبراير المناهض للحكومة من أجل التظاهر تمسكاً بمطلب إسقاط نظام.

وأفاد شهود أن المتظاهرين من رجال ونساء رفعوا أعلام البحرين وصورا لضحايا الاحتجاجات ورددوا شعارات «الشعب يريد إسقاط النظام» و«من حقي تقرير مصيري» و«هيهات ننسى شهداء» و«يسقط حمد» في إشارة إلى العاهل البحريني حمد بن عيسى ال خليفة». «وذكر الشهود أن قوات الامن تدخلت لتفريقهم واطلقت القنابل الصوتية والغاز المسيل للدموع واعيرة من سلاح الشوزن (الذي يستخدم لصيد الطيور)، ما تسبب في وقوع اصابات لم يتسن الحصول على حصيلة رسمية بشأنها».

وقالت وزارة الداخلية أن الشرطة تدخلت بعد أن «احرق المخربون اطارات والقوا قنابل وصواريخ حارقة لاجلاق طريق رئيسي في قرية بوري» الشيعية .

وأضافت الوزارة ان الهجمات أسفرت عن إحراق سيارة وتدمير أخرى، وتطالب المعارضة الشيعية البحرينية بالتحول للملكية دستورية مع اختيار رئيس وزراء من مجلس نيابي منتخب لخلافة الأمير خليفة عم الملك الذي يحتفظ بمنصبه منذ العام ١٩٧١ .

وتشهد البحرين التي تستضيف الأسطول الخامس الأميركي وتقع في الخليج بمواجهة إيران، تظاهرات متقطعة معظمها خارج النامة منذ قمع التظاهرات التي قادها الشيعة في آذار/ مارس من العام السابق، ووفقا للاتحاد الدولي لحقوق الإنسان، قتل نحو ٨٠ شخصا في البحرين منذ اندلع العنف في ١٤ شباط/ فبراير ٢٠١١»<sup>١١٩</sup>

٣ . مظاهرات في الأردن، بث مباشر من اربد .

قناة الجزيرة الانجليزية، نشرة أخبار الساعة ١٢ ظهراً، يوم الجمعة، ١٩ . ١٠ . ٢٠١٢ لا يوجد أي خبر عن سوريا .

١ . مالي

٢ . اتفاق بين فرنسا وألمانيا حول آلية قرار لمراقبة المصارف الأوروبية

٣ . الاقتصاد في الصين

٤ . الكوميديا في خطابات أوباما أثناء الحملة الانتخابية

تلفزيون قطر الرسمي :  
برامج دينية متواصلة ونشرات أخبار تمجد العائلة الحاكمة، وتبث تصريحاتها، وكأنها تصريحات وزارة  
الخارجية الأمريكية .

### ٣ . المصطلح

يعرف البعض المصطلح الإعلامي، بأنه تعبير أو تنفيذ للرؤية السياسية، وهذا تعريف خاطئ د، إلا إذا كان  
المقصود به تعريف «المصطلح الإعلامي العربي» ولكن ربما في الغرب يمكن تعريفه بأنه «تعبير أو تنفيذ للرؤية  
الوطنية» للدولة، كتعبير قومي وليس حزبي، إلا عندما يتعلق الأمر بالسياسة الاسرائيلية، لا يوجد رابط في  
الغرب بين اللغة الإعلامية أو المعلومات الإعلامية وبين النظام السياسي، لأن المعلومات التي يبثها التلفاز  
الألماني مثلاً ليست خطاباً إعلامياً ولا تعتبر تلك المعلومات تجلي للنظام السياسي في البلد، لغة الإعلام  
ليست هي الشكل الخارجي للنظام السياسي إلا في دول مثل إيران وكوبا والسعودية وقطاع غزة وجغرافيات  
أخرى، لأن الجميع هنا في خدمة «تقديس» الحزب، بعكس النظام الليبرالي، فالإعلام هنا لا يخدم الحزب،  
لأنه أصلاً لا يوجد حزب، بل أحزاب سياسية، ذات برامج، ضمن مؤسسة تاريخية تتعرض هي وزعمائها  
للمساءلة الإعلامية .

#### المصطلح بين السياسي والإعلامي :

الإعلامي يجب أن يبقى مستقلاً، وتكون مصطلحاته وكلماته إعلامية، وليست سياسية وخير مثال على  
ذلك، الساحة الفلسطينية، فمن المفروض «ان يستخدم الإعلاميون مفردات وصفية تختلف عن مصطلحات  
السياسيين فالانقسام مفردة صحافية اما الحسم العسكري فهي مصطلح حماس والانقلاب مصطلح لفتح»  
١٧٠، لكن غداة الانقسام استخدم مذيعو تلفزيون فلسطين مصطلحات سياسية مثل «ميليشيات الانقلاب»  
و«ميليشيات حماس السوداء» و«المجموعات المجرمة والمارقة» ١٧١، في حين استخدمت قناة الاقصى  
مصطلحات مثل «اذناب إسرائيل» و«سلطة عباس» ١٧٢ .

فالمصطلح يسعى إلى تغيير سلوك الفرد والتأثير عليه ويساعد على بناء المعنى خاصة اذا رافق المصطلح صورة  
١٧٣، كيف :

في خبر عاجل أوردته وكالة معاً الأخبارية يوم السبت، الموافق ٧ . ١٠ . ٢٠١٢، عند الساعة الثالثة عصراً  
يقول الخبر: «أول سلاح حو للمقاومة في غزة»، ويرافق العنوان صورة لطائرة بدون طيار ولكنها من  
الصناعات الحديثة» .

هذا عنوان ليس له علاقة بصياغة الأخبار، بل هو عبارة عن كتابة عواطف، لا يعرف ما معنى سلاح الجو في العلوم العسكرية؟، هذا العنوان هو مثال للمبالغة والتحويل الذي يعتبر أحد أشكال انتهاك الموضوعية<sup>١٧٤</sup>، في المقابل كان عنوان الخبر على وكالة الأنباء الفرنسية على الشكل التالي: «الجيش الإسرائيلي يقول أنه اسقط طائرة صغيرة بدون طيار عبرت إلى جنوب إسرائيل»، نلاحظ هنا، إن صياغة الفرنسية نوعاً ما صياغة مهنية وكانت دقيقة في خبرها إذ تبين لاحقاً أن الطائرة الصغيرة كانت قادمة من لبنان وليس من قطاع غزة.

استخدام مصطلحات أو كلمات نارية تؤجج مشاعر الرأي العام ولا تعطيه معلومات، وفور ورود هذا الخبر على وكالة معاً تصفحت مواقع التواصل الاجتماعي (الفيسبوك) ووجدت ردود أفعال المواطنين عاطفية جداً، ومشحونة بطريقة غير عادية مثل: «وغداً اباتشي»، «ما شاء الله... الله ينصرهم» «اللهم انصرهم وثبت اقدامهم» و«الله اكبر... تكبير» و«قريباً اباتشي وان شاء الله بندمر إسرائيل» و«غزة العزة وحماس النصر». تستخدم وسائل الإعلام مصطلحات وكلمات للتأثير على المتلقي، وفق الخط السياسي الذي تريده، واليكم الامثلة التالية:

#### مصطلح «ثوار» سوريا:

مقابل كلمة مسلحين ظهر مصطلح «ثوار» في قناتي الجزيرة والعربية، و«فلول المجموعات الإرهابية المرتزقة» في السورية و«معارضة» في البي بي سي البريطانية، و«مقاتلين» في سكاى نيوز عربية، و«المعارضة المسلحة» في البي بي سي، و«مقاتلي المعارضة المسلحة» في فرانس ٢٤.

#### مصطلح «الجيش السوري»:

مقابل كلمة الجيش السوري في الميادين، هناك «الجيش النظامي» في الجزيرة، «القوات الحكومية» في ال بي بي سي، و«كتائب الأسد» في قناة المستقبل التابعة للحريري، أو «الجيش العربي السوري» في السورية، أو «الجيش السوري» في قناة روسيا اليوم أو المنار، أو «القوات النظامية» في فرانس ٢٤، أو «الجيش النظامي السوري» في قناة الأقصى التابعة لحماس (لاحظ أن التلفاز السوري الرسمي وصف رئيس المكتب السياسي للحركة خالد مشعل مع الرئيس المصري محمد مرسي بانهم «طباله»<sup>١٧٥</sup> و«مقاوم متشرد».

#### مصطلح «الثورة» في سوريا:

ما يحصل في سوريا تصفه قناتا الجزيرة والعربية بأنه «ثورة» والتلفاز السوري «إرهاب» ووكالة الأنباء الفرنسية «اللازمة السورية».

## مصطلحات تتعلق بأحداث البحرين :

وعن أحداث البحرين ، كتب على شريط قناة «الميادين» المتحرك هناك خبرين عن «القمع» الذي تمارسه أجهزة الأمن البحرينية ضد المعارضة ، بينما في قناة «المنار» التابعة لحزب الله هناك خبر عن حالة «القمع الوحشي» ضد «ثوار البحرين» ، فيما كتب في الشريط المتحرك على قناة «الجزيرة» القطرية محاكمة أحد «الناشطين» في البحرين ، وعلى تلفزيون «البحرين» «مخربون يقومون بإشعال حريق في إطارات» و«مقتل أكثر من ٣١ ألف شخص في سوريا منذ بدء الثورة ضد بشار الأسد» وفي تلفزيون المنار «استشهاد معتقل بحريني في سجون النظام» ، وفي التلفاز السوري «السلطات الأمنية البحرينية تعتقل ستة أطباء» ، وفي تلفزيون العالم الإيراني «استشهاد معارض بسبب الإهمال الطبي والبرلمان صوري وهو حكومة ظل موالية للنظام» .

## عناوين نشرات الأخبار :

وفي عناوين نشرات الأخبار يقول الخبر في نشرة أخبار «الأخبارية» السعودية «رئيسة البرازيل تؤكد أن قتل المدنيين يتحمل تبعاته النظام السوري» .

وفي قناة «آفاق» التابعة لرئيس الوزراء العراقي نوري المالكي «المسلحون يرتكبون مجزرة بريف حمص» : (تخيل ان النظام العراقي الطائفي كان يتهم النظام السوري بأنه يسهل عمل تنظيم القاعدة للقيام بعمليات تفجيرية في العراق ، وعلى تلفزيون المنار «تعزيزات عسكرية للجيش السوري لضرب المسلحين في حلب» (لاحظ أن المسلحين الآن كانوا ثوارا على شاشة المنار في الربيع العربي في تونس وليبيا ومصر) ، وفي تلفزيون بي بي سي البريطاني «استمرار المعارك في سوريا بين القوات الحكومية والمعارضة المسلحة» ، أما على شاشة فرانس ٢٤ «تواصلت الاشتباكات جنوب العاصمة دمشق وداخل أحياء في مدينة حلب بين القوات النظامية ومقاتلي المعارضة المسلحة» ، وفي تلفزيون العالم الإيراني «الجيش السوري يقضي على عشرات المسلحين في المدن . . . الأمن البحريني يجمع بالغاز والرصاص» وفي قناة الأقصى «١٢٩ قتيل في سوريا والنظام يحاصر المدن» وفي تلفزيون فلسطين ، قناة مصر ٢٥ «التابعة لجماعة الإخوان المسلمين» في مصر كتبت تقول «١٢٥ شهيداً» بئيران قوات النظام ، و«إسماعيل هنية : «حماس تساند الشعب السوري في تطلعه نحو الحرية والكرامة» ، وقناة الأقصى «استشهاد اثنين من اللاجئيين الفلسطينيين برصاص الجيش النظامي السوري» .

وتلفزيون المستقبل «١٦٥ قتيلاً برصاص كتائب الأسد» ، فيما قالت قناة «المنار» الجيش السوري يقضي على عشرات المسلحين» ، وعناوين قناة العربية كانت الآتي : «مخبرات الأسد وراء حريق فيلاجيو في قطر» (راح ضحيته ٢٠ شخصاً) و«الطياران التركيان سقطا حين . . . والأسد أمر بقتلها» (لاحظ هناك صياغة في اللغة تحرض على النظام السوري).

### المكالمات الهاتفية :

في المكالمات الهاتفية يتم اختيار الأشخاص بعناية فائقة، ففي نشرة الأخبار الرئيسية تم أستضافة «ناشطة في الهلال الاحمر السوري من حلب «أمية عقيل»، قالت في المحادثة الهاتفية: «أحداث دخيلة عن ثقافتنا»، وصفت يوميات «الحراك في سوريا» بأنها أحداث دخيلة، بينما هناك مكالمه هاتفية مع عضو مكتب إعلامي من حلب قال: «بالنسبة للثوار انتهى عهد الرئيس السوري»، كما أجرت قناة العربية مساء يوم الثلاثاء بتاريخ ٢٠١٢ . ١٠ . ٢ لقاء مع المنشق عن النظام السوري بدأت المقابلة ب «دولة الرئيس رياض حجاب».

### المصطلح حسب الزمكانية :

وفي أحيان أخرى، يتم أستخدام المصطلح بحسب الزمان والمكان فعلى صعيد مصر، فقد كان يطلق على «قروض» «البنك الدولي» في عام ٢٠٠٦ بانه «ربا» من «مؤسسة رأسمالية»، وفي عام ٢٠١٢ أصبحت تطلق قناة مصر ٢٥ التابعة للإخوان على القرض قرض، في حين كانت تقول عن «اتفاقية كامب ديفيد» عام ١٩٧٩ بانها «اتفاقية خيانة»، لكن في عام ٢٠١٢ تحاول أن تتغاضى عن هذا الموضوع تحت مبرر «مش وقته».

### المصطلح في الحالة الفلسطينية :

وفي الحالة الفلسطينية، هناك تباين كبير من قبل وسائل الإعلام العالمية في استخدام مصطلح مثل «عمليات استشهادية»، و«عمليات فدائية»، و«عمليات تفجيرية»، «عمليات انتحارية» ثم «عمليات ارهابية»، وفي أحيان أخرى فرضت الحالة الفلسطينية مصطلحات على الماكينات الإعلامية العالمية مثل «الانتفاضة» و«النكبة».

كل تلفزيون، بحسب جغرافيته، أو مصدر تمويله، يختار النص المناسب، والمصطلح المناسب والصورة المناسبة، للتعبير عن الحدث، أو إشعال حدث للتأثير على الرأي العام العربي.

## ٤ . الصورة

بعد أن كانت الكلمة هي التي تؤدجج الواقع لصالح النظام السياسي تحول الأمر بين ليلة وضحاها لصالح الصورة، حتى غدت الصورة سلطة تقف خلفها عمليات التضليل وإخفاء الواقع، وفي هذا الإطار يقول جان بوديار «خلف الصورة يقف العقل الذكي للسياسة» .

يحاول القائمون على الصورة هنا اعتقال العقل، أي توقف النشاط الذهني عن التفكير وقولية الوعي في اتجاه واحد فقط، لأن الصورة غدت لغة جديدة لها صفات محددة مثل المفاجئة والبث المباشر والمؤثرات الصوتية المصاحبة للصورة، وهنا يدفع المشاهد إلى التأويل بين المخزون الثقافي لديه وما يشاهده من صور وهنا تنعزل اللغة ومن ثم تنعزل الحبكة، ومن هنا يمكن للمشاهد أن يرى صوراً غير موجودة ويعتقد بوجودها .

مثال :

عرضت قناة الميادين التابعة للإعلامي المشفق عن قناة الجزيرة غسان بن جدو، تقرير استخدمت خلاله صوراً مصحوبة بنص، تظهر الجيش السوري في صورة البطل المدافع عن القومية والإسلام والعروبة للأمة العربية .

فقد عرضت القناة برنامج تحت عنوان «حوار الساعة» من تقديم سامي كليب، مساء يوم الإثنين، ١٠ . ١ . ٢٠١٢، قامت من خلاله الصحافية أوغاريت دندش بمرافقة قوات من «الجيش السوري» مكتوب على بندقية أحدهم «سوريا الأسد» «لتحرير ثكنة هنانو»، طبعاً رافق البرنامج موسيقى تصويرية صاخبة ودراماتيكية، وتحت أسفل الشاشة كتب «الجيش السوري يدخل ثكنة هنانو موقعاً مئات القتلى بين «المسلحين» هناك مشهد يظهر عشرات القتلى من الجيش الحر في الشوارع»، دون أن يسقط منه «قتيل واحد» . (صورة تظهر الجيش السوري في صورة البطل) .

## ٥ . النص الديني

قبل ظهور الفضائيات العربية، كانت البرامج الدينية تقليدية، تتعلق حول الشعائر الدينية كالصلاة والحج والزكاة، ومساعدة اليتيم، وهكذا، ولكن مع انطلاق الفضائيات، تحول البرنامج الديني التقليدي إلى برنامج سياسي أيضاً، وبلغ ذروته، مع برنامج «الشرعية والحياة»، التي تبثه قناة الجزيرة القطرية وتستضيف فيه يوسف القرضاوي، فائدة الاستعانة بالنص الديني انه يمهد للسياسي بممارسة ما يريد، بل يشرعن له الحدث، ويجعل عمله مقبولاً بين الرأي العام

### مثال أول :

ركزت قناة العربية السعودية في بعض برامجها على تحريم رجال الدين في السعودية على المظاهرات، وسأقت الحديث النبوي التالي: «من خلع يداً من طاعة، لقي الله يوم القيامة، ولا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة، مات ميتة الجاهلية» صحيح مسلم، بل أخذت تروج لفكرة الحكم الوراثي المطلق فقد أوردت الحديث التالي «من أتاكم وأمركم أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاضربوا عنقه كائنا من كان» صحيح مسلم، وفي حديث نبوي آخر «من رأى من أميره شيئاً من معصية لله فليكره ما يأتي من معصية الله ولا ينزع يداً من طاعة فإن من خرج عن الطاعة وفارق الجماعة مات ميتة الجاهلية» متفق عليه<sup>١٨٠</sup>، وفي قناة العربية السعودية تنادي ليلاً نهاراً أن بشار الأسد دكتاتور استلم الحكم وراثياً من والده!!!

### مثال ثان :

طالب حزب النور السلفي المصري المواطنين بالخروج إلى الشوارع للتظاهر ضد نظام حسني مبارك، فقد قال أحد رجال الدين المحسوبين على هذا التيار السلفي على شاشة قناة «الناس» السلفية المصرية: «الخروج على الحاكم لا يجوز إذا وفر للناس طعامهم وشرابهم، أما الذي يحدث في بعض البلاد العربية ليس خروجاً على الحاكم، انما هو إستنكار للظلم وتغيير للمنكر والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من خصائص ومميزات رفعة هذه الأمة، وبالتالي واجب على كل إنسان ان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر في حدود طاقته وإستطاعته، وبالتالي ما يحدث الان يجوز لان الظلم زاد والفساد استشرى، وكما قال صلى الله عليه وسلم أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان ظالم»<sup>١٨١</sup>

### مثال ثالث :

بين يوسف القرضاوي في برنامجه «الشرعية والحياة» على قناة «الجزيرة» العربية، أن الإخوان المسلمين، استلموا الحكم في بعض الدول العربية، لأنهم صبروا، فنالوا، وشبههم كالانبياء «امتحن الله ابراهيم

وموسى وأيوب ثم مكنهم وامتحن سليمان ثم مكنه وأتاه ملكاً. ١٨٢

#### مثال رابع :

طالب حزب النور السلفي المصري المواطنين في مصر بأن يصوتوا لمرشحه، وليس للمرشح أحمد شفيق، الذي كان محسوباً على نظام حسني مبارك، وساقوا الحديث النبوي التالي: «من ولى على الناس أحداً وفيهم من هو خير منه فقد خان الله ورسوله والناس أجمعين»، للتأكيد على ان مرشح حزب النور السلفي هو أحق الناس «بالخلافة».

بعد محاولة قتل المرشح المنافس احمد شفيق دينياً، جاء دور الجماعة السلفية على شريحة أخرى في المجتمع وهي المرأة، فطالبوا بالتصويت لمرشحهم الرجل وساقوا الحديث النبوي التالي: «لا خير في امة ولوا عليهم امرأة».

نلاحظ هنا أن كل نظام أو حزب أو جماعة إسلامية تجلب حديثاً نبوياً لتثبيت ايدولوجيتها، وتدعي في الوقت نفسه أن أفكارها وشخصها من السماء يمثلون «الحقيقة الطاهرة المطلقة»، حتى أنني سمعت خلال خطبة لاسماعيل هنية زعيم حماس في قطاع غزة يطلق صفة «قائد رباني» على أحد رجالات حماس.

### ٥ . ٥ سلطة الخطاب الديني في الإعلام

الخطاب الديني أو ما أطلق عليه المفكر العربي الكبير محمد اركون «النص الثاني» هو شروحات وتفسير والنصوص التي صدرت عن رجال الدين حول «النص الأول» حتى أنها غدت مع مرور الزمن، وكأنها نص ديني مقدس، بل غدا النص الثاني مقدساً، بمرتبة الأول<sup>١٨٣</sup>، وبأن القوانين الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان، وهو ما يخالف العقل الإنساني أولاً، والاجتهاد في الدين ثانياً، وفكرة فصل الدين عن الدين كمفهوم سياسي ثالثاً، وهنا لا نعني إقصاء الدين عن الوجود الإنساني، كما يزعم الإسلاميون، بل إن النظام الديمقراطي أو العلماني يحمي وجودهم وفكرهم كإسلاميين في إطار دولة القانون والدستور، وأكبر مثال على ذلك تركيا، فالذي أوصل حزب العدالة التركي الإخواني هو نظام كمال اتاتورك العلماني إلى سدة الحكم.

وهناك فرق بين الدين والخطاب الديني، كما يوجد فرق في الدين من حيث العقيدة (الايان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وهي عبارة عن مشروع إيماني غير خاضع للمختبر أو العقل أو التفكير) والشريعة (القوانين الدينية وهي التي تدخل في باب الاجتهاد وهي قابلة للتغيير حسب الزمان والمكان مثل وقف الرجم أو قطع يد السارق أو الزواج من اربع نساء)<sup>١٨٤</sup>

فيما يتعلق بالقوانين الدينية، فقد انقسم المفكرون المسلمون إلى قسمين: القسم الأول: وهم المصلحون في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين مثل محمد عبدة والافغاني ورفاعة الطهطاوي وعلي عبد الرازق ومنهم الإسلامويون مثل سيد قطب<sup>٥٨١</sup> وأبو الاعلى المودودي<sup>١٨٦</sup>.

بعد وصول ثورة الخميني إلى سدة الحكم في إيران عام ١٩٧٩ وانتهاء الاتحاد السوفيتي عام ١٩٨٩ تمددت الحركات الإسلامية في جميع أرجاء العالم العربي والإسلامي، وأصبح لها قاعدة شعبية لا يستهان بها خاصة وان الأنظمة السياسية في العالم العربي أنظمة دكتاتورية يعشعش فيها الفساد من كل حذب و صوب . قوة الإسلام السياسي في الشارع، شجع بعض الأنظمة الخليجية على تبني هذا التيار لكي يكون أداة من ادواته التي يستخدمها في المنطقة، ولهذا سخر له كل الامكانيات الإعلامية التي اتاحت له لكي يسيط نفوذه على الشارع العربي ويستولى على أي صندوق انتخاب في حال تقرر القيام باي عملية انتخابية في أي بلد عربي . إن رأس الحربة هنا لدى تيار الإسلام السياسي هم جماعة الإخوان المسلمين والدولة التي استغلت هذا التيار هي قطر، بعكس السعودية التي سخرت إعلامها (قناة العربية، وجريدة الشرق الأوسط اللندنية لمحاربة الإخوان المسلمين وإيران وحزب الله اللبناني الشيعي)، ولكن علاقة السعودية مع الإخوان فيها تجاذب ومد وجزر، حسب المكان والزمان ونوعية الحدث، في حين اتخذت الامارات العربية المتحدة موقفاً راديكالياً ضد جماعة الإخوان المسلمين .

وهناك عدة برامج للجزيرة لدعم سياسة قطر الخارجية أو لنشر أفكار أدواتها مثل :

#### برنامج الاتجاه المعاكس :

٩٠٪ من برنامج الاتجاه المعاكس تدور حول سوريا، فمنذ عودة فيصل القاسم إلى الشاشة بعد انقطاع دام شهر، كانت على سبيل المثال حلقة يوم الثلاثاء ١٧ . ١٠ . ٢٠١٢ عن الأحداث في القرداحة، في الوقت الذي تخصص فيه معظم حلقات البرنامج عن الأزمة السورية، لم يتطرق مطلقاً لنظام الحكم في قطر أو للمعارضة القطرية، أو لعدم وجود برلمان قطري، أو وجود الجالية الاجنبية وحقوقها السياسية في هذه الامارة، أو إلى أنظمة الحكم في الخليج العربي . وهناك مثال صارخ أيضاً، فعندما كانت قطر تقيم تحالفاً مع نور المالكي الذي استلم الحكم عام ٢٠٠٣ لم تخصص البرامج لشن حرب إعلامية ضده، ولكن بعد ان تحالف المالكي مع نظام بشار الأسد، تحالفت قطر آنذاك مع الجناح السني بقيادة طارق الهاشمي الذي هرب إلى قطر، فأخذ فيصل القاسم يخصص البرامج للمشاكل العالقة بين الجناحين الشيعي والسني في العراق!

كما أن البرنامج عرض في مقدمة الاعلان عن إحدى الحلقات مقدمة غريبة جداً من نوعها ففي يوم ٢٨ . ٩ . ٢٠١٢ الساعة السادسة مساءً جاء في الإعلان العنوان التالي : لماذا اصطف العلمانيون واليساريون والقوميون مع بعض طواغيت الوطن العربي؟ مقدمة لهدم مصطلح علماني ودولة علمانية ديمقراطية لدى العقل الجمعي والرأي العام العربيين؟

## برنامج شاهد على العصر

برنامج شاهد على العصر، الذي يقدمه أحمد منصور، دعاية متواصلة لجماعة الإخوان، والشهود دائماً إسلاميين، فقد استضاف في آخر برامجه عدنان سعد الدين المراقب العام السابق لجماعة الإخوان المسلمين في سوريا<sup>١٨٧</sup>، وكأنه لا يوجد شهود الا الإخوان المسلمين، هذه البرامج تعني أسلمة المجتمع، وقد محورت الحلقة عن دور الإخوان باعتبارهم دعاة وليس قضاة، وبيان الثورة الأولى الذي أصدره سعد الدين ضد الرئيس السوري السابق حافظ الأسد، ويحاول هنا أحمد منصور أن يبدو وكأنه محاور، ولكن الحلقة هي عبارة عن دعاية لجماعة الإخوان على اعتبار أنهم أول من واجهه النظام السوري.

لماذا لا يقوم السيد منصور بإجراء مقابلات مع مفكري التنوير في الوطن العربي مثل المفكر المغربي الكبير عبد الله العروي، أو المفكر السوري هاشم صالح، أو المفكر اللبناني علي حرب، أو المفكر السوري الكبير أدونيس؟، والسبب واضح، لأن القناة لا تريد ان تنشر الفكر التنويري والخطاب الديني المنور في الشارع العربي، ولأن رسالة الاعلام في خدمة اجندات الممولين... وغيرهم.

## برنامج الشريعة والحياة

يعتبر برنامج «الشريعة والحياة» الذي يقدمه عثمان عثمان مع يوسف القرضاوي عبارة محادثة بين أستاذ وتلميذه المؤدب، أنه صوت جماعة الإخوان المسلمين، بهدف أسلمة بل أخونه المجتمع العربي، البرنامج اسبوعي للحديث عن قضية و اسلامية- سياسية معينة، فقد أفتى القرضاوي مثلاً بإهدار دم القذافي، ولهذا يسعى البرنامج إلى أسلمة أو اخونة الشارع وشيطنة بعض الأنظمة السياسية العربية لكي يتم ترتيب المنطقة وفق أجندة سياسية خاصة متفق عليها فيما قبل.

في المقابل، هناك برنامج بعنوان: أجندة سياسية ييث في قناة «بي بي سي» البريطانية، دارت الحلقة بين الأخيرتين، الأولى: حول موقف دول الخليج من الإخوان المسلمين، وبينت الحلقة أن قطر تدعم جماعة الإخوان المسلمين وتوفر لهم الدعم الإعلامي والمادي واللوجستي والمعنوي، في حين أن علاقة العربية السعودية مع الجماعة بين مد وجزر، بحسب الأحداث الجارية، فهناك مثلاً في الأزمة السورية تقاطع في المصالح، بينما تأخذ الإمارات من الجماعة موقفاً راديكالياً وخاصة جمعية الإصلاح الدينية.

الحلقة الثانية بينت دور الإصلاح والتغيير في دولة الامارات، فقد اتصل السيد محمد التهامي بالبرنامج وقال بالحرف الواحد: «نحن منذ الدولة الأموية دول ملكية، والناس مبسوطين معنا، ولهذا لا داعي للتغيير في أنظمة الحكم»، فردت عليه مقدمة البرنامج: بأن الخوف اذن ليس من الإخوان، وإنما من التغيير والإصلاح.<sup>١٨٨</sup>

## صناعة رموز

قامت قطر بصناعة رموز سياسية ودينية من أجل تكوين مرجعية لنشرة أخبارها، فأصبح على سبيل المثال يوسف القرضاوي منظر قطر بامتياز وحصل على الجنسية القطرية، وأصبح متسأوق مع السياسة القطرية، لكنه لم يدعُ للأسف قطر إلى إرسال شحنات أسلحة للشعب الفلسطيني الذي يعيش تحت الاحتلال منذ ٦٠ عاماً!

فعندما تسارعت الأحداث السياسية بسرعة كبيرة فإن السياسي القطري استنجد بالشرعي / القرضاوي (يعني استجداء الأرض بالسماء) من أجل شرعنة الحدث جماهيرياً، وأكبر مثال على ذلك فتوى يوسف القرضاوي بهدر دم القذافي قبيل تقديم الدعم اللوجستي والمادي إلى المعارضة الليبية.<sup>١٨٩</sup>

نعود إلى صلب موضوعنا، بعد وصول جماعة الإخوان المسلمين إلى سدة الحكم في مصر، فبعد أن قام الإسلاميون بقتل أنور السادات بسبب توقيع اتفاقية كامب ديفيد عام ١٩٧٩، ها هي جماعة الإخوان المسلمين تبقى على الاتفاقية، وما يزال السفير الإسرائيلي يرتع في القاهرة، وبعد أن كانت القروض من البنك الدولي تمثل ربا، قام رئيس الجمهورية المصري محمد مرسي أحد أقطاب جماعة الإخوان المسلمين بأخذ أكثر من أربعة مليارات يورو كقرض من البنك الدولي، كما قامت الرئاسة المصرية بالطلب من إسرائيل بتحريرك الدبابات المصرية في صحراء سيناء لمقاتلة الجماعات السلفية، وبعد ذلك سحبت الآليات العسكرية وفقاً لاتفاقية كامب ديفيد التي كانت في يوماً من الأيام «اتفاقية استسلام مع العدو الصهيوني» وخيانة، لقد بات معروفاً أن «الربيع العربي» له خطوط حمراء وسقف محدود الارتفاع، ومسموح لجماعة الإخوان المسلمين من التحرك تحته وضمن الدائرة الداخلية، أي على صعيد القضايا الداخلية، أما على صعيد القضايا الخارجية فهذا ممنوع الحديث فيه.

### مثال أول :

كانت اتفاقية كامب ديفيد، ومن وقعها، عمل خياني بامتياز في نظر جماعة الإخوان المسلمين، ولكن بعد فوز الجماعة، بقيت الاتفاقية على حالها، بل أصبحت الجماعة تحتفي لأول مرة بموقعها.

فقد عرضت قناة «بي بي سي» البريطانية باللغة العربية تقرير يوم ٧ . ٩ . ٢٠١٢ عن احتفالات مصر بحرب أكتوبر ٧٣.

يقول التقرير إن الإخوان المسلمين يشاركون لأول مرة في الاحتفالات، ويشيد عصام العريان الذي يعتبر أحد أقطاب حزب العدالة التابع للإخوان بحرب ٧٣، بما أن القيادي في جماعة الإخوان العريان يشيد بحرب أكتوبر، وبتناججه، وبالذي أشرف عليها، وهو طبعاً أنور السادات، لماذا لم تحتفل منذ ٣٩ عاماً بهذه الحرب

هل اكتشف الإخوان الآن بعد مرور ٤٠ سنة ان حرب اكتوبر كان تشريف للشعب المصري، ولماذا الآن؟ هل السبب لأن الجماعة أصبحت تحكم مصر الآن؟ لماذا كانت اتفاقية كامب ديفيد خيانة عام ١٩٧٩. وأصبح الحكم عليها الان في ادبيات وإعلام جماعة الإخوان المسلمين «مش وقته»، لماذا لا تصدر الجماعة قراراً والسيد مرسي مرسوماً جماهيرياً بأن اتفاقية كامب ديفيد لاغية؟ أو على الأقل يهدد « دولة فلسطينية مستقلة في حدود ٦٧ مقابل اتفاقية كامب ديفيد؟

مثال ثان:

لقد عرضت قناة الجزيرة عدة أجزاء في نشراتها الأخبارية عن التعليم «بعنوان: مدارسنا بين الواقع والمأمول»، حيث عرضت تقرير من الصومال، للصحافي عمر محمود من مقديشو، بتاريخ ٦ . ٩ . ٢٠١٢ اشتمل التقرير عن وضع التعليم في مدرسة عمران بن حصين، التقرير اشتمل على صور التلميذات في المدرسة - في المرحلة الابتدائية، وهن يرتدين الزي الإسلامي المتشدد جداً، لكن لم يتطرق صاحب التقرير أو مذيع قناة الجزيرة إلى اللباس أيضاً، وإلى التشدد الديني في المنطقة، وهذا يتماشى وموقف الجزيرة التي تعتبر الراحمة الأولى للفكر الإسلامي في الجغرافيا العربية.

وما ينطبق على قنوات الأخبار، ينطبق على قنوات الأطفال، دعونا نورد المثال التالي لعرف الفرق في التأثير على الرأي العام من زاوية «الايدولوجيا»<sup>٩١</sup> أو من زاوية «القيم»<sup>٩٢</sup>.

«الإعلام العربي» يبرز المجتمعات الشخصية:

في دراسة للأستاذ محمد أبو الرب بعنوان «دور الخطاب الدعوي عبر الفضائيات والمواقع الالكترونية في بروز المجتمعات الشخصية» بين من خلاله

«أنه في ظل مشاعية الفضاء التقني في المنطقة العربية»<sup>٩٣</sup> أصبح الطلب على الأشكال أكثر من المضامين وحتى في الخطاب الديني، فقد أصبح المطلوب إعادة تمثيل الموروث الديني والاجتماعي في أشكال تقنية تكون محل طلب المتلقين لا تجاهلهم. ولكن الأستاذ أبو الرب يقول هنا نقلاً هنا عن الفيلسوف الألماني الكبير يورغن هبرماس<sup>٩٤</sup> «كلما أوغلت المجتمعات في تسليع مخرجات التقنية، كلما انحصر الدين وتعلمت هذه المجتمعات»<sup>٩٥</sup> أعتقد هنا ان الفيلسوف الألماني هبرماس<sup>٩٦</sup> أخطأ كثيراً لأنه ساوي بين المجتمعات والثقافات ولم يعرف بعد ان المجتمع الأوروبي متقدم تكنولوجياً وزمنياً ومجتمعياً وفكرياً عن العالم العربي.

لقد سيطر الإسلاميون على الخطاب التلفازي، حتى أنه يمكن أن يقال أن هناك مصطلح «الداعية التقني» بسبب ترسيخ «ثقافة العين» بدلاً من «ثقافة العقل»<sup>٩٦</sup> «أو «ثقافة الذهن المتوقد»، هذه السيطرة اثبتت عكس ما كان

يقوله بعض المفكرين العرب مثل الصادق النهوم الذي قال «لا يمكن تطويع التلفاز لخدمة الدين، كما لا يمكن أن يؤدي التلفاز وظيفة غير وظيفة التسلية والتسويق التي وجد من أجلها في مجتمع رأسمالي والقنوات الدينية لا يمكن أن تتحمل تكاليف البث إلا إذا تحولت إلى قنوات أعلانية»<sup>١٩٧</sup>.

لقد ثبت بالعكس الكامل كلام النهوم<sup>١٩٨</sup>، فقد ارتبط الدين بالسياسة وتحول إلى ايولوجيا، وأصبحت وظيفة التلفاز وظيفة ايولوجية بناء على مصالح سياسية وأجندة وبالتالي قامت بعض الدول بتحمل تكاليف هذه القنوات الدينية بل حولت مؤسساتها الإعلامية بالكامل لصالح الخطاب الديني لأن هذه الحركات تعتبر أداة طيعة في سياستها الخارجية.<sup>١٩٩</sup>

يلفت الأستاذ محمد ابو الرب في دراسته الانتباه إلى جزء اسماء «الايان الشخصاني» فقد قام الإعلام الديني أو حتى التجاري، مثل قناة راديو العرب وتلفزيونهم «ارت» يعمل قناة اسمها «اقرأ» قامت بصناعة نجوم في عالم الدين مثل عمرو خالد، وهو نوع جديد من رجال الدين، رجل دين غير تقليدي، لا يلبس العمامة أو اللباس الباكستاني الأبيض، غير ملتصق، أنيق المظهر، متمدن، عصري، براغماتي، منفتح، صاحب أسلوب سهل، سلس، قصصي، يداعب جمهوره، يلقي قصصه خلف خلفية نهر جاري، لغة سهلة وبسيطة، لذلك حاز هذا الداعية على ثقة الجمهور العربي، فاصبح الإيمان به إيماناً شخصانياً لشخصه، وليس بسبب الإيمان بأفكار وقوانين وأسس ومواد دينية.

المسألة التي سهلت عملية أسلمة الشارع العربي، لا تقف عند حدود قناة الجزيرة، بل أنه يوجد ٨٠ محطة فضائية دينية من بين ٥٠٠ محطة تبث وتضخ إجابات جاهزة وحلول معلبة بهدف أسلمة الشارع، ويسألونك بعدها: الشارع يريد الإخوان، وانت لماذا غضبان، ألا تؤمن بالعملية الديمقراطية! فهناك قنوات دينية عامة مثل اقرأ<sup>٢٠٠</sup>، الرسالة<sup>٢٠١</sup> والصقوة، وهناك قنوات سلفية مثل المجد والناس «لسلفيين» والحكمة والهدى والرحمة والحافظ، وهناك قناة الصوفية للصوفيين، بالإضافة إلى وجود قنوات شيعية مثل المنار والانوار والفرات واهل البيت والحسين والكوثر، كما يوجد قنوات دينية سياسية مثل الاقصى والقدس وأيضاً للأطفال مثل طة وطيور الجنة، من سمات هذه القنوات الدينية أنها تخطط اتجاهاً سلفي متطرف متشدد وهناك غياب واضح للمهنية الإعلامية فيها، وغياب للحيادية والمعلومات والتركيز على العواطف والمشاعر وهناك سياسة تحريرية موجهة وانتقائية في العمل التحريري. كما ساهم بعضها في الانقسام الفلسطيني وفي نشر الغيبات والأفكار المريضة والخرافات مثل قناة الكوثر التي اجابت على سؤال سيدة بأن ابنتها مريضة فنصحها الشيخ في القناة بأن تكتب عبارة «اللهم بحق ضلع فاطمة شافي ابنتي» وكأنه حجاب، ومن الأفكار المريضة فتوى لهدم المسجد الحرام منعاً للاختلاط، ومناقشة فتوى أخرى بأن يجوز أو لا يجوز معاشرة الزوج لزوجته الميتة، هكذا بكل بساطة،

ومع استخفاف كامل للمشاعر والعواطف واستخفاف بالعقل . لا يفعلها إلا مريض أو فاقد للأهلية .

### الخطاب الديني في برامج الأطفال

قناة «براعم» التي تبث للأطفال حيث توقف برامجها عند الساعة العاشرة مساء لكي تنمي عند الطفل «قيمة» ضرورة أن ينام مبكراً لكي يصحو إلى المدرسة نشيطاً، مجتهداً» فهنا يتعلم قيمة «احترام الوقت وتقديسه» .

في حين أن قناة «طيور الجنة» التي تبث للأطفال، تبث أغاني تحتوي على كلمات تشير إلى أن من «يستشهد» يذهب إلى «الجنة» هنا يكون «التأثير» على الطفل أيدلوجياً - مع عدم مراعاة عمره - لصالح موقف أو اتجاه أو رؤية / حزب إسلامي .

ويقصد «بالموقف» رؤية الإنسان لقضية أو شخص ما وشعوره تجاهه، فموقف الإنسان هو الذي على أساسه يبني حكمه على الأشخاص الذين يصادفهم والمسائل التي تعرض لها، والموقف قد يتعرض سلباً أو إيجاباً رفضاً أو قبولاً، حباً أو كراهياً بناء على «المعلومات» التي تتوافر للإنسان .<sup>٢٠٢</sup>

أما على صعيد الإعلام الحزبي، فقد أورد د. وليد الشرفا رئيس دائرة الإعلام في جامعة بيزيت أن هناك إعادة ترتيب للأولويات لدى حماس وهذا يظهر بقوة في خطابها الإعلامي، وهو على النحو التالي: في الثمانينات «الإسلام في مواجهة العلمانية/ راجع ميثاق حماس»، في التسعينيات «المقاومة في مواجهة أو سلو»، ٢٠٠٦ «الإصلاح في مواجهة الفساد، بعد حكومة حماس «تفويض شعبي» .<sup>٢٠٣</sup>

## ٥ . ٦ / التلفاز / لغة بصرية وغياب للنشاط الذهني

التلفاز أكثر وسائل الإعلام انتشاراً اليوم في المجتمعات العربية، بسبب الأمية المنتشرة في المجتمعات العربية، ومما ساعد على انتشار التلفاز لكونه صوتاً وصورة. فقد أكدت البحوث العلمية أن ٨٨٪ من المعلومات التي يحصل عليها الفرد مستمدة من حاستي البصر ٧٥٪ والسمع ١٣٪، وتجمع هذه الخاصية بين الرؤية والصوت والحركة واللون وبالتالي تجعل التلفاز أقرب وسيلة للاتصال المباشر.<sup>٢٠٤</sup>

الصورة المباشرة هنا هي بيت القصيد، فهي سريعة جداً، وتستطيع ان تتحكم في قيم ومفاهيم الشعوب<sup>٢٠٥</sup> وفي شعورهم وتركز على الإثارة بدون إمكانية للفهم أو التحليل العميق لما يحدث خلف الصورة الأمر الذي حدا بالإعلامي جي ديور إلى اطلاق مصطلح «مجتمع المشهد».

### اسئلة حول دور التلفاز :

هل الصورة التلفازية تنقل كل المشاهد المصورة التي يجب أن تنقل؟ وهل يغير النص محتوى الصورة؟ وهل يوجد ميثاق شرف أخلاقي عالمي لنقل الصورة؟ هل تنقل الصورة مشاهد دمار أحدثها الاحتلال باعتباره محتل ام مدافع عن نفسه؟ هل يجرؤ التلفاز الغربي نقل مشاهد عن الاحتلال الإسرائيلي؟ هل يجرؤ التلفاز الأمريكي نقل صور عن دور المصانع والشركات الأمريكية العملاقة التي تخرب البيئة ورفع درجة حرارة الأرض؟ من هو الشخص الذي يقف خلف شاشة التلفاز ويرتب لنا برنامجه؟ وما هي دوافعه الأيدولوجية؟ هل يجب أن يكون هناك حرية مطلقة في نقل الصورة أم ضمن قوانين مقيدة؟ وما هو الخط الفاصل؟ هل هي الأخلاق؟ ما هو تعريفها، ومن الذي سيعرفها لنا؟

لماذا لا يوجد تلفزيون عربي تنويري يعرض التجربة الأوروبية ومعارك التنويريين مع الأصوليين لبناء مجتمع عربي منفتح عصري حديث؟<sup>٢٠٦</sup> لماذا لا يوجد تلفزيون عربي ينتقد الخطاب الديني الإسلامي المتشدد؟<sup>٢٠٧</sup> لماذا يغيب الدور الثقافي المفقود عن شاشات الفضائيات العربية؟<sup>٢٠٨</sup> لماذا ينحصر عمل التلفاز العربي بين مرسل ومستقبل ونبأ أيدولوجي؟<sup>٢٠٩</sup> هل التلفاز العربي هو الذي يسير «الثورات العربية» بدلاً من الفلاسفة والمفكرين مقارنة باروربا بين القرن الرابع عشر والقرن التاسع عشر؟ هل التلفاز العربي يتبع لمؤسسة خدمات أو قبائل أو دولة مكونات (مثل الدولة الطائفية في لبنان والعراق وشمال السودان وجنوب السودان وغزة وايران والسعودية) ام مؤسسة تاريخية على غرار أوروبا؟، هل التلفاز العربي هو مؤسسات حكوي، وليس مؤسسة تنويرية هدفها نشر التنوير والوعي؟

هل مسألة التمويل المادي هو السبب المباشر في غياب برامج تنويرية حقيقية في التلفاز العربي؟ هل القاعدة

الإعلامية التي تقول (السبق والاثارة) هما سبب نجاح التلفاز على الوسائل الإعلامية الكلاسيكية الاخرى؟ وهل الهدف النهائي لبرامج التلفاز هو نشر الايدولوجيا (مثل برنامج لعبة الأمم لسامي كليب في قناة الميادين اللبنانية أو برنامج نقطة نظام لحسن معوض في قناة العربية السعودية أو برنامج شاهد على العصر لأحمد منصور على قناة الجزيرة القطرية) أم المعرفة (القيم مثل الانتماء إلى الوطن والجدية والنظافة والنظام وعدم الغش واحترام الوقت والإيثار) أم إيصال الأخبار والمعلومات (مثل تحطم طائرة وعدد القتلى) أو الإثارة (مثل عرض أغنية لروبي في قنوات روتانا الغنائية) أو نشر الخرافات والغيبيات وتدمير البلد<sup>١١٠</sup> (مثل قنوات الحقيقية أو الكوثر الدينية الشيعية) ؟

يقسم التلفاز العربي إلى عدة اقسام وهي : التلفاز الرسمي مثل اليمني والسوداني ، والتلفاز الحزبي مثل : المنار اللبنانية التابعة لحزب الله والأقصى لحماس والمستقبل لحزب المستقبل والتجاري مثل قنوات روتانا والفضائي مثل الجزيرة والعربية والناطق بالعربي مثل ال «بي بي سي» و«سكاي نيوز عربي» و«روسيا اليوم» و«الدويشي فيللي» الألمانية .<sup>١١١</sup>

أخطر نوع من التلفازات السابقة هو القنوات الفضائية العربية أو ما يطلق عليهم - شبة الرسمية ولو انني لا أفضل مطلقاً إطلاق هذا المصطلح - وخاصة على تلفزيوني الجزيرة والعربية حيث تلعب دوراً كبير جداً في تشكيل الرأي العام العربي من زاوية ايدولوجية ، وهي أخونة أو أسلمة المجتمع العربي .

وهناك نوع خطير أيضاً ، وهو التلفاز التجاري ، الذي نشر ثقافة لا أخلاقية - المقصود بالأخلاق هنا ليست الأخلاق التقليدية ، بأن يجب شخص فتاة مثلاً - المقصود بالأخلاق هنا هدم أي بذرة أو مكون لوعي تنويري أو تثقيفي داخل المجتمع ، فبحسب الخبير جون كوندري فان هذا النوع من التلفازات يعتبر «سارق للوقت» ينشر مذاق للعنف والخرافات والغيبيات عن طريق برامج ومسلسلاته ، وبالتالي خلق شخص فارغ مسحوق ذاتياً يشعر بالاغتراب الذاتي ، ليس له دور في بناء المجتمع ولا هم له سوى مشاهدة التلفاز لمدة تزيد أحياناً عن ٦ ساعات ، بل يبقى أحياناً التلفاز مفتوح ليل نهار؟

لكن في المقابل ، ما هو الأفضل للمجتمع المدني ، حرية مطلقة في برامج التلفاز ام قوانين مقيدة ، وما هو الخط بينهما ، هل هي نظرية المسؤولية الاجتماعية؟ هل العيش في جو ديمقراطي يعني الانسحاب من مبدأ المسؤولية؟ هل يمكن أن تتحول هذه المسؤولية مع الوقت إلى ايدولوجيا؟ هل المسؤولية تعني أن الإعلامي في التلفاز يجب أن يحمل ترخيصاً كما يحمل الطبيب أو المحامي شهادة مزاوله المهنة؟ هل يعقل مثلاً أن تكون مهنة الإعلامي مهنة من لا مهنة له؟ كيف يعقل مثلاً أن يتحول شخص من مؤذن إلى إعلامي مشهور على قناة تلفزيونية؟ ألا يقوم التلفاز بصناعة نجوم أو اختلاق أسماء في الواقع المخيال؟ ألا يساعد التلفاز في قتل وقتنا وادلجتنا بحسب محتوى البرامج ونشرات الأخبار؟

لكن، يشاهد الأمريكيون التلفاز، وفي الوقت نفسه، يعتبر المجتمع الأمريكي مجتمعاً متقدماً ومتطوراً، ألم يساعد التلفاز في رفع بدانة الأطفال الأمريكيين ونشر العنف بينهم؟ ألم تشكل برامج المصارعة وأفلام الأكشن دوراً خطيراً في تحويل السلوك لدى مشاهد التلفاز في أمريكا مثلاً؟ ألم يبعد التلفاز الشباب عن قراءة الكتب والروايات - التفكير والتحليل -؟ ألم يساعد التلفاز في الخط من مستوى الذوق لدى المشاهد؟ ألم ينشر التلفاز الحمل الذهني عند شبابنا؟ ألم ينشر التلفاز التخلف لدى جزء كبير من الرأي العام العربي وخاصة فيما يتعلق بمسلسلات البدو والجمال والصحراء؟ ألم يساعد التلفاز في تخريب المسيرة التعليمية وفي ازدياد نسبة التسرب من المدارس؟ ألم يساعد في نشر المخدرات وضرب النساء من خلال المشاهد التي تبثها المسلسلات العربية؟ ألم يساعد التلفاز في نشر نسبة التحرش الجنسي بسبب المشاهد والايحاءات الجنسية التي تبث عن طريق المسلسلات والأفلام؟ ألا يشجع التلفاز على نشر الجنس خارج العلاقة الزوجية؟

في المقابل ألا يساعد التلفاز في تثقيف الشباب نحو العلاقات الحبية والجنسية؟ هل مساعدة الشباب على إقامة علاقات حبية له جوانب سلبية أم إيجابية؟ هل إقامة علاقات حبية يصب أصلاً في مجموعة القيم التي يجب غرسها داخل المجتمع؟ من هو صاحب الحق لكي يفصل في هذا السؤال؟ هل التلفاز أداة لزرع القيم أم للتسلية؟ ما معنى القيم هنا، هل هي الايدولوجيا ام المعرفة؟ ألم يساعد مثلاً المسلسل التركي المدبلج (العشق الممنوع) في ازدياد عدد قضايا الخيانة الزوجية؟ ألم تساعد الدراما التلفازية في خلق مضامين أثرت سلباً على الفرد العربي وعلى أسرته وعلى زوجته؟ ألم يخفي لنا التلفاز قضايا مهمة وغييبها عن حياتنا لكون القائمين عليه جاهلون مثل قضايا احترام البيئة أو الصحة الأرنبية أو الايثار أو احترام الوقت أو حب النظافة وتعزيز قيمة النظام والرتيب وحب الانتماء والصدق وعدم السرقة وحب العمل والتعليم وحب القراءة وممارسة الرياضة؟ ألم يساعد التلفاز العربي في قتل وتسطيح اللغة العربية مثل عنوان برنامج على تلفزيون لبناني «وقف تالك»؟ لماذا يساعد التلفاز اللبناني أو الجزائري أو المغربي مثلاً على نشر اللهجة المحكية؟ لماذا يقوم التلفاز العربي بشراء البرامج الاجنبية ويقوم بترجمتها أو يقلدها مثل برنامج «ستار أكاديمي» ولا ينتج برامج من ذاته؟ هل يعني وجود غرفة وكاميرا وشخصين والف دولار وبث فلم ومسرحيات تلفزيون؟ ألم يساعد التلفاز في تغلل اللغات الأجنبية مثل اللغة الفرنسية في التلفازات اللبنانية وخاصة «ال بي سي أوروبا» أو «ام تي في»؟ لماذا لا يوجد لغات اجنبية في التلفاز الفرنسي أو الألماني أو الانجليزي أو الهولندي؟ ما معنى الأخلاق في التلفاز؟ هل الأخلاق مرتبطة بالشخص الذي يقدم البرنامج في التلفاز؟ هل تقبيل فتاة يعتبر أخلاقاً في التلفاز؟ هل التلفاز وسيلة مليئة بالاجابيات والسلبيات؟ هل من المفترض أن تراقب البرامج المعروضة في البيت من قبل الوالدين؟ من أي الجهة التي يجب ان تعلم كيفية استخدام التلفاز؟ المدرسة أم الأسرة أم المجتمع أم المسجد؟ هل يجب التركيز على البرامج الذي تنمي «العقل النقدي» عند الفرد؟ هل التلفاز يرسم لنا صورة مقبته عن العالم بأنه وحشي وخطير؟ هل هو مصدر مهم للمعلومات؟ كم هي نسبة الكذب في التلفاز؟ هل يؤثر

التلفاز أصلاً على سلوك الفرد ومعتقداته وأفكاره وقيمه؟ هل يجب تخصيص وقت محدد لمشاهدة التلفاز؟ من هي الجهة التي يجب أن تتحمل المسؤولية في ترسيخ القيم؟ هل هي المدرسة أم المجتمع أم الأسرة أم التلفاز؟ هل يمكن السماح بعمل قناة تلفزيونية مفتوحة؟ بمعنى يستطيع أي مواطن ان يضع فيها برنامج أو مقابلة لقاء مقابل مبلغ مادي؟ هل الإعلام في التلفاز يعني المعلومات؟ ما هي المعلومات التي يجب ان يبثها التلفاز؟ هل يجوز حجب معلومات؟ أو جزء من المعلومات؟ ولكن ألم يقل نيقولا جونسون عضو اللجنة الفيدرالية الأمريكية للاتصالات ان التلفاز دائماً تعليمي .

كيف يمكن ذلك؟ ألم يساعد التلفاز في نشر ثقافة الحسد والسحر والجن والرقية الشرعية والاتجار بالدين والعلاج من الحسد والعين بدلا من الذهاب إلى طبيب مختص؟ هل الوطن العربي مقسم بين التلفاز الرسمي أو الفضائي الذي يؤدي إلى وبين التلفاز التجاري المعني بتسطيح الفرد العربي بينما يغيب عن الساحة الإعلامية تلفزيون المعرفة؟ ألم تساعد قناة «الرقية» استغناء المشاهد العربي وتجهيله، كيف يمكن شفاء مريض من على شاشة التلفاز عبر الهاتف؟ ألم تتحول قناتا الخليجية والناس من قناتا للمنوعات إلى إسلاميات بسبب زيادة المشاهدة على البرامج الدينية؟ ألم ترحب القنوات الدينية ملايين الدنانير بسبب البرامج الدينية التي يقدمها ثلة من المحسوبين على التيار الإسلامي؟ ألم يكن شعار قناة «الناس» «قناة تأخذك إلى الجنة» من أجل الاستهلاك العاطفي؟ كيف يمكن لعادل تصديق بعض برامج القنوات الدينية مثل برنامج «جنتي» أو «ليلة في بيت النبي» على قناة اقرأ؟ كيف يمكن أن أصدق أن هدف قناة «الرسالة» هي الأخلاق وفي الوقت نفسه تبث شقيقتها روتانا موسيقى أغنية «بحبك يا حمار» أو «عاو»؟

هل ساعدت أفلام الكرتون في تعزيز ثقافة الطفل العربي من حيث اللغة وتنمية الحس الجمالي وحب الاستطلاع وتعزيز القيم وتأكيد الذات؟ هل انتبه التلفاز العربي لأهمية مفهوم الصحة النفسية في العملية الإعلامية؟ أسئلة تحتاج إلى إجابات أو أبحاث علمية .

## ٦. الدولة / بين المؤسسة التاريخية ومؤسسة الخدمات

### ٦ . ١ النظام العلماني / الديمقراطي

هناك كارثة عند الرأي العام العربي أو في العقل الجمعي العربي وهي أن كلمة علمانية مرتبطة في الذهن العربي بأنها «إلحاد» و«ضلال» و«كفر» و«ضد الإسلام»، وهذا طبعاً يعود لبراءة الأخوان المسلمين، وباقي الحركات الإسلامية المعاصرة وبعض القنوات العربية مثل «الجزيرة» في تسويق هذه المفردات، حتى أن فيصل القاسم يستخدم أحياناً مفردات أن الرئيس المصري السابق حسني مبارك كان علمانياً، للتأثير على الرأي العام، أن الإسلامي أفضل من العلماني أو الوطني أو القومي، أو أن العلمانيين دكتاتوريون وأن العالم العربي جربهم، ويريد الآن أن «يجرب» حكم الإسلاميين .

ميزة النظام العلماني أو الديمقراطي، أنه يذيب الجميع بغض النظر عن الديانة والمذهب والعرق والجنس في دولة واحدة، تحت راية واحدة، تحت قانون واحد، وأمام محكمة واحدة، ففي الدولة العلمانية، لا توجد طوائف متناحرة كما هو حاصل في لبنان، أو قبائل متناحرة كما في اليمن، أو أحزاب متصارعة، يحاول البعض أن يسيطر على الكل، كما في فلسطين، أو أعراق مختلفة كما في العراق، فالدولة العلمانية تعني أن الجميع تحت راية دستور وقانون واحد، كما ان الدولة تبين حقوق وواجبات الفرد فالفرد يعيش بأمان واطمئنان في ظل دولة ديمقراطية، تحميه، وتوفر له ما يريد، في طفولته، وشبابه، وكهولته، لا يحتاج أحداً، وتنقله من مجتمع أبوي قبلي زراعي، إلى مجتمع مدني متطور عصري متمدن صناعي حديث، الدولة توفر له القضاء العادل وسلطة إعلام تحاسب وتراقب، تحت ظل هذه الدولة، لا يوجد محسوبيات أو واسطات، فقيمة الكفاءة هي معيار الوظيفة في القطاعين العام والخاص، لا يوجد بطالة مقنعة، بل في ظل الدولة الحديثة يوجد خبراء اقتصاديين يبحثون ليلاً نهاراً عن طرق وسبل لإيجاد مزيدٍ من فرص العمل عن طريق بناء المصانع والاعتماد على الزراعة الحديثة .

في المجتمعات العربية لا يوجد دول، بالمعنى الحقيقي، ففي اليمن والعراق ولبنان لا يوجد دولة، بل نظام محاصصة طائفية ومذهبية وعرقية وقبيلية، لهذا فإن الدولة في أوروبا هي عبارة عن مؤسسة تاريخية جاءت بفعل نهضة تنويرية، في حين أن دولنا هي عبارة عن مؤسسة خدمات، تقدم خدمات للمواطنين، خدمات غير كاملة مثل الكهرباء والمياه ليس أكثر .

لعبت جماعات الإسلام السياسي، وعلى رأسهم الإخوان المسلمين، دوراً في شيطنة العلمانية لدى الرأي العام العربي، وربطوا كلمة العلمانية بالكفر في كتاباتهم وعلى رأسهم يوسف القرضاوي، فالقرضاوي يقول في كتابه «التطرف العلماني في مواجهة الإسلام، نموذج تركيا وتونس»: «ورأيت أن العلمانية لا يمكن أن تكون محايدة مع الدين، لأن عزل الدين عن حياة المجتمع أو تفريغ حياته من الدين، ليس موقفاً محايداً إنه موقف ضد الدين، إنه يقوم على اتهام الدين بأنه ضرر بالحياة وخطر عليها، فيجب إبعاده عن توجيه الحياة والتأثير فيها ويجب أن تبني الحياة في تشريعها وفي تعليمها وفي ثقافتها وفي إعلامها وفي تقاليدھا على غير الدين».<sup>١١٣</sup>

هنا تجني واضح من القرضاوي على النظام العلماني، فالعلمانية لا تريد عزل الدين، وإنما الهدف منها، أن يكون رئيس الجامعة على سبيل المثال، أستاذاً، يحمل أعلى الشهادات الأكاديمية، كفوءاً، مبدع في مجاله، بينما يكون أمام المسجد، عنده إمام كافي بالدين، وأداء الشعائر الدينية، فالنظام العلماني يضع كل شخص في منصبه، وهذا لا يعتبر عزلاً، وإنما توزيع أدوار بحسب الكفاءة، لكن القرضاوي ربما يريد ان يكون مدير الجامعة والجامع!

الأخطر من كل ذلك، أن القرضاوي يطالب بإدخال الدين في الإعلام، فهو يقول «وفي إعلامها على غير الدين» كيف، اذا تدخل الدين في الإعلام، فإنه يصبح أيديولوجياً، وليس إعلاماً، ويتحول بالتالي إلى دعاية.

كما أن عنوان الكتاب ينتقد النموذج التركي، لكن يتناسى القرضاوي أن التقدم والتطور في تركيا أفضل من جميع الدول العربية مجتمعة سياسياً واقتصادياً وعسكرياً واجتماعياً، ألم يصل حزب العدالة بقيادة أردوغان، وهو حزب الإخوان المسلمين التركي الذي كان كل من الرئيس المصري الإخواني محمد مرسي وزعيم حماس خالد مشعل من ضيوفه الرئيسيين عندما انعقد الحزب في اسطنبول لاختبار اردوغان كرئيس وزراء لتركيا للمرة الثالثة والأخيرة بفضل النظام العلماني الديمقراطي في البلاد.

هناك سؤال كبير، هل النظام في قطر إسلامي؟ هل يطبق الشريعة الإسلامية؟ لماذا لا ينتقد القرضاوي النظام في قطر<sup>١١٤</sup>، والأدهى من ذلك أيضاً، إن القرضاوي يقول أيضاً «أن تطبيق النظام - ويقصد هنا النظام العلماني - في دولة إسلامية، معناه القضاء على الإسلام، كعقيدة حية مزدهرة، ورسالة إنسانية خالدة»<sup>١١٥</sup>، هل يعني هذا، أن نظام حزب العدالة التركي قضى على الإسلام في تركيا، من الذي أوصل حزب العدالة التركي الإخواني إلى الحكم سوى نظام كمال أتاتورك العلماني؟ هل معنى ذلك ان الحزب الحاكم يجب أن يكون حزب ديني؟ أي حزب إسلامي؟ شيعي أو سني؟ هل هم الإخوان أم الجهاد أم التحرير أم الدعوة أو التكفير والهجرة أو القاعدة؟ هل يعني ذلك ضمناً عدم الاعتراف بالديمقراطية كنظام للانتخابات؟ والأدهى من كل ذلك أن القرضاوي يقول أيضاً: «بدون إيمان لا توجد أخلاق»<sup>١١٦</sup>، هذا كلام في غاية

الخطورة، هل من المعقول أن جميع الذين لا يؤمنون بالديانات ليس لديهم أخلاق؟ وهل جميع الألمان والفرنسيين ليس لديهم أخلاق؟ هل جميع الفلاسفة والمفكرين وأساتذة الجامعات والكتاب والروائيين غير المتدينين بلا أخلاق؟ هذه عنصرية! وما معنى الإيمان هنا؟ هل هم المسلمون السنة الإخوان مثلاً؟ وما معنى الأخلاق؟ من سيعرفها؟ ويحددها؟

وفي هذا السياق كتب المفكر السوري الكبير هاشم صالح في صحيفة الشرق الأوسط اللندنية مقالاً بعنوان «متى سيفهم العرب أن العلمانية ليست الإلحاد؟»<sup>٢١٧</sup> كتب يقول:

«كلمة العلمانية تشكل ما يشبه البعبع المفرغ بالنسبة ليس فقط للجمهور العام وإنما أيضاً لقسم لا يستهان به من المثقفين العرب. والسبب هو أنها متطابقة في الوعي الجماعي مع الإلحاد. فعندما نقول نريد دولة علمانية فكأننا نقول نريد دولة إلحادية! وهذا شيء مناقض للحقيقة تماماً. فالدولة الإلحادية هي تلك التي أسستها الشيوعية وفرضتها على جمهوريات الاتحاد السوفياتي طيلة سبعين سنة. فكان الرفيق ستالين مثلاً يمنع الناس بالقوة من الذهاب إلى الكنيسة الأرثوذكسية لأداء الصلاة أو حضور القداس. ولذلك ما أن انهارت الشيوعية عام ١٩٩٠ حتى عادت الديانة المسيحية إلى روسيا بقوة وحماسة. وهذا ما يدعى بانتقام التاريخ لنفسه».

«فالناس كانوا قد أصبحوا متعطين للدين بعد أن حرموا منه طيلة سبعين سنة. وحتى الروايات العظيمة لدوستيوفسكي كانت ممنوعة أو محاربة إبان الفترة الشيوعية لأنها «رجعية» تنضح بالروح المسيحية. ولكن التاريخ انتقم لنفسه كما قلنا وأصبح بطيريك موسكو شخصية هامة يحسب لها الحساب، يتمسح به بوتين ويتقرب منه. بل ويخشى الآن من أن يزيد رد الفعل الديني عن حده وينقلب إلى ضده: أي ان نعود إلى محاكم التفتيش اللاهوتية بعد أن كنا في محاكم التفتيش الشيوعية!.. بالمناسبة بالنسبة لإيران وبعض الدول الأصولية الأخرى فإنه يحصل العكس تماماً. فالشيء الممنوع ليس التدين وإنما إجبار الناس بالقوة على التدين وأداء الطقوس (ستالين معكوسا). ولذلك يقال بان الشيبة الإيرانية أصبحت تنفر من الدين بعد وصول النظام الأصولي إلى سدة السلطة في حين انها كانت متدينة جدا في عهد الشاه. وهذا شيء مفهوم تماماً من الناحية السيكولوجية لان كل ممنوع مرغوب».<sup>٢١٨</sup>

النظام العلماني لم يأت من فراغ بين عشية وضحاها كما يتصور البعض، بل دفعت البلد الذي قدمت منه الأسس الأولى لهذا النظام حوالي ١٠ مليون قتيل، فقد وضع المدماك الأول لهذا النظام عن طريق المصلح الألماني مارتن لوثر<sup>٩١٢</sup> الذي أشعل ثورته الدينية الإصلاحية ضد الكنيسة، التي قامت باستغلال الناس عن طريق قوانين وتشريعات وضعتها لصالحها وتحولت مع مرور الزمن إلى قوانين وتشريعات برتبة مقدسات.

فكرة مارتن لوثر كانت، أن الكنيسة تستغل عامة الناس لسرقة اموالهم، بحجة أنها واسطة للتقرب بينهم وبين الله، فعرف أن هذه قوانين تمثل حيل لاستغلال الناس، فبين أن الله لا يحتاج إلى وسطاء للتقرب إليه، وعلى ذلك يجب ان تكون العلاقة مباشرة بين الإنسان وخالقه، ولا داعي لوساطة ومن هنا تجسدت فكرة فصل الدين عن الدولة، أي تجسد مفهوم الدولة العلمانية والتي لا تعني بأي حال من الاحوال «دولة الكفر» أو «دولة محاربة الدين» بل احترمت الدين ووضعت في مكانه الصحيح، ولم تسمح لرجال الدين بان يتحول خطابهم إلى مقدس أو أن يتحولوا هم بأنفسهم إلى وسطاء بين الفرد والله، ولم يعد للكنيسة اي حكم أو استغلال ديني على المجتمع، الأمر الذي رسخ ما يعرف اليوم باسم دولة المؤسسات والقانون والدستور والحياة المدنية والمؤسسة الشرطة وانتهت إلى حيث رجعه جماعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لهذا لم تنجح الديمقراطية في الوطن العربي للأسباب التالية:

١. لأننا أخذناها كنظام سياسي جاهز من منطقة جغرافية أخرى دون أن ننضج في بلادنا، ودون أن ندفع ثمنها، فقد دفع فريق مارتن لوثر ومناهضيه ١٠ مليون قتيل، النظام الديمقراطي لا يمكن أن يطبق في ظل عدم وجود إنسان يفكر بطريقة قبلية عشائرية متخلفة، لا يفهم معنى برنامج سياسي.
٢. هناك خلط في بلادنا بين الديمقراطية والشوري، فالأولى تعني تشكيل الأحزاب السياسية ذات البرامج، يحكم البلاد من يحصل على أعلى نسبة من الاصوات ويكون الحكم للقاعدة الجماهيرية فهي التي تصوت، بينما الشورى تعني نخبة معينة من الشعب هي التي تختار رأس الهرم من اللون الايدولوجي نفسه، وتقرر نيابة عن الناس ما تراه مناسباً حسب اعتقادها.
٣. الديمقراطية ليست صندوق انتخاب، بل هي أكبر من ذلك بكثير، فهي لا تعني فقط، اختيار رئيس، وتصويت، واختيار قائمة من بين عدة قوائم سياسية، بل هي أيضا حياة اجتماعية (تلبس وتعيش كما تريد بحرية) واقتصادية (قيمة التنافس في الاقتصاد الحر) وحياة ثقافية (تستطيع أن تكتب وتنتج ما تريد).
٤. في حال فوز حزب إسلامي أو علماني يستطيع الحزب الفائز استلام المناصب السيادية بالدولة، كأن يصبح وزيراً للخارجية من جماعة الإخوان المسلمين، ولكن لا يجوز له تغيير طاقم الوزارة أو سفراء البلد أو قوانينه وفرض القوانين الدينية على سبيل المثال.

بناء على ماسبق، الفرد العربي يعيش جسدياً عام ٢٠١٢، وفكرياً ١٤٥٠، سنة ميلاد ثورة مارتن لوثر، لهذا، نحن نحتاج إلى مارتن لوثر عربي، فالمسألة إذن لا تعني فقط تغيير مبارك برمسي، لن تتغير مصر، لن يتغير الشعب المصري، سيبقى على حاله، لأن مصر بحاجة إلى ثورة فكرية يخوضها مفكرين وفلاسفة من طراز رفيع وأصيل يكون هدفها زرع قيم جديدة في العقل المصري، والدليل على ذلك الاعتراف غير المسبوق لرئيس المكتب السياسي لخالد مشعل «إن تجربة حماس لا تصلح لكي تكون تجربة تدرس، وقد أخطأنا في أشياء ونجحنا في بعضها، أقول ذلك للتعريف وليس للتبرير»<sup>٢٢٠</sup>

هناك اعتراف واضح، بان المعارضة ليست كالحكم، ففي الأولى تستطيع ان ترفع الشعارات الطنانية والبراقة، وتزاود، وتخون، بينما في الحكم ستجد الحقيقة أمامك على طاولة رئاسة الوزراء، ولهذا سوف يفشل مرسي في فك الخيوط السياسية مع أمريكا وإسرائيل وصندوق النقد الدولي، لكنه ربما سينجح في تعبيد شارع أو بناء جمعية خيرية.

هناك اعتراف واضح وصريح بأن الحكم ليس كالمعارضة، فتطوير المجتمع لا يبدأ من تغيير الهرم السياسي، وانما بثورة فكرية تربوية تعليمية يخوضها فلاسفة على مدار ٢٠٠ عام، ثورة تؤسس لمنظومة فكرية ولؤسسة ولدستور ولمصنع، فحتى النظام العلماني في تركيا لم ينجح كما في أوروبا، لأن اتاتورك قام باستيراد الدستور كما تستورد مصر القمح من أمريكا، ولم يكتب بدم مفكرين اترك، فقد بين المفكر العربي صادق جلال العظم «ان العلمانية كفكرة وممارسة وتطبيق نشأت في أوروبا بسبب الحروب الدينية الدموية وعلى خلفية الصراع ضد الاقطاع والكنيسة، . . . لهذا لا يمكن أن يرتقي كل من حزب الله وحماس إلى مستوى حركة تحرر وطني بشكل جدي، وذلك بسبب انتمائهما المذهبي الصافي وجراء الايدولوجيا الطائفية الخالصة لكل منهما، فتجارب حركة التحرر الوطني السابقة بينت بما لا يترك مجالاً للشك، في نظري، إن حركات التحرير الوطني تتطلب نسبة عالية من العلمانية المحادية دينياً وطائفياً وإثنياً بحيث تكون الحركة لكل شعبها تمهيداً لتأسيس دولة تكون هي أيضاً لكل مواطن من مواطنيها».<sup>٣٣١</sup>

وبين الأستاذ العظم أن اسلام حزب العدالة والتنمية التركي يرفع شعار مزيد من الإصلاح والتحديث، وليس الإسلام هو الحل كما ترفع جماعات الإخوان في الجغرافيات العربية الأخرى.<sup>٣٣٢</sup>

ويسوق المفكر اللبناني عادل ظاهر مثلاً كيف يمكن تطبيق النظام العلماني في بلد يحكمه إسلاميون، فالنظام العلماني يعني عدم تغيير قوانين البلد من قبل الحزب الفائز، ولكن يقول الإسلاميون: «سنطبق القوانين الإسلامية أو الشريعة، فكيف يمكن تطبيق ذلك في ظل مجتمع متعدد الأعراق، فهم يدعون مثلاً أنه لا أجتهد في ظل وجود نص»،<sup>٣٣٣</sup> وبحسب ظاهر فقد روج الإسلاميون وبخاصة القرضاوي إلى أن العلمانية تعني الاحاد والمروق من الإسلام، وكذلك بين محمد عمارة أنه لا مكان للعلمانية في الإسلام،<sup>٣٣٤</sup> ويدعي القرضاوي «ان إقامة دولة إسلامية هي واجب شرعي، فالواجبات الدينية ليست منوطة بظروف البشر واحوالهم وشروط حياتهم. . . إنها تنبع مباشرة من العقيدة الدينية الثابتة أو تسنط من عناصر مستمدة من هذه العقيدة وحدها».<sup>٣٣٥</sup> كما روج إسلاميون آخرون في كتبهم ضد النظام العلماني / الديمقراطي مثل كتاب «سقوط العلمانية» لانور الجندي أو كتاب «الرد على العلمانيين» لمحمد يحيى كما أن مهدي شمس الدين وصف العلمانية بأنها «نهج حياتي مادي تكون نتيجة لنمو الفلسفات المادية اللا دينية».<sup>٣٣٦</sup>

معظم المعاجم اللغوية عرفت العلمانية بانها عبارة عن فصل المجتمع المدني عن المجتمع الديني كما جاء في معجم روبر، أو العلمانية هي عبارة عن حيادية الحكومة ازاء الاديان والمذاهب،<sup>٢٢٢</sup> وهذا لا يعني الالحاد، أو إقصاء الدين، بل حيادية الحكومة عن المسجد، لكي تبقى الحكومة مكونة من سياسيين من أحزاب سياسية وتكون قراط، وليس من رجال الدين، رجال الدين أو المؤمنين بإمكانهم ممارسة ادائهم الديني في المسجد، لا يمكن جمع وظيفة رئيس الحكومة وأمام المسجد في وظيفة واحدة، وبحسب د. طيبة ماهر وزادة، هناك عوامل ساعدت على ظهور النظام العلماني وهي:

«عدة عوامل أدت إلى ظهور النظام العلماني، لم يأت من فراغ منها، ظهور العلوم التجريبية، فتطور هذه العلوم دفع الإنسان لمعرفة الظواهر الطبيعية والاجتماعية من خلال الاستعانة بالعقل، بالإضافة إلى ظهور العديد من المذاهب الفلسفية، مثل باروخ اسبينوزا ودافيد هيوم، وبظهور الفيلسوف الألماني الفذ ايمانويل كانط تحول العلم والدين إلى دائرتين منغلقتين فيرى كانط أن العقل يقسم إلى قسمين: عقل نظري وعقل عملي، حيث يمكن من خلال العقل النظري معرفة الظواهر الطبيعية ومن خلال العقل العملي معرفة الأخلاق والقيم، كما ان ظهور التكنولوجيا ساعد على انتشار هذا النظام بالإضافة إلى دور الكنيسة، بالإضافة إلى سقوط شخصية الفيلسوف الاغريقي سقراط فقد كان يعتقد أن معارضة آراء ارسطو العلمية هي معارضة للكنيسة».<sup>٢٢٨</sup>

تعددت الآراء حول فكرة مسألة تطبيق النظام العلماني/ الديمقراطي في الوطن العربي، فهناك من طالب بتطبيق هذا النظام بعد تحرير النص الأول (القرآن) من النص الثاني الشروحات، وإطلاق باب الاجتهاد على مصراعية وإجراء مصالحة بين الدين والفلسفة وعلى رأس هؤلاء المفكر محمد اركون، طالب آخرون بتطبيق النظام الديمقراطي دون الإشارة مطلقاً إلى كلمة علمانية كما فعل محمد عابد الجابري، إلا أن آخرون دعوا إلى الفصل المطلق بين السياسة والدين، واعتبر أن تطبيق نظام ديني سوف يشعل نغرات التمييز بين المسلمين والمسيحيين وعلى رأس هؤلاء القومي العربي ساطع الحصري<sup>٢٢٩</sup>.

إذن، النظام العلماني، هو عبارة عن نتاج منظومة فكرية، تتشكل في العقل الثقافي الجمعي، وتؤسس لبناء دولة المؤسسات الحقيقية القائمة على أهل الخبرة والعلم والمعرفة والفلسفة، وبالتالي يسهل الانتقال إلى مجتمع مدني، صناعي كما كان يطالب دوماً، كما كان يروج المفكر المصري الكبير سلامة موسى، هذه المنظومة الفكرية التي تؤسس لهذا النظام، وتكونه، عن عبارة عن تظافر جهود الفلاسفة والفكر والنظم والأخلاق والقيم عبر عشرات السنين، لكي ترسخ في العقل الجمعي، بعد ذلك تحدث قطعة إيجابية مع التراث، والمقصود هنا ليس تراث اللباس أو الأدوات التي كان يستخدمها الأجداد وإنما المقصود به النص الثاني، أو ما يطلق عليه الإسلاميون النص الثاني الذي رافق العصر الذهبي، بعد ذلك سنجد إنساناً مختلفاً بقيمه، وأخلاقه، وثقافته، وتطلعاته، وفلسفته، ونقده، وديمقراطيته، وإسلامه.

لقد حاول عدد من الساسة، القفز على المراحل، بمعنى تخطي الإصلاحات الدينية والثورة الفكرية والصناعية للوصول إلى القطف المبكر، لكنه في اعتقادي لم ينجح نجاحاً كالنجاح الأوروبي، لأنه لم يؤسس لثقافة قيم مختلفة، فقد قام أتاتورك بإحضار دستور سويسري وفصل الدين عن الدولة، وغير اللغة ويوم العطلة الرسمية وغير العاصمة وأنهى الخلافة الإسلامية والغى وزارة الأوقاف ومنع الحجاب في المدارس والجامعات (تغيرات فوق أساسية) بدون أن يطور من البنية التحتية للإنسان (الأنا) (البذرة)، فلم يتطور المجتمع إلى مجتمع حضاري كامل.

أي شكل آخر من أشكال الدولة غير الدولة العلمانية هو شكل عنصري (سواء كانت دينية/ سنية أو شيعية<sup>٣٠</sup> أو اشتراكية أو شيوعية أو قومية حسب العرق/ كانت عربية أو أمازيغية أو كردية أو ملكية أو طائفية/ لبنان حسب المحاصصة الطائفية)، فجميع أشكال الدول السابقة تحمل فكرة «الحقيقية المطلقة» أو فكرة «الفضيلة المطلقة» أو «أنا أفكر عنكم وأنتم تنفذون فقط» فهي أصولية في تفكيرها فالدولة الدينية تقول أنها تطبق شريعة السماء وعلى الجميع التقيد بذلك كما أن الذمي عليه أن يدفع الجزية<sup>٣١</sup>، فالدولة العلمانية تجمع كل الأديان والمذاهب والأعراق والألوان والأجناس في دولة واحدة تحت قانون ودستور وعلم واحد.

## ٦ . ٢ المواطن العربي بين دكتاتوريات عسكرية أو أصوليات دينية

في القوات الحاضر، لا يوجد أمام المواطن العربي سوى خيارين، أما دكتاتوريات عسكرية أو أصوليات دينية، لا يوجد خيار ثالث، في بقاع الجغرافيا العربية لا يوجد خيار آخر للمواطن العربي سوى خيار الحزب الاصولي بفعل الدعم الهائل من ماكينات الجزيرة القطرية وعلى رأسها ماكينات الجزيرة مباشر والدعم المالي المباشر من قطر، بالإضافة إلى توفير القواعد اللوجستية والمعلوماتية، والدعم هنا ليس له علاقة ببناء الدولة العصرية أو بالإسلام أصلاً، فقطر إمارة لا تطبق النظام الإسلامي، بل تطبق النظام القبلي العشائري، وما ينطبق عليها ينطبق على إيران، فالأخيرة تدعم الإخوان المسلمين وهم جماعة سنية، وتقوم في الوقت ذاته بقمع العرب المسلمين السنة في منطقة الاهواز، علاقة دعم مباشرة اساسها الأجندة السياسية وليس المبادئ، ولكن هذه العلاقة سرعان ما تنهوى فخيوطها أضعف من بيوت العنكبوت.

السبب الآخر في انتشار الجماعات الإسلامية، تشابك النص السياسي مع الديني، وهو ما تعجز عنه الحركات العلمانية والوطنية واليسارية والقومية، فالاحزاب الدينية ترفع شعارى الطهارة والإصلاح، ولكن ما ثبت هو العكس بعد استلام الحكم، كيف: براعة الإخوان المسلمين يكمن في خطابهم الإعلامي فهم يحولون «الحدث» من «خيانة» وعمالة» إلى «طهارة» و«فضيلة»:

## شعار الطهارة:

مثال أول:

فمثلاً الإخوان المسلمون كانوا يقولون ان كامب ديفيد خيانة، وبعد وصولهم إلى الحكم أصبحنا نسمع العبارة الجديدة «مش وقته».

مثال ثان:

الإخوان كانوا يقولون عن القروض في من صندوق النقد الدولي عام ٢٠٠٦ «ربا»، الآن وزير مالية الإخوان في مصر «يتمنى ان يحصل اتفاق بين الحكومة المصرية بقيادة الإخوان وصندوق النقد لأخذ قرض».

## شعار الجنة والنار

بجانب شعار «الطهارة» و«الإصلاح»، هناك شعار مثل «الجنة» و«النار» و«الحساب» و«العقاب».

مثال أول:

في الانتخابات التشريعية التي نظمت عام ٢٠٠٦ التابعة للسلطة الوطنية الفلسطينية، رفعت حماس شعارها المعهود وهو «صوتك أمانة ستحاسب عليه يوم القيامة»، هذا الشعار، كارثي لسببين، الأول: أنه إرهاب حقيقي للمواطن العادي البسيط، لأن عدم تصويته لصالح حماس سيكون عقابه النار وجهنم، مثل هذه الدعاية لا يمكن أن تجدها مثلاً في الأحزاب السياسية الأوروبية ذات الجذور المسيحية، ثانياً: هذا الشعار الديني يدعو إلى التصويت لصالح الايدولوجيا الدينية بسبب ايدولوجيته وليس بناءً على برنامج سياسي<sup>٣٣</sup>.

مثال ثاني:

في الخطاب الإعلامي لماكينات الأصوليات الدينية تجد مفردات الجنة والنار بكثرة في البرامج الحوارية اليومية، بل يصل الأمر أحياناً إلى استغناء الرأي العام فقد ورد على لسان الشيخ النابلسي في قناة الأقصى التابعة لحماس «أن العبادات الشعائرية لا تصح إذا لم تقبل العبادات التعاملية»، بكل صراحة، هذا تدخل مباشر في اختصاص العدالة الإلهية يوم القيامة.<sup>٣٣</sup>

مثال ثالث:

بثت قناة الأقصى التابعة لحركة حماس برنامجاً بعنوان «نسيم الأقصى»، يوم السبت، الموافق ٢٠ . ١٠ . ٢٠١٢، بين الشيخ والداعية الإسلامي د. مثير العشي، أن هناك جنة قبل الجنة، فقد أشار إلى أن ابن تيمية قال

«من لم يدخل جنة الدنيا لن يدخل جن الآخرة»<sup>٣٢٤</sup>، لكن الداعية الكريمة لم يوضح لنا جنة أي فصيل إسلامي ندخل في الدنيا، هل نكون مع حماس أو حزب التحرير أو تنظيم القاعدة أو التكفير أو الهجرة أو الدعوة أو السلفيين أو الجهاد الإسلامي، أو حزب الله أو السعودية أو إيران أو أفغانستان.

لذلك، كتبت الصحافية الأمريكية ليز سلاي في صحيفة واشنطن بوست الأمريكية على لسان عامر العظم أستاذ التاريخ في جامعة شوني في أوهايو الأمريكية وهو معارض سوري أيضاً «أداء الإخوان المسلمين بارع حقاً».<sup>٣٣٥</sup>

للأسف الشديد، فإن تلفزيون فلسطين، لم يشكل بديلاً، تنويراً، حقيقياً، للمشروع الوطني الفلسطيني، بسبب الضعف الهائل في أدواته الإعلامية، على صعيد المذيعين والبرامج.

#### تقرير لإذاعة مونت كارلو الدولية:

في تقرير بثته إذاعة مونت كارلو الدولية صباح يوم ١٨ . ١٠ . ٢٠١٢، الساعة العاشرة صباحاً، تطرقت فيه إلى أسباب فوز الإسلاميين في مصر، وهي: الأموال الطائلة التي أغدقت على جماعة الإخوان المسلمين حيث صرفت على الدعاية الانتخابية، فقد كلفت الدعاية في قرية صغيرة مثلاً ١٠ آلاف دولار، بالإضافة إلى توزيع السكر والأرز على الطبقات الفقيرة، ناهيك عن فساد النظام الدكتاتوري السابق، حيث يريد الفرد العادي الانتقام من المسؤولين السابقين وتغيير الوضع، على الرغم من أنه لم يقرأ البرنامج الأيدولوجي للحزب الجديد، ومن الأسباب الأخرى الماكينات الإعلامية التي وقفت مع الإسلاميين مثل الجزيرة والجزيرة مباشر والجزيرة مباشر مصر، وارتباط الشعار السياسي بالجنة والنار والثواب والعقاب والحق والباطل، ومن المفارقات التي جاءت في تقرير الإذاعة وجود ١٢ امرأة في البرلمان المصري الجديد منهم ٤ من الإخوان، يعتقدن أن سبب التحرش الجنسي الذي يطال النساء بسبب تبرجهن.

نلاحظ هنا، أنه لا بد من توفر أرضية لإجراء الانتخابات منها، أن تكون الدولة دولة العدالة الاجتماعية، لكي يقرأ الفرد البرنامج السياسي للحزب ثم ينتخب، لا أن يكون أساس الانتخاب القرابة، أو الأيدولوجية العمياء، أو كيس السكر.

السبب الثالث وهو الأخطر، ان بعض الجماعات الإسلامية تتخذ من أسلوب «الافتحام الهادي» لمؤسسات النظام السياسي طريقاً لها، وهذا لا يخفيه الرجل الأول في جماعة الإخوان في تونس راشد الغنوشي، والقطب الأول في حزب النهضة، في كتاباته، بعكس سيد قطب الذي يطالب بالافتحام المباشر لمؤسسات الدولة.

فقد تسرب فيديو للغنوشي وهو يحرض جماعات سلفية تونسية على الاستيلاء على المساجد والمدارس ، لأن مفاصل الدولة بيد العلمانيين ، وخاصة الجيش والشرطة والإعلام والإدارة ، تهديد لمدينة الدولة وللاتصال السياسي ولصندوق الانتخاب الذي أوصل الغنوشي إلى الحكم ،<sup>٣٦</sup> ، كما دعا الغنوشي إلى الاعتاز من التجربة التونسية حيث حصل الإسلاميون على نسبة ٨٠ ٪ في الانتخابات واعتقدوا أنهم سيطروا على هياكل الدولة ، وأنه يمكنهم المرور لأسلمة الدولة إلا أن المسار تغير<sup>٣٧</sup> .

وهناك مثال ثان وهو مشاركة حركة حماس في الانتخابات التشريعية الفلسطينية عام ٢٠٠٦ ، علماً أن الحركة لم تعترف بمنظمة التحرير الفلسطينية التي وقعت على اتفاقية أوسلو والتي كان من أبرز افرازاتها السلطة الوطنية الفلسطينية ، أنها طريقة واضحة لخوض الانتخابات بطريقة للوصول إلى السلطة دون الاعتراف بالمكونات الأخرى للديمقراطية مثل الحياة الاجتماعية والثقافية والفنية ، فالديمقراطية هنا تعني «صندوق اقتراع» ليس إلا ، لهذا السبب أعتقد المفكر السوري هاشم صالح أن الوطن العربي يحتاج إلى ثورات بعد الثورة وقال :  
«أعتقد انه بعد الثورة لا بد أن تأتي ثورات . . أعتقد شخصياً أن الثورة الفكرية أو العقلية لم تحصل بعد في عالم الإسلام . وهي التي ستحسم الأمور يوماً ما وتدخل العرب في التاريخ بعد أن خرجوا منه لعدة قرون . بهذا المعنى فإن الثورة الحقيقية لم تبدأ بعد . تريدون مثالا آخر؟ متى نال العبيد السود الذين يعتلي أحدهم الان عرش البيت الأبيض حقوقهم كبشر؟ منذ عشرين أو ثلاثين سنة فقط . الشعب الأميركي وبخاصة في الولايات الجنوبية المحافظة كان مضادا بعنف لأن ينالوا حقوقهم الإنسانية . كان يعتبرهم أقل من الحيوانات! . . وعندما مورست الديمقراطية هناك بشكل حر ونزيه صوتت أغلبية الشعب لصالح القوانين العنصرية التمييزية . ولهذا السبب اضطرت جيوش الولايات الشمالية إلى سحق الديمقراطية والعنصرين في آن معا بالقوة من أجل تحرير العبيد . وكانت الحرب الأهلية الشهيرة . وبالتالي فالحروب الأهلية قد تكون أحيانا إجبارية أو قدرا محتوما لا فكاك منه ؛ انها معركة كسر عظم بين قوى القديم الراسخ والحديد الصاعد . . وإذن فالتقدم حصل هناك ضد الديمقراطية وليس بفضلها لان حصيلة صناديق الاقتراع كانت مضادة لحركة التاريخ والقيم الإنسانية الحضارية» .<sup>٣٨</sup>

في المقابل ، يعتقد آخرون أن الإسلام والديمقراطية ليسا نقيضان ، وأن الإسلام أفضل من المسلمين فقد بين الصحافي المخضرم جهاد الخازن من صحيفة « الحياة اللندنية» إن الإسلام يتوافق مع الديمقراطية ، إلا ان مسلمين كثيرين غير ديموقراطيين . البروفسور ريتشارد بوليت ، أستاذ التاريخ في جامعة كولومبيا ، قال انه إذا كان للديموقراطية ان تقوم في العالم العربي ، فالأحزاب الدينية السياسية ستكون المولدة (الداية) . وهو رأى في إيران نموذجاً فاشلاً في الديموقراطية ، وسأل هل يتوافق الإسلام مع الديموقراطية ، وكان رده نعم بالتأكيد .

روبرت كابلان ، وهو محلل جغرافي سياسي قال ان الإسلام لا يتعارض مع الديموقراطية ، والمجتمعات

الإسلامية الكبرى في شرق آسيا وجنوبها الشرقي تمارس الديمقراطية. وهو اعتبر تركيا النموذج، فالحكم فيها إسلامي وديموقراطي.

رضا أصلان، وهو أستاذ الكتابة الخلافة في جامعة كاليفورنيا، بدا غاضباً من السؤال، وقال انه سخي، لان الدول الإسلامية الخمس الأكثر عدد سكان في آسيا ديموقراطية. وهو أضاف ان الدين لا يروج للحب أو الكره، أو الحرب أو السلام، أو الديمقراطية أو الفاشستية، وانما أتباع الأديان هم الذين يفعلون هذا، ويجدون في دينهم المبرر لأي سؤال يفكرون في طرحه.

في القران الكريم أشارتان إلى الشورى، هما «وشاورهم في الأمر» (آل عمران: ١٥٩) و«وأمرهم شورى بينهم» (الشورى: ٣٨). وهكذا، فالشورى نوعان، عمودية بين الحاكم والمحكوم، وأفقية بين المواطنين، وهذا هو روح الديمقراطية، وأساس الفكر الأثيني الذي بُنيت الديمقراطيات الغربية المعاصرة عليه، عملت ٣٠ سنة في حوار الإسلام والغرب مع الأمير تشارلز، ولي عهد بريطانيا، والأمير الحسن عندما كان ولي عهد الأردن في لندن، وانتقلنا إلى دافوس، وشارك في العمل الأمير تركي الفيصل، ثم الأميرة لولوة الفيصل، واللورد كاري رئيس أساقفة كانتربري السابق، وقساوسة وحاخامات، الحوار أوقفناه، وخلاصة تجربتي أن الإسلام أفضل من المسلمين». <sup>٣٣٩</sup>

لهذا، جماعات الإسلام السياسي المنتشرة في طول الجغرافيا العربية وعرضها، ترفع الشعار التالي «اتمسكن حتى تتمكن» وهذا ينطبق على كل الحركات الأصولية، لذلك أنا ارفض رفضاً تاماً السماح للحركات الدينية بالمشاركة في الانتخابات، لان الحركات الدينية لا تؤمن بالانتخابات ولا بنتائج الانتخابات، لا تؤمن أصلاً بالنظام الديمقراطي، واذا آمنت به، فهي تؤمن جزئياً بالشق السياسي منه، بمعنى هل تؤمن بوصول حزب ماركسي إلى الحكم، لا، هل تؤمن بالمكونات الأخرى للديمقراطية، لا، فالانتخابات عندها وسيلة من أجل الظفر بسدة الحكم، عملاً بمقولة الفيلسوف ميكافيللي<sup>٣٤٠</sup> (الغاية تبرر الوسيلة)، ولهذا أوصى مؤسس الدولة التركية الحديثة أتاتورك الجيش التركي بأن يكون حامي الديمقراطية، بمعنى آخر، أن لا يسمح لأي حزب سياسي بالوصول إلى سدة الحكم عن طريق الديمقراطية ثم ينقلب عليها.

فلو كانت حماس تؤمن بالنظام الديمقراطي كنظام سياسي مكون للمجتمع المدني، لما عمدت إلى قتل الحياة الاجتماعية في قطاع غزة، وأصبح رؤية امرأة بدون حجاب كمن يفتش على إبرة في كومة قش، وقامت بتقسيم الجامعة الإسلامية إلى قسمين واحد للطلاب وآخر للطالبات، هذا يتنافى والنظام الديمقراطي، أما أن تقبل به أو لا تقبل.

ربما يأتي شخص ويقول: أنت مع الأنظمة السياسية التي ترعى الفساد والمحسوبية والواسطة والرشوة، وأنا أرد على ذلك بالطبع لا أؤيد ذلك، ولكن لماذا تخيرني بين مرضي الحصبة أو الكوليرا، كلاهما مرض، وأنا لا أقبل بهما اطلاقاً، وهل مكتوب علينا العيش اما تحت أنظمة دكتاتورية أو تحت أنظمة دينية مترممة<sup>٢٤</sup>.

لماذا لا يوجد أمام المواطن العربي سوى خيارين، أحلاهما مر، لماذا فشل المفكرون والمتقنون والمتعلمون في الوطن العربي في أن تتحول إرهاباتهم التنويرية إلى مشروع حقيقي يلامس الأرض، لقد فشل المشروع التنويري العربي الذي بدأ في منتصف القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، فكما قضى الغزالي على مشروع التنوير الفلسفي الوليد في الاندلس عبر كتابه «تهافت التهافت» قضى حسن البنا عبر تأسيسه جماعة الإخوان المسلمين عام ١٩٢٨ على الإرهابات الفكرية التي بدأت في الوطن العربي وخاصة في كل من مصر وسوريا ولبنان.

المشوار طويل، طويل جداً، والتغيير لا يبدأ من الأعلى، ولا يبدأ باستبدال نظام قمعي بآخر، أو باغتيال الرئيس أو قلب نظام الحكم، التغيير يبدأ من الأسفل إلى الأعلى عن طريق قيام فلاسفة ومفكرون، وباحداث حراك اجتماعي مستمر يؤدي إلى اندلاع ثورة اجتماعية، تقلب الأمور رأساً على عقب، وهذا لا يأتي بيوم أو يومين، هذا يأتي بعد مئات السنين، لقد دفع الأوروبيون الثمن غالياً غالياً من أجل التطور، وعلينا أن ندفع نحن الثمن أيضاً، بدون ثمن لن نتطور، ومن هنا نأتي إلى العنوان التالي.

## ٦ . ٣ قبل الديمقراطية والانتخابات

أكدنا سابقاً، ونؤكد هنا، أن جميع التجارب الديمقراطية في الوطن العربي فشلت، لأن النظام الديمقراطي هو نتاج ثورة فكرية يقوم بها مفكرون وعظماء، وغير ذلك ضرب من الخيال، ولكننا نسمع بعض العامة من المواطنين يقولون: «لقد حكمت أنظمة علمانية ٤٠ عاماً، والإخوان المسلمين كانوا مضطهدين، «خلونا نجرب».

أولاً: نظامي مصر حسني مبارك وتونس بن علي لم يكونا في يوم من الأيام علمانيين، هما نظامين دكتاتوريين فاسدين.

ثانياً: قصة «خليتنا نجرب»، ليس لها علاقة بالعلم أو بالبحث العلمي، بل يمكن أن تفيد هذه المقولة في مطعم أو كافيتريا، قد نجرب هذه «الأكلة» أو تلك، ولن نخسر سوى ١٠٠ شيكل مثلاً، لكن في الحياة السياسية لا، هذا ضد المنطق والعقل، وضد شيء موجود في العلوم السياسية اسمه برنامج سياسي، كيف:

أولاً: لقد جربنا الإخوان في السودان، وقسمت على أثرها أيام البشير إلى قسمين: وتحول القسم الثاني إلى مرتع لكل أجهزة مخابرات العالم، بل قام البشير بسجن رفيقه حسن الترابي وأبقاه معظم الوقت في السجن، وهذا ما اعترف به أيضاً المفكر الإسلامي السوداني حسن الترابي حين قال: «انني أحذر الإسلاميين من «فتنة السلطة»، ان أبرز الأخطاء التي وقعوا فيها أثناء مشاركته في الحكم في السودان هي عدم إطلاق الحريات منذ اليوم الأول، بالإضافة إلى احتكار السلطة حتى على مستوى القرى والمدن الصغيرة، إن الوجود في الحكم أصعب من المعارضة. وانصح الإسلاميين بالتدرج وعدم التسرع، لكننا نخشى على السودان، إذ ان المجتمع السوداني ليس قومية واحدة كمبر مثلاً، لكن السودان مكوّن من قوميات متعددة ونخشى إذا قامت ثورة ان تكون على أساس قومي، اننا نعد لمرحلة ما بعد نظام البشير، وان هناك محاولات تجري للتوافق مع القوى الأخرى، لذلك، فنحن الآن نستعد لنقيم نظاماً انتقالياً مستقراً متفقاً عليه، ونعالج المشكلات الحادة، وبعد ذلك نضع دستوراً جديداً». ٢٤٢

ثانياً: قطاع غزة، الديمقراطية لا تعني فقط، المجال السياسي وصندوق الاقتراع، بل هي مفهوم أكثر من ذلك بكثير، فهي تعني ديمقراطية الحياة الاجتماعية والثقافية والفكرية فليس لأحد الحق أن يطلب من شخص آخر عقد القران لكي يثبت أن السيدة التي تسير برفقته هي مثلاً زوجته، وليس لأحد الحق أن يفرض على النظام التعليمي، أيديولوجيته الخاصة، كما يحدث في الجامعة الإسلامية والتي قسمت على غرار الجامعات السعودية، هناك حق للمحاميات في غزة بدخول المحاكم بدون حجاب، وعلى الصعيد المدرسي، لكل طالب الحق الذهاب إلى المدرسة بدون وضع منديل على الرأس، وعلى الصعيد السياسي لي الحق أن أؤيد فكريا علمانيا أو يسارياً.

الحكم بقبول الديمقراطية كمبدأ للحكم، يعني تلقائياً وجود أكثر من حزب سياسي، وهذا يعني وجود أكثر من رأي، وهذا يعني وجود امرأة محجبة وأخرى غير محجبة، لكن بعد الوصول إلى الحكم، يعتقد كثير من الإسلاميين أن الرأي الآخر يمثل ردة، إذ لا يوجد حرية تعبير في الدين والأصح في خطابه الديني، فقد ورد على قناة «مصر ٢٥» التابعة للإخوان المسلمين في مصر الإعلان التالي: (إن مصر ٢٥ تعني مثلاً تغيير الوضع الاقتصادي، وهكذا...، عبارة من هذا القبيل وردت على لسان حوالي ٢٠ شخصاً، منهم ١٠ سيدات، جميعهن محجبات، فهل يعقل أن تكون هذه صورة مصر الحقيقية بعد ثورة ٢٥!! ٢٤٣

الديمقراطية التي نشأت في الغرب هي نتاج صراع اجتماعي طويل دفع الأوروبيين ثمنه دمًا، هذا الصراع أنتج إنساناً جديداً، وهذا الإنسان أنتج فكراً وفلسفة، والفكر أنتج أخلاقاً ودولاً ومؤسسات وديمقراطية وإعلاماً.

قبل ذلك عبثاً، من رابع المستحيلات، ونقطة على السطر لهذا المؤسسة الديمقراطية بمفهومها الشامل لن تنجح في الجغرافيا العربية، فالديمقراطية تحتاج إلى إنسان، وكل ما لدينا إنسان مقموع، مسحوق، فقير ويعاني من فقر مدقع وفي هذا السياق قال أستاذ الفلسفة الفلسطيني في جامعة دمشق د. احمد برقاوي «هناك استعمار داخلي (الذات في سياق القطيع) وهناك استعمار خارجي . لذا، فينبغي تحرير الإنسان العربي من اغترابه، فقد اعتقد بعض المصلحون والمفكرون العرب أن جزءاً من العلم والديمقراطية تحررنا، وان إعادة تأويل التراث الإسلامي قادر على أن ينجز شيئاً في الوعي العربي، ولكن كان هذا الاعتقاد خاطئاً، فالإنسان العربي يعيش في اطار نحن، وليس في اطار الانا، فقد كتب المفكرون في أوروبا عن موت الإنسان، ولكن عندنا لم يولد الإنسان بعد، فبدون انتصار للوعي الفردي وابتعاده عن ثقافة القطيع، لا يمكن انتصار المجتمع وبناء مؤسساته، إن لحظة الانفجار اتية لا ريب فيها، فهناك في علم في الفلسفة يطلق عليه: مكر التاريخ، أنا شخص أفكر، ولست صاحب مشروع، مهمتي ان اخلق وعياً بأن الناس قطع، في سياق الأنا، واريد دفعهم إلى التمرد، عبر دفع ثمن للتاريخ، لكي يصنعوا تاريخ». ٢٤

انني أويد د. برقاوي إلى حد كبير جداً، فالإنسان الحر، هو الذي يخلق الصراع الاجتماعي الطويل والمعقد، وهذا الصراع هو الذي يخلق الوعي والثورة والديمقراطية والمجتمع والحرية والقوانين والدستور والدولة والمؤسسات والإعلام والبيئة والحضارة والصناعة والمصنع والفلسفة والثقافة، وليس العكس، فظروف فرنسا هي التي خلقت فولتير، فولتير لم يخلق فرنسا، فالإنسان ابن بيئته، ولكن صحيح أن الانفجار قد حصل في بعض الجغرافيا العربية، ولكن العرب يحتاجون إلى ثورات فكرية وصناعية ودينية وثقافية واجتماعية وتعليمية وزراعية.

فبدلاً من الانشغال بمسرحية الانتخابات، ينبغي الاهتمام بتطوير التعليم عن طريق تأطير المعلمين وتطوير أدوات التدريس ومضمون الكتب المدرسية وإدخال مساقات الفلسفة والمنطق والأخلاق في المدارس الثانوية، وترجمة علوم الرياضيات والفيزياء والكيمياء والأحياء.

بدل الانشغال في مسرحية الانتخابات علينا بناء مكتبات تحتوي على كتب ثقافية وفكرية وشعرية وروائية حقيقية بما فيها كتب محمد عابد الجابري وطه حسين وسلامة موسى والطيب صالح وأحمد فؤاد نجم والمعري وهشام شرابي وإدوار سعيد وإبراهيم أبو لغد وعبد الله العروي وهشام جعيط وجبران خليل جبران وميخائيل نعيمة وعبد الرحمن منيف وحنا مينه وهيجل وفولتير وروسو وشكسبير ونيثشة وليس كتب عذاب القبر وكيف تتعلم السحر، فبدون إنسان جديد نبقي في دائرة الجهل، فالجهل لا يقود إلا إلى الطاعة والقهر والكتب الجنسي والمشي مع القطيع.

لهذا السبب لا يوجد عند العرب فلاسفة، ولا يوجد لديهم فكر، كل ما هناك شروح وتفسير للنص الأول وشعر.

كما أن إحضار دستور جاهز من الغرب وتطبيقه في البلاد ليس هو الحل أيضا، كما فعل مؤسس تركيا الحديثة كمال أتاتورك عندما أحضر دستور سويسرا وطبقه في تركيا، صحيح أن الوضع في تركيا أفضل بكثير من العالم العربي ولكن تركيا لا تعتبر نموذجا، فانا أعرف لو انضمت تركيا إلى عضوية الاتحاد الأوروبي لهاجر ملايين الأتراك إلى أوروبا.

كل ما سبق من أمثلة وأرجو أن تكون كافية للقارئ العزيز، يؤكد أن التغيير الذي يأتي من أعلى إلى أسفل سوف يفشل. فشل غير قابل للنقاش، نحتاج إلى بناء قد يستمر مثلاً ٣٠٠ عام، بعدها سنجد إنسان ذو فكر ثاقب.

رب قارئ عزيز يقول، هل نصبر ٣٠٠ عام من أجل بناء الإنسان العربي، نعم، لماذا لا؟ فهذه السنوات في عمر التاريخ ليس لها قيمة.

فالوطن العربي يعيش منذ عام ١٤٠٠ وحتى هذه اللحظة في سبات عميق وسكون رهيب، فلنبدأ في العمل، وسيجد أطفالنا بعد ٣٠٠ عام شيئاً، فنحن لم نجد سوى الفقر والبطالة والقهقر والانسحاق الذاتي من أجدادنا، التغيير يبدأ من الفرد، عبر نظام تربوي تعليمي تثقفي إعلامي وليس تعبويًا تحريضيًا، الإنسان العربي «خربان»، حاكم ومحكوم، والمتعلم قبل الجاهل، سواء كان في الوطن العربي أو في أوروبا، ولكن عطفاً على ماسبق، علينا الانتبا إلى ثلاثة نقاط في غاية الأهمية وهي:

أولاً: الثمن، لكي تتحرك عجلة التاريخ لا بد من دفع الثمن، لا أحد يتمنى الموت أو الدمار، ولكن الثمن هو شرط لتحقيق التنوير فقد دفعت أوروبا ملايين القتلى حتى ولدت النهضة، ألمانيا دفعت ١٥ مليون قتيل أثناء ثورة المصلح الديني مارتن لوثر، و ١٠ مليون قتيل أثناء الحرب الاهلية ١٩١٨ - ١٩٤٨، وكانت السبب في سقوط ٣٧ مليون قتيل في الحرب العالمية الأولى و ٧٥ مليون قتيل في الحرب العالمية الثانية، بالفعل أرقام لا يمكن تخيلها.

ثانياً: الزمن، هناك علاقة بين الزمن وتكون الوعي، الزمن مهم، علينا أن لا نستعجل الزمن، لن يحدث التنوير في بلادنا قبل أن ينضج، وقد يستغرق الوصول إلى هذه المرحلة سنوات طويلة ولكن لا بأس، المهم أن نعجل في حركة التاريخ نحو الأمام لكي يخط التاريخ ما قبله وما بعده.

النقطة الثالثة والأخيرة، تتمحور حول المفكرين في الوطن العربي، هؤلاء عليهم أن يتكاتفوا ويضغطوا باتجاه إصلاح مناهج التعليم في المدارس والجامعات العربية، لكن، في المقابل، ما يحدث في الجغرافيا العربية، أنه يتم تدمير هياكل بعض الأنظمة القبلية السياسية العربية، وفق، أجندة سياسية، من مطابخ سياسية، أي حريق، يشتعل في مناطق دون أخرى، عن طريق ماكينات إعلامية، تبث خطاباً إعلامياً، ليس تنويرياً، بل تحريضياً وتعويلاً، لتدمير بعض الأنظمة العربية، ومن ثم تقام مسرحيات الانتخابات، من قبل أنظمة دكتاتورية قبلية، وبرعاية منها، وتمويل منها، وبنص ديني من بعض رجال الدين، الذين ينادون ويفتون بقتل رؤساء محددتين، وبالتالي تنتخب الشعوب، التي لا تعرف ما معنى الانتخابات أو ما معنى البرامج السياسية للأحزاب السياسية، شعوب تسوقها عبارات طنانة مثل: (كتلة الحق)، (صندوق الجنة والشيطان) صوتك أمانة ستحاسب عليها يوم القيامة) (إذا لم تنتخب كتلة الحق فان الله سوف يحاسبك وسيكون مصيرك إلى جهنم)، بهذه العبارات الرنانة فازت الأصوليات الدينية، وحصدت الشعوب العربية في ليبيا وتونس والمغرب والكويت ومصر واليمن وسوريا بعد نظام بشار الأسد.

لقد كتب في هذا المجال المفكر السوري هاشم صالح، كيف يعود التاريخ أحياناً إلى الوراء على الرغم من أنه يتبنى فكرة فيلسوف التفاؤل الألماني هيغل من أن التاريخ عقلاني، ويحاول هنا في هذا السياق المفكر السوري هاشم صالح الإجابة على سؤال حول سبب الأصوليات في الوطن العربي عبر مقال له في صحيفة «الشرق الأوسط اللندنية» والمقال بعنوان: «هل يستطيع هيغل أن يفسر الربيع العربي»؟

«التقدميون السطحيون، وأنا منهم، ما عادوا يفهمون شيئاً مما يحصل حالياً في العالم العربي. . هل يعقل أن تحصل ثورات تعود بنا إلى الخلف بدلاً من أن تتقدم بنا إلى الأمام؟ هل يعقل أن تؤدي كل هذه الثورات إلى أنظمة إخوانية سلفية، وكأنها قدرية حتمية لا مفر منها؟ الشيء نفسه يتكرر من تونس إلى ليبيا إلى مصر، والحبل على الجرار. . كل ثورات «الربيع العربي» انتهت إلى النتيجة نفسها. . هل التاريخ يمشي بالمعكوس في العالم العربي دون بقية العالم، ما عدا إيران بالطبع؟ فهي التي دشنت هذه الموضة العجيبة الغربية، أي الثورات الدينية التي ترجع إلى الخلف، وذلك قبل أكثر من ثلاثين سنة. وفي الوقت الذي ملت فيه إيران أو قل: مل شعبها، من المرحلة الأصولية، ويريد الخروج منها بأي شكل، إذا بنا نحن ندخلها بكل حماسة واندفاع، وكأننا ندخل عصر الحداثة والحرية والاستنارة من أوسع أبوابه! ما أن انتصرت الثورة الليبية وأطاحت بالقدافي حتى سارع مصطفى عبد الجليل إلى زف النبأ العظيم لنا: أبشروا سوف نعيد إليكم قانون تعدد الزوجات! ماذا تريدون أكثر من ذلك؟ أنا شخصياً لست ضد أن نتزوج أربعاً أو حتى عشراً. ولكن من يستطيع أن يتزوج بواحدة؟ لا سقف ولا راتب ولا مستقبل. الشباب العربي عاطل عن العمل في نصفه أو ثلاثة أرباعه. . وبالتالي فقبل أن تقدموا له هذه الهدية الرائعة أعطوه عملاً أولاً، وإلا فالانفجار أو الطوفان».

«لا ريب في أن سقوط انظمة الطغيان والفساد حدث مهم ويستحق التصفيق والترحيب. بهذا المعنى فالربيع العربي له معنى، وشكرا له كل الشكر إذ يخلصنا من هذه الأنظمة الإرهابية البوليسية التي تقتلك ما إن تفتح فمك لكي تتنفس، أو حتى قبل أن تفتح فمك! ولكن هل من الضروري أن تقطف ثمرته يانعة جنية حركات الإسلام السياسي؟ ألا توجد تيارات أخرى أكثر قربا من روح الثورة التغييرية وعقب الربيع العربي المخرج بالدم القاني؟ هل سيظل الماضي هو المستقبل، والمستقبل هو الماضي؟»<sup>٢٤٥</sup>.



## ٧. النتيجة

الربيع العربي لن يقود إلى بناء إنسان مختلف أو إقامة دولة عصرية مدنية أو يصنع تاريخاً، لأن الربيع العربي تحول لاحقاً، إلى حريق ٦٤٢، يوجه عبر خطاب إعلامي من ماكينات إعلامية ضخمة، مصدر هذا الخطاب أنظمة قبلية عشائرية تحكم منذ القرن التاسع عشر، تموله وترعاه، في حين أن الذي يشرف على الخطاب حركات أصولية دينية، لمصالح وأجندات سياسية منها السيطرة على القرار في منطقة الشرق الأوسط، وليس خلق عالم عربي متطور مستنير مثقف مفكر.

بعكس ما حدث في القارة الأوروبية، التي تطورت فلسفياً بفعل ثورة فكرية، قادها فلاسفة ومفكرين مثل الفيلسوف الألماني المخضرم امانويل كانط، نتج عنها فكراً وإنساناً وأخلاقاً وضميراً وقانوناً ودستوراً وإعلاماً ومؤسسةً وديمقراطية ودولة تاريخية.

هؤلاء الفلاسفة أحدثوا قطيعة إيجابية مع التراث، فكتبوا في نظام الحكم والقانون والدستور والعقد الاجتماعي وفصل السلطات والحرية الفردية، بينما بقي المفكرون العرب على اختلاف مشاربهم في دائرة الزمن الماضي، يفكون تشابك النص الأول مع النص الثاني، «معتقدين إن علة الحاضر ليست في الحاضر أو في الماضي، وإنما في ماضي يجب أن يكون حاضراً بثوب جديد»<sup>٢٤٧</sup> ومن هنا أصبح التراث العربي والإسلامي مقدساً، برتبة سلطة.

هذا ما تطرق له المفكر اللبناني علي حرب في كتابه: «ثورات القوة الناعمة في الوطن العربي، نحو تفكيك الديكتاتوريات والأصوليات»

«الأصوليات هي كالدكتاتوريات تأخذ من الغرب التقنيات والتجهيزات والأسلحة التي تستثمرها في حروبها، كما تفيد من انتفاخ الاسواق غير المحدود لجمع الثروات الطائلة عبر المشروعة، فيما هي ترفض القيم والمفاهيم والنظ التي يمكن استثمارها في أعمال التحديث والائتماء أو تجسيدها في احترام الحقوق واطلاق حريات التفكير والتعبير والتنظيم، بذلك جمعت الأصوليات مساوئى المشاريع السابقة، القومية واليسارية، فاضافت الارهاب والفتن المذهبية إلى الفقر والتخلف والاستبداد، مما وضع المجتمعات العربية بين فكي الكماشة الخانقة، استبداد مضاعف وفساد منظم، وثراء فاحش، وفقر كدقع، جزر أمنية، ومافيات مالية، جحيم المخابرات وجهنم الارهاب.»<sup>٢٤٨</sup> ومني أيضاً جحيم قتل الحياة الاجتماعية.

الوسائل الإعلامية في المجتمعات العربية، مثلها مثل الطائرة والمركبة والحافلة وجهاز التلفاز وجهاز الهاتف النقال، نقلت من الغرب إلى الوطن العربي، بسبب التحديث المادي الذي شهدته تلك المجتمعات، لكن التحديث العقلي، لا يشتري، ولا ينقل، - بحسب المفكر محمد اركون - لا يمكن شراء الفكر والقيم والتطور العقلي والتنوير، كما لا يمكن نقل النظام الديمقراطي من منطقة لأخرى هكذا، بدون ثمن، هذا يحتاج إلى جهد مفكرين ووقت وتضحية، فالتلفاز الموجود في بيت الفرنسي هو ذاته في بيت القطري، كجهاز، ولكن محتوى الرسالة الإعلامية، هو عبارة عن مخزون ثقافي في آلة إنتاج معطلة، نشأت في بيئة صحراوية ذات نظام قبلي، لم يستطع حتى الفكر الجديد، التغلب عليها، كما بين عميد الفكر العربي المعاصر محمد عابد الجابري، ولهذا اذا اردنا إعلام عربي، وليس خطاباً إعلامياً عربياً، لا بد من تغيير المخزون الثقافي في العقل الجمعي العربي المستقيل أو المعطل .

صياغة نشرة الأخبار، في التلفاز العربي، هي نتاج مخزون ثقافي عمره أكثر من ١٥٠٠ سنة، فإذا أردت أن تفهم نشرة الأخبار، فما عليك إلا ان تحضر اركيولوجياً واثروبولوجياً ونفسياً في «مول» نشرة الأخبار، فالنشرة الإخبارية تصاغ في قناة الجزيرة العربية وفق خطاب أصولي سني، وفي العربية وفق خطاب سلفي سني، وفي قناة المنار / الخطاب أصولي شيعي، وفي قناة ال بي سي / الخطاب مسيحي، وفي قناة قطر / الخطاب قبلي أبوي، لكن هذا الخطاب يتحرك ضمن أجندة لها حسابات، وليس بناء على حدث ومعلومة، فبينما كان خبر مواجهات عنيفة في البحرين (الساعة الثانية عشرة ظهراً ١٩ . ١٠ . ٢٠١٢) وأدت إلى مقتل شرطي، كان الخبر صفحة كاملة في وكالة الانباء الفرنسية، بينما كان بالضبط ١٥ ثانية في نشرة أخبار الجزيرة، في حين كان زمن الخبر السوري ٤٥ دقيقة، صورة مجزوة، فالخبر في باطنه دعاية ومن شكله الخارجي إعلام .

بينما في دول الاتحاد الأوروبي مثلاً، المؤسسات الاعلامية الفرنسية والألمانية والبريطانية، هي عبارة عن مؤسسات إعلامية تابعة لهيئة يطلق عليها «هيئة الاذاعة والتلفاز» وهي عبارة عن مؤسسة شبه مستقلة تجمع الضريبة من المواطن وتوزعها على الإعلام الرسمي شبه المستقل، ولهذا قد يكون الخبر الأول في نشرة الأخبار الألمانية، فضيحة مدوية عن المستشار الألمانية انجيلا ميركل أو أحد وزرائها، في قناة التلفزة الألمانية الأولى والثانية هناك فصل كامل، وواضح، بين السلطة السياسية، وسلطة الإعلام (إلا عندما يتعلق الأمر بالسياسة الاسرائيلية) ولكن هذا لم يأت، كما يعتقد الكثيرون منا، فمؤسسة الإعلام تجسدت بالفكر التي تجسد خلال زمن النهضة، فقد جسدت الفلاسفة والمصلحون الألمان منظومة فكرية رائعة من مارتن لوتر وإيمانويل كانط<sup>٩٤٢</sup> وهيجل وليبنتز وفيشته وشيلينغ وشوينهاور وفورباخ وادموند هوسيل ومارتن هيدغر ويورغن هيرماس، لكن يعتقد البعض عندنا أن الحل قد يكمن في طول الزمن أو عدد القتلى، بمعنى أن العرب قد يتطوروا بعد ٢٠٠ سنة، هذا الكلام غير صحيح، لن نتطور بدون فكر حتى لو بعد الف سنة .

ما يميز، الماكينات الإعلامية الخليجية والناطقة بالعربية، أنها، أولاً: تركيز النص والصورة على النظام السوري، ثانياً: نقل، بالصوت والصورة، كل فعالية تنظمها جماعة الإخوان المسلمين، وخاصة ماكينه الجزيرة مباشر، في دعم إعلامي غير مسبوق منذ تأسيس الجماعة (لاحظ أن قناة الجزيرة أنتجت فلماً وثائقياً عن مؤسس الجماعة حسن البنا، بينما لم تنقل لغاية الآن فعالية واحدة شارك فيه شقيقه جمال البنا الذي يعد من الكتاب المتنورين في الوطن العربي)، وثالثاً: جميع الماكينات الإعلامية، تجمع على تبني خطاب إعلامي ايجابياً تجاه ما يحدث في دول الخليج العربي، عملاً بقاعدة «اتركني وشأني، أتركك وشأنك»، لكنني، أتوقع لاحقاً، أن ينكشف غبار الخطاب الإعلامي من نشرة أخبار الماكينات الإعلامية بشكل أوضح، ولكن بعد سقوط بشار الأسد، كما أتوقع، غداً، عودة العداة المسبق، والكامن، بين الجزيرة والعربية.

هناك اتفاق ضمني، غير مكتوب، بين الماكينات الإعلامية الخليجية أو من يث من أراضيها، بعدم التطرق نهائياً خاصة في ظل الأزمة السورية إلى أنظمة الحكم في الدول الأخرى<sup>٢٥٠</sup>، ولكن، أتوقع أن تحدث حرب شرسة بين قتاتي الجزيرة والعربية بعد انتهاء الأزمة السورية، كما أتوقع أن تعود المنافسة إلى سابق عهدهما بين قطر والسعودية على الساحة الإقليمية بعد انتهاء الأزمة أيضاً، كما أتوقع معارك طاحنة في الداخل السوري بين الكتائب والفصائل والتشكيلات العسكرية المختلفة بعد الانتهاء من نظام بشار الأسد الذي سيزول بطريقة أو بأخرى.

الخطاب الإعلامي العربي ناتج عن ماكينات إعلامية جبارة، تشرف عليها أنظمة قبلية، تستخدم هذا الخطاب كأدوات بالإضافة إلى مجموعات الأصوليات الدينية والمال لتشكيل رأي عام عربي وفق أجندة سياسية يحول بالملطق إلى عدم تنويره، ونشر المعرفة في صفوفه، لأن نشر التنوير والمعرفة والقيم يعني زوال عصر القصر الاميري، فتشكيل الرأي العام يعني أدلجته لاتخاذ موقف سياسي معين دون سواه ونشر «الحريق العربي» في جغرافيا دون أخرى، في حين أن التنوير يعني إدخال قيم جديدة إلى آلة المعرفة المعطلة بحسب عميد الفكر العربي محمد عابد الجابري.

الخطاب الإعلامي العربي صادر عن ماكينات إعلامية هي عبارة عن أذرع ضاربة، كل لمصدر مموله، فالفرق هائل بين الخطاب الإعلامي والإعلام، كما هو الحال بين الدين والخطاب الديني<sup>٢٥٢</sup>، فحرية الإعلام، تعني أن تتناول قضايا البلد الذي تبث منها وسيلة الإعلام، والجغرافيات الأخرى، وان تدخل كاميرا الماكينة الإعلامية إلى قصور الأمراء وتساءل: إلى متى ستبقى؟ كما هو بمقدور قناة «ارتي» الألمانية - الفرنسية المشتركة أن تقول للرئيس الفرنسي القابع في قصر الاليزية الباريسي أو للمستشارة الألمانية القابعة في بيت المستشارية ببرلين ماذا تعملون؟ وكيف تخططون؟ والاختفاء التي ارتكبتها، ودون أن ترسل الاسئلة عن طريق البريد الالكتروني قبل إجراء المقابلة بيوم واحد.

ولكي يتحول الخطاب الإعلامي إلى إعلام ينبغي أن يتحول من استعارة إلى معلومة، كما ينبغي السماح

للماكينات بحرية التعبير والرأي في كل الاتجاهات، وهنا نشدد، على أن، الحرية المجزوءة، ليست حرية، فالحرية هنا لا تعني بأي حال من الأحوال استضافة شخصين مغايرين من حزبين مختلفين فقط، وإنما أن تدخل الكاميرا إلى قصر رئيس المؤسسة، ويكتب الإعلامي عنه وعن أعماله وأمواله ونساءه وأولاده، وكيف وصل إلى سدة الحكم، ومتى؟ ومتى سيغادر؟، ان يسمح بالتعبير عن المؤسسة التي تبث، وعن القصر الذي يدفع، وعن قصور الأمراء الآخرين، وأن لا يكون ذلك مرتبطاً بالعلاقات السياسية، فالإعلام يعني العلم بالشيء، في كل زمان، وفي كل مكان، وعدا ذلك يتحول الإعلام إلى خطاب إعلامي .

تحليل «الإعلام العربي» لا تتم بناءً على صورة أو نص جميلين، وإنما بناء على الحفر اركيولوجياً على المشرف والممول على الوسائل الإعلامية مثال: مصدر قناة الجزيرة قطر، هي عبارة عن نظام قبلي عشائري يحكم البلاد منذ القرن التاسع عشر<sup>٢٥٢</sup> .

أعط مثال على ذلك، عندما كانت صواريخ حزب الله اللبناني الشيعي تسقط على إسرائيل عام ٢٠٠٦ (حرب تموز) كانت صورة الحزب لدى الرأي العام العربي وردية بسبب صور وردية قادمة من جنوب لبنان، صور تبثها الماكينات القطرية، هذه الماكينات التي كان الإعلامي المنشق غسان بن جدو يتغنى بها، ففي ندوة أشرف عليها مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت دافع بشدة عن تلك الماكينات ووصف العمل فيها ليس من أجل لقمة العيش فحسب، بل في اطار حمل رسالة اجتماعية أيضاً<sup>٢٥٣</sup> . ويقول:

«أنظر بخوف حقيقي إلى مصير مشروع قناة الجزيرة الانجليزية والمقرر في أيلول / سبتمبر عام ٢٠٠٤، فالقناة ومعها قناة العربية، أثارنا غيظ الأمريكيين بشكل مباشر، فكيف سيكون الأمر معهم بفضائية تنطق بلغتهم، وتتوجه إلى مواطنيهم وإلى كل العالم، اما ان تتكيف القناة مع ما يريدونه، وحينئذ ستسقط وظيفتها في تقديم الحقيقة، أو ان تكون مستقلة عن الضغوطات، وعندها سيكون أثرها أخطر من أثر أي سلاح آخر، وهو بتقديري ما لن يتحمله الغرب» .

الآن، عام ٢٠١٢ انشق غسان بن جدو عن قناة الجزيرة وأسس قناة الميادين من بيروت، فأين ذهبت الرسالة التي كان ينادي بها غسان، واذا كانت القناة تغيظ أميركيا فلماذا تركها، ومن هو المسؤول عن تحول «حزب الله» عام ٢٠٠٦ إلى «حزب الشيطان» عام ٢٠١٢ لدى الرأي العام العربي؟ علماً أن الحزب في هذا العام ارسل أيضا طائرات استطلاع بدون طيار فوق سماء إسرائيل؟

الإنسان المفكر، لا يطلق الأحكام جزافاً بسبب صورة أو نص جميلين وإنما يدرس البرنامج السياسي للماكينة الإعلامية أو للحزب أو للنظام السياسي أو للزعيم، فلو تعمق بن جدو في مصدر الماكينات القطرية لعرف انه نظام عشائري قبلي، يحكم البلد منذ القرن التاسع عشر، هو وزوجته ونجله، ورئيس وزراءه منذ ٢٢ عاماً،

ولا يوجد في البلد حزب سياسي واحد، أو برلمان، أو محكمة دستورية عليا، أو نقابة عمال، أو مؤسسة نسوية واحدة، أو نقابة للصحافيين، وحرية التعبير في البلد ١٤٧ على مستوى العالم، وبالتالي الأنظمة العشائرية، علمياً، ليس بمقدورها أن يكون لديها إعلام، لأنها ستنور وتثقف وتوعي الشعب، وهذا ليس في صالحها.

الإعلام في الغرب، هو عملية نتاج، صراع اجتماعي طويل، نتج عنه مؤسسة أخلاقية ومؤسسة دولة ومؤسسة ديمقراطية.

أما الخطاب الإعلامي القطري، فلا يترك لنا ندوة عن «الإسلاميون وتحدي السلطة في تونس» أو «الإسلاميون وآليات الحكم الديمقراطي» إلا ونقله في بث حي ومباشر، كما تفعل قناة «الجزيرة مباشر» التي تعتبر صوت الإسلاميين في المجتمعات العربية<sup>٢٥٥</sup>.

بالمقابل، ستجد مثلاً على قناة «بي بي سي» البريطانية - القسم العربي برنامج بعنوان «أجندة مفتوحة» يتحدث فيه عن العلاقات المختلفة لدول الخليج العربي من جماعة الإخوان المسلمين، ففي الوقت الذي تأخذ فيه دولة الإمارات العربية المتحدة موقفاً حازماً من الإخوان، نلاحظ أن العربية السعودية تتخذ موقفاً وسطياً من الإخوان - في الأزمة السورية فقط - بينما تقوم إمارة قطر بدعم جماعة الإخوان وكل حركات الإسلام السياسي إعلامياً ومادياً وعسكرياً ولوجستياً ومعلوماتياً<sup>٢٥٦</sup>، كما يظهر في نشرة أخبار أخرى للقناة تقرير تلفزيوني عن أسباب لجوء الجمهور العراقي لغاية الآن إلى النظام العشائري. <sup>٢٥٧</sup> بدلاً من القضاء.

لقد فشل المفكرون العرب الذين ظهروا في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين من ترسيخ الإرهاصات الفكرية نحو بناء مجتمع عربي متقدم، بل نتج عن ذلك دولاً فاشلة من العيار الثقيل تحكمها أنظمة دكتاتورية ظالمة لا يوجد فيها إلا البطالة والامية والتعليم التلقيني، معظم كتابات المفكرين العرب تمحورت حول الخطاب الديني ونقده، العرب لم يكتبوا في الفلسفة أو الأخلاق أو المنطق أو الضمير أو الجمال أو المستقبلات أو القوانين أو نظرية الحكم أو فصل السلطات أو العلوم التقنية أو علم الانثروبولوجيا أو القيم والعلوم الدينية، لم يكتبوا عن الانفجار السكاني في المجتمعات العربية أو عن التربية والتعليم وما الفرق بين الإعلام والخطاب الإعلامي أو بين الايدولوجيا والتنوير.

واليوم تتبدل تلك الدكتاتوريات العسكرية إلى أصوليات عن طريق خطاب إعلامي صادر عن ماكينات حكي إعلامية ضخمة وفاشلة بعيدة كل البعد عن التنوير والثقافة والوعي يحكمها خطاب ديني وفق أجندة سياسية نابعة من عقلية قبلية بحتة.

---

مساحة سوداء تلف المجتمعات العربية، لا يمكن كسرهما إلا ببناء إنسان عربي، صاحب فكر أصيل، لا يشعر بالاغتراب، وعلى هذا ينبغي أن يشتغل المفكرون العرب، هنا التحدي . . . وهذه مهمتهم أمام التاريخ.

## ٨. المراجع

### الكتب:

١. بوديار، جان ٢٠٠٨: المصطنع والاصطناع، ترجمة جوزيف عبد الله، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان
٢. بورديو، بيبير ٢٠٠٤، التلفزيون واليات التلاعب بالعقول، ط١، ترجمة درويش الحلوجي، دار كنعان، دمشق، سوريا.
٣. صالح، هاشم ٢٠١٠ « معارك التنوير والاصوليين في أوروبا، دار الساقى ورابطة العقلايين العرب، بيروت، لبنان.
٤. أبو زيد، نصر حامد ٢٠٠٧، « نقد الخطاب الديني » نصر حامد ابو زيد، المركز الثقافي العربي، ط٣، الدار البيضاء، المغرب.
٥. أبو الرب، ابو الرب « دور الخطاب الدعوي عبر الفضائيات والمواقع الالكترونية في بروز المجتمعات الشخصية »، ضمن دراسة تدرس لمساق « وسائل الإعلام في المجتمع »، جامعة بيزيت، رام الله.
٦. هبرماس، يورغن ٢٠٠٣ « العلم والتقنية كايديولوجيا » ترجمة حسن صقر، دار الجمل، برلين، ألمانيا.
٧. النيهوم، الصادق ١٩٨٧ « صوت الناس محنة ثقافة مزورة، دار رياض الريس، بيروت، لبنان.
٨. الجابري، محمد عابد ٢٠٠٧، ط٦، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان.
٩. الجابري، محمد عابد ٢٠٠٩: تكوين العقل العربي، ط١٠، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان.
١٠. اركون، محمد ٢٠٠٩: قضايا في نقد العقل الديني، كيف نفهم الإسلام اليوم، ط٤، ترجمة هاشم صالح، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.
١١. اركون، محمد ٢٠٠٨: الإسلام والحداثة، ترجمة هاشم صالح، دار بدايات، سوريا.
١٢. نيتشة، فريدريش ٢٠٠٦: هذا هو الإنسان، ط٢، ترجمة علي مصباح، دار الجمل، برلين، ألمانيا.
١٣. العظم، صادق جلال ٢٠٠٣: نقد الفكر الديني، ط٩، دار الطليعة - بيروت - لبنان.
١٤. الفجاري، مختار ٢٠٠٥: نقد العقل الإسلامي عند محمد اركون، دار الطليعة، بيروت، لبنان.
١٥. بن سلامة، رجاء ٢٠٠٥: نقد الثوابت، اراء في العنف والتميز والمصادرة، دار الطليعة ورابطة

- العقلانيين العرب، بيروت، لبنان.
١٦. صالح، هاشم ٢٠٠٨ : مخاضات الحداثة التنويرية، القطيعة الاستمولوجية في الفكر والحياة، دار الطليعة، بيروت، لبنان.
١٧. الحروب، خالد ٢٠٠٨ : التيار الإسلامي والعلمنة السياسية، التجربة التركية وتجارب الحركات الإسلامية العربية، منشورات معهد ابراهيم ابو لغد للدراسات الدولية، جامعة بيزيت، رام الله، فلسطين.
١٨. الجابري، محمد عابد الجابري، ٢٠٠٩ : العقل الأخلاقي العربي، دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية، ط ٩، مركز دراسات الوحدة العربية ن بيروت ن لبنان .
١٩. ابو زيد، نصر حامد ٢٠٠٣ : الاتجاه العقلي في التفسير، دراسة في قضية المجاز في القرآن عند المعتزلة، ط ٥، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب.
٢٠. ابو زيد، نصر حامد ٢٠٠٧ : نقد الخطاب الديني، ط ٣، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب.
٢١. عبد اللطيف، كمال ١٩٩٩ : الحداثة والتاريخ، حوار نقدي مع بعض أسئلة الفكر العربي، أفريقيا الشرق، المغرب.
٢٢. عبد اللطيف، كمال ٢٠٠٢ : نقد العقل، أم عقل التوافق، دار الحوار، سوريا.
٢٣. العالم، محمود أمين ٢٠٠٤ : مواقف نقدية من التراث، ط ٢، دار الفارابي، بيروت، لبنان.
٢٤. الشيخ، محمد ٢٠٠٨ : فلسفة الحداثة في فكر هيغل، الشبكة العربية للابحاث والنشر، بيروت، لبنان.
٢٥. الشاروني، حبيب ٢٠٠٥ : دار التنوير، بيروت، لبنان.
٢٦. هيوم، ديفيد ٢٠٠٨ : مبحث في الفاهمة البشرية، ترجمة موسى وهبة، دار الفارابي، بيروت، لبنان.
٢٧. شتراوس، كلود ليفي ١٩٨٦ : الاسطورة والمعنى، ترجمة شاكر عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية، العراق.
٢٨. آبل، كارل اوتو ٢٠٠٥ : التفكير مع هيرماس ضد هيرماس، ترجمة عمر مهيب، الدار العربية للعلوم ومنشورات الاختلاف والمركز الثقافي العربي، الجزائر والمغرب ولبنان.
٢٩. إمام، إمام عبد الفتاح ٢٠١٠ : روسو والمرأة، دار التنوير، بيروت، لبنان.
٣٠. اسبينوزا، باروخ ٢٠٠٨ : الفلسفة الأخلاقية، ترجمة زيد عباس كريم، دار التنوير، بيروت، لبنان.
٣١. العروي، عبد الله ١٩٩٣ : مفهوم الايديولوجيا، ط ٥، المركز الثقافي العربي، المغرب.
٣٢. عبد اللطيف، كمال وعارف، نصر محمد ٢٠٠١ : اشكاليات الخطاب العربي المعاصر، دار الفكر، بيروت.
٣٣. بلقزيز، عبد الاله ٢٠٠٠ : نهاية الداعية، الممكن والممتنع في أدوار المثقفين، المركز الثقافي العربي، المغرب.
٣٤. حرب، علي ٢٠٠٨ : نقد النص، ط ٥، المركز الثقافي العربي، المغرب.
٣٥. كرونر، ريتشارد وكوبلستون، فريدريك وسولمون، روبرت ٢٠١٠ : تطور هيغل الروحي، ترجمة امام عبد الفتاح امام، دار التنوير، بيروت، لبنان.

٣٦. وايلي، اريك ٢٠٠٧ : هيغل والدولة، ترجمة نخلة فريفر، ط ٣، دار التنوير، بيروت، لبنان .
٣٧. عماد، عبد الغني ١٩٩٧ : حاكمية الله وسلطان الفقيه، قراءة في خطاب الحركات الإسلامية المعاصرة، دار الطليعة، بيروت، لبنان .
٣٨. القرضاوي، يوسف ٢٠١٠ : التطرف العلماني في مواجهة الإسلام ( نموذج تركيا وتونس )، دار الشروق، مصر .
٣٩. امام، عبد الفتاح امام : الفلسفة السياسية عند هيغل، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان .
٤٠. القمني، سيد ١٩٩٦ : الحزب الهاشمي وتأسيس الدولة الإسلامية، مكتبة مدبولي الصغير، القاهرة، مصر .
٤١. القمني، سيد ١٩٩٦ : حروب دولة الرسول، مكتبة مدبولي الصغير، القاهرة، مصر .
٤٢. الجابري، محمد عابد ٢٠٠٦ : مدخل إلى القرآن الكريم، الجزء الأول، في التعريف بالقرآن، دار النشر، الدار البيضاء، المغرب .
٤٣. ٤٣. جعيط، هشام ٢٠٠٥ : الفتنة، جدلية الدين والسياسة في الإسلام المبكر، ط ٥، دار الطليعة، بيروت، لبنان . جعيط، هشام ١٩٩٩ : في السيرة النبوية : الوحي والقران والنبوة، دار الطليعة، بيروت، لبنان .
٤٤. المرزوقي، ابو يعرب ١٩٩٩ : آفاق النهضة العربية ومستقبل الإنسان في مهب العولمة، دار الطليعة ورابطة العقلايين العرب، بيروت وباريس، لبنان .
٤٥. صالح، هاشم ٢٠١٠ : الإسلام والانغلاق اللاهوتي، دار الطليعة ورابطة العقلايين العرب، بيروت، لبنان .
٤٦. صالح، هاشم ٢٠٠٥ : مدخل إلى التنوير الأوروبي، رابطة العقلايين العرب ودار الطليعة، بيروت، لبنان .
٤٧. النبهاني، تقي الدين ١٩٩٤ : الشخصية الإسلامية، الجزء الثاني، ط ٣، دار الأمة للطباعة، بيروت، لبنان .
٤٨. برقاي، أحمد ويفوت، سالم وبلقزيز، عبد الاله والعاللي، عبد السلام بنعبد وعبد اللطيف، كمال ٢٠٠٤ : التراث والنهضة : قراءات في أعمال محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان .
٤٩. شرابي، هشام ١٩٧٥ : مقدمات في دراسة المجتمع العربي، منشورات صلاح الدين، القدس .
٥٠. موسى، رؤوف سلامة ١٩٩٢ : سلامة موسى أبس، دار ومطابع المستقبل، الاسكندرية، مصر .
٥١. موسى، سلامة ١٩٢٨ : نظرية التطور وأصل الإنسان، سلامة موسى للنشر، مصر .
٥٢. طرايبيشي، جورج ١٩٩٣ : مذبح التراث في الثقافة العربية المعاصرة، دار الساقى، بيروت، لبنان .
٥٣. حنفي، حسن ٢٠٠٢ : التراث والتجديد، موقفنا من التراث القديم، ط ٥، المؤسسة الجامعية للدراسات، مصر .
٥٤. العشمأوي، محمد سعيد ٢٠٠٤ : العقل في الإسلام، ط ٢، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، لبنان .
٥٥. حسين، طة بدون سنة اصدار، ط ١٤، دار المعارف، مصر .

٥٦. حرب، علي ١٩٩٧ : الفكر والحدث، حوارات ومحاور، دار الكنوز الأدبية، بيروت، لبنان.
٥٧. عبد الرحمن، طة ٢٠٠٠ : سؤال الأخلاق، مساهمة في النقد الأخلاقي للحدثة الغربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب.
٥٨. جعيط، هشام ٢٠٠٥ : أزمة الثقافة الإسلامية، دار الطليعة، بيروت، لبنان.
٥٩. قنصوة، ياسر ٢٠٠٨ : البيبرالية، اشكالية مفهوم، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر.
٦٠. صالح، هاشم ٢٠٠٨ : معضلة الأصولية الإسلامية، دار الطليعة ورابطة العقلايين العرب، بيروت، لبنان.
٦١. الحداد، محمد ٢٠٠٢ : حفریات تأويلية في الخطاب الإصلاحی العربي، دار الطليعة، بيروت.
٦٢. زهرة، احمد علي ٢٠٠٧ : العقل العربي بنية وبناء دراسة نقدية لمشروع الجابري، نور للطباعة والنشر، دمشق، سوريا.
٦٣. المنجرة، مهدي ٢٠٠٧ : قيمة القيم، بدون دار نشر.
٦٤. صالح، هاشم ٢٠٠٥ : مدخل إلى التنوير الأوروبي، دار الطليعة ورابطة العقلايين العرب، بيروت، لبنان.
٦٥. ابراهيم، يسري ٢٠٠٧، فريدريش نيتشة، فلسفة الأخلاق، دار التنوير للطباعة، بيروت، لبنان.
٦٦. أوترام، دوريندا ٢٠٠٨ : التنوير، الفارابي، بيروت، لبنان.
٦٧. مضية، محمد سعيد ١٩٩٦ : ثقافتنا ومهمات المرحلة، اتحاد الكتاب المقدس، القدس.
٦٨. مقلد، محمد علي ٢٠٠٠ : الأصوليات، بحوث في معوقات النهوض العربي، الفارابي، بيروت، لبنان.
٦٩. الشرفا، وليد ٢٠١٠ : دوائر الاقناع في خطاب حركة حماس، الميثاق والإعلام والتبرير، ط ١، معهد العالم العربي للبحوث والتنمية، رام الله.
٧٠. الحروب، خالد وقنيص، جمان ٢٠١١ : الإعلام الفلسطيني والانقسام، مرارة التجربة وامكانيات التحسين، مواطن: المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية، رام الله.
٧١. العائدي، علي محمود ١٩٩٩ : الإعلام العربي امام التحديات المعاصرة، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ط ١، دولة الامارات العربية المتحدة.
٧٢. البدراني، فاضل محمد ٢٠١١ : الإعلام وصناعة العقول، منتدى المعارف، ط ١، بيروت، لبنان.
٧٣. صادر عن مركز المرأة العربية للتدريب والبحوث ٢٠٠٨ : المرأة العربية والإعلام المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.
٧٤. الحضيف، محمد بن عبد الرحمن ١٩٩٤ : كيف تؤثر وسائل الإعلام دراسة في النظريات والاساليب، ط ١، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية.
٧٥. ابو شنب، حسين ١٩٨٨ : الإعلام الفلسطيني، دار الجليل للنشر والدراسات والابحاث، عمان، الاردن.
٧٦. الرزو، حسن مظفر وآخرون ٢٠٠٨ : ثورة الصورة، المشهد الإعلامي وفضاء الواقع، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان.

٧٧. عوض، الله غازي زين ١٩٩٥ : الإعلام والمجتمع الهيئة المصرية العامة للكتاب .
٧٨. حجاب، محمد منير ٢٠١٠ : الإعلام والموضوعية في القرن الحادي والعشرين رؤية تحليلية نقدية، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر .
٧٩. همام، طلعت ١٩٨٣ : مائة سؤال عن الإعلام، ط ١، دار الفرقان، بيروت، لبنان .
٨٠. شبيب، سميح ٢٠٠٤ : دراسات إعلامية، مواطن المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية، رام الله، فلسطين .
٨١. بنكراد، سعيد ٢٠٠٦ : سميات الصورة الاشهارية الاشهار والتمثلات الثقافية، دار
٨٢. أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب .
٨٣. ابو عرجة، تيسير ٢٠٠٩ : الإعلام العربي وسائله ورسائله وقضاياها، دار مجدلاوي للنشر، عمان، الاردن .
٨٤. رجب، مصطفى محمد ٢٠٠٧ : الإعلام والمعلومات في الوطن العربي في ظل ارهاب العولمة، ط ١، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، عمان، الاردن .
٨٥. العبد، عاطف عدلي ١٩٩٣ : الاتصال والري العام، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر .
٨٦. القاسم، فيصل وبلقزيز، عبد الاله وبن جدو، غسان وكريشان، محمد وآخرون ٢٠٠٤ : العرب والإعلام الفضائي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان .
٨٧. دراسة للأستاذ محمد ابو الرب بعنوان « دور الخطاب الدعوي عبر الفضائيات والمواقع الالكترونية في بروز المجتمعات الشخصية . » بدون سنة إصدار، مساق وسائل الإعلام في المجتمع، جامعة بيزيت، رام الله، فلسطين .
٨٨. ماضي، أحمد ٢٠٠٩ : ساطع الحصري الدين والعلمانية، مركز دراسات الوحدة الوطنية، بيروت، لبنان .
٨٩. وزادة طيبة ماهر ٢٠٠٦ : العلمانية والعصرانية دراسة على ضوء الأسس الفلسفة والاجتماعية دارالهادي للطباعة، بيروت، لبنان .
٩٠. ظاهر عادل ٢٠٠٨ : اللامعقول في الحركات الإسلامية المعاصر، دار بدايات، سوريا .
٩١. حرب، علي ٢٠١١ : ثورات القوة الناعمة في العالم العربي، نحو تفكيك الديكتاتوريات والأصوليات، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان .
٩٢. أمين، سمير ١٩٩٧ : في مواجهة أزمة عصرنا، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت .

#### دور التلفزة :

قناة الجزيرة العربية

قناة الجزيرة مباشر

قناة الجزيرة الانجليزية

قناة بي بي سي العربية

قناة الميادين  
قناة سكاي نيوز العربية  
قناة العربية  
قناة فرانس ٢٤  
تلفزيون فلسطين  
تلفزيون الاقصى  
تلفزيون مصر ٢٥

#### الاذاعات :

اذاعة مونت كارلو الدولية  
اذاعة برلين الحرة وفونك هاووس أوروبا التابعة لاذاعة « في دي ار » الألمانية

#### الصحف :

جريدة الحياة الدولية  
صحيفة القدس العربي اللندنية  
صحيفة الشرق الأوسط اللندنية  
صحيفة القدس المقدسية

#### المجلات :

المستقبل العربي، العدد ٣٦٣، السنة ٣٢، شهر مايو، ٢٠٠٩، صادرة عن مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان.  
سياسات، العدد ١٥، ٢٠١١، صادرة عن معهد السياسات العامة، رام الله، فلسطين.  
الدراسات الفلسطينية، العدد ٨٢، ربيع، ٢٠١٠، صادرة عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، لبنان.

#### وكالات :

وكالة معا الاخبارية  
وكالة رويترز البريطانية  
وكالة الانباء الفرنسية

## الهوامش :

- ١ . حرب ٢٠١١، ص ١٧ .
- ٢ . لهذا السبب حصل الاتحاد الاوروبي على جائزة نوبل للسلام لعام ٢٠١٢ .
- ٣ . يعتبر الفيلسوف الالماني الكبير من اعظم فلاسفة الارض قاطبة ، وقد كان بمثابة رادار متحرك ، فقد تنبأ بنشوء الامم المتحدة قبل نشوئها ب ٢٢٠ عام من خلال كتابه الشهير «السلام الابدي» ، وله كتابي «نقد العقل العملي» و«نقد العقل النظري» .
- ٤ . يعتبر نيتشة من اشهر فلاسفة المانيا على الاطلاق ، الا ان اسمه انتشر في اصقاع الارض بعد موته بسنوات كثيرة ، يعتبر أحد رموز المدرسة العدمية في المانيا ، ومن اشهر كتبه « هكذا تكلم زرادشت ، و«هذا هو الانسان» وقد اكتف لوحده في احدى غابات ولاية بافاريا الالمانية حيث جن في اخر سنوات عمره .
- ٥ . فيلسوف فرنسي عملاق كتب كتابا معروفاً بعنوان « ايميل أو التربية » .
- ٦ . باروخ سبينوزا هو فيلسوف هولندي من أصل يهودي ، قام احد الأصوليين بالاعتداء عليه بسكين .
- ٧ . فولتير من أشهر فلاسفة فرنسا ، قبره يعتبر الآن احد أشهر القبور في مقبرة البانتيون الفرنسية الشهيرة .
- ٨ . أستاذ الفلسفة في جامعة برلين ، قبره حالياً في برلين أيضا ، وهو فيلسوف التفاؤل ويعتبر بحق أستاذ الفيلسوف الألماني كارل ماركس ، فهو صاحب نظرية الديالكتيك ، بمعنى أن كل فكرة تحمل بذور فنائها .
- ٩ . فيلسوف فرنسي ، هو صاحب فكرة السلطات الثلاث وهي التنفيذية والتشريعية والقضائية ، كما بين أن المناخ يلعب دورا في تطور الإنسان ، فكلما كان المناخ بارداً ، كلما كان ذلك عاملاً مساعداً على التفكير عند الانسان .
- ١٠ . فيلسوف ركز على فكرة خضوع الفكرة للمختبر .
- ١١ . يعتبر الفيلسوف الفرنسي ديكارت من أعظم خمسة فلاسفة على الارض ، فهو صاحب الكتاب الشهير «حديث الطريقة » والذي شرح من خلاله الطريقة لاي مشكلة تعترض الانسان حيث قسم حلها على النحو التالي : عدم القبول بالمسلمات والكليات والقطعيات ، تقسيم المشكلة الى عدة اقسام ، ترتيب الافكار وفق نظام ومنطق ثم عمل مراجعة دورية او ما نطلق عليه رجوع الصدى ، راجع كتاب ديكارت ، ترجمة عمر الشارني ٢٠٠٨ ، ص ٩٤ .
- ويعتبر ديكارت مؤسس الفلسفة الحديثة ، وكان الفيلسوف الفرنسي هنري غوهية الذي ولد عام ١٨٩٨ في باريس قد ألف ٤٠ كتاباً ، منهم الفكر الديني لديكارت ، مقالات حول ديكارت ، الافكار الاولى لديكارت ، الفكر الميتافيزيقي لديكارت ، ويقال ان ديكارت قتل بالسم مثل الفيلسوف الاغريقي سقراط .
- ١٢ . دافيد هيوم هو فيلسوف بريطاني ركز على فكرة ان الانسان شرير ، وان الشر اقوى من الخير عند الانسان .
- ١٣ . جان بول سارتر هو فيلسوف فرنسي ، صاحب النظرية الوجودية ، التي ركزت على ان القيمة المركزية للحياة هي الانسان ، ومن المعروف ان الفيلسوف الالماني مارتن هيدغر من أتباع هذا الفكر ، ومن أبرز المؤيدين في العالم العربي لهذا الفكر كل من المفكر المصري عبد الرحمن بدوي وأنيس منصور .
- ١٤ . اعتبر الفيلسوف الالماني شوبنهاور ان التاريخ غير عقلائي ، بعكس هيغل الذي اعتبر ان التاريخ عقلائي ، حتى لو سار احياناً في اتجاهات غير عقلائية ، الا انه في النهاية لا بد من ان ينتصر الخير على الشر ، وكان الاثنان طبعاً يعلمون في جامعة بريان وبينهما عداوة وبغضاء كبيرين ، وكان شوبنهاور عبقري ولكنه حزين ومتشائم وعمدي مثل نيتشة ، فقد وصف الانسان بأنه «حيوان ميتافيزيقي» بعد ان كان الفيلسوف الاغريقي الكبير ارسطو قد سبقه ووصف الانسان بانه «حيوان ناطق» . راجع كتاب غريزي ٢٠٠٨ ، ص ١١ .
- ١٥ . هو فيلسوف الماني وهو صاحب كتاب «موت المسيحية» فهو قريب من كارل ماركس وفرويد في افكارهما من الدين .
- ١٦ . ولد هيدغر ١٨٨٩ وتوفي عام ١٩٦٧ ، عرضت عليه رئاسة جامعة هايدلبرغ الالمانية التي تعتبر من اعرق جامعات المانيا ، لكنه رفض ، قطب من أقطاب الفلسفة الوجودية ، من كتبه « الكينونة والزمان ١٩٢٧ ، كانط ومشكلة الميتافيزيقيا ، ما الميتافيزيقا
- ١٧ . شيلنغ كتب عن فلسفة علم الاساطير وتاريخها باعتبارها شكلا من اشكال وعي الانسان لذاته .

- ١٨ . ولد هيرماس عام ١٩٢٩ في مدينة دوسلدورف في غرب ألمانيا، يعتبر فيلسوف ألمانيا في الوقت الحاضر، من أشهر كتبه «مدخل إلى فلسفة التأويل»، من أتباع مدرسة فرانكفورت التي عنيت بدراسة ما بعد الحداثة.
- ١٩ . الفلسفة تعني هنا تفسير الواقع عن طريق الأبحاث العلمية وليس عن طريق الأيدولوجيا واكتشاف المستقبل عن طريق الفكر، ولهذا يقال ان الفيلسوف مثل الرادار، يكتشف البعيد.
- ٢٠ . استخدمت هنا كلمة المجتمعات العربية وليس الدول العربية، لأنه لا يوجد لدينا دول تمثل مؤسسة تاريخية كمفهوم الدولة في أوروبا التي تمثل القانون والدستور والأخلاق والضمير والعدالة الاجتماعية والحرية الاجتماعية وفصل الدين عن الدولة، بل كل ما لدينا مؤسسة خدمات تقدم للفرد خدمات الكهرباء والمياه في نطاق مجتمع أبوي قبلي وطائفي وديني ومذهبي (راجع في هذا السياق كتاب «مقدمات في دراسة المجتمع العربي» للمفكر الفلسطيني هشام شرابي، ط١، منشورات صلاح الدين. القدس، ١٩٧٥، في هذا الكتاب تطرق شرابي إلى بنية العائلة العربية، وكيف ان الذات منظمة تنظيمياً تصاعدياً وهي مؤلفة من عدة منازل، يجري اكتسابها في سياق النمو والتجربة، كما بين ان الانسان حصيلة عوامل وراثية وبيئية.
- ٢١ . أنظر المواطن الغربي لا يسرق ولا يبعث ولا يكذب ويحافظ على نظافته بيته وشارعه بنفس المستوى ويحترم الوقت ويقدم العمل ويتداول على السلطة ويقبل بنتيجة صندوق الانتخابات والى غير ذلك من القيم وهو لا يؤمن بالحساب والعقاب والجنة والنار، في حين ان انتقال شخص من حزب الى حزب (من يساري الى اسلاموي) او من لا شيء الى حزب لا يعني مطلقاً انه تغير او تطور، بل أنه اصبح يمارس طقوس جديدة واصولية أخرى. أنظر المواطن الغربي لا يسرق ولا يبعث ولا يكذب ويحافظ على نظافته بيته وشارعه بنفس المستوى ويحترم الوقت ويقدم العمل ويتداول على السلطة ويقبل بنتيجة صندوق الانتخابات والى غير ذلك من القيم وهو لا يؤمن بالحساب والعقاب والجنة والنار، في حين ان انتقال شخص من حزب الى حزب (من يساري الى اسلاموي) او من لا شيء الى حزب لا يعني مطلقاً انه تغير او تطور، بل أنه اصبح يمارس طقوس جديدة واصولية أخرى.
- ٢٢ . لقد احدث الاعلام الألماني فضيحة مدوية للمستشارة الألمانية أنجيلا ميركل عندما دخل الى بيت المستشاره وهو مكتبها، عندما قامت بتنظيم احتفال بعيد ميلاد مدير البنك الألماني يوسف اكرمان الذي يتقاضى شهرياً ١٠ مليون يورو، فقامت الصحافه الألمانية ولم تقعد لانها تريد ان تعرف من الذي تكفل بمصاريف هذا الاحتفال، هل هو المواطن الألماني الذي يدفع ضريبة للدولة، ام مدير عام البنك، كما كتبت الصحافه الألمانية مطولاً عن ان شقيق المستشار الألماني السابق جيرهارد شرويدر يعمل في مخبز، واحياناً أخرى كان عاطل عن العمل، في حين كان شقيقه رئيس وزراء أكبر قوة اقتصادية في أوروبا.
- ٢٣ . الفيلسوف الألماني هيغل رفع قبعته احتراماً لتقديم المحتل الفرنسي نابليون بونابرت الذي احتل جزء من ألمانيا، واول قرية قام باحتلالها كانت قرية هيغل وأحرقت بعض كتب هيغل بسبب هذا الاحتلال، الا ان هيغل كان يعرف ان هذا المحتل يبشر بمبادئ الثورة الفرنسية في ألمانيا التي كانت آنذاك تزح تحت الانقسام والظلم.
- ٢٤ . يعتبر المغرب بحق هو آلة إنتاج الفكر في الجغرافيا العربية، فقد خرج خيرة المفكرين العرب مثل محمد عابد الجابري وعبد الله العروي والمفكر المتخصص في المنطق والأخلاق طه عبد الرحمن ومحمد سبيلا وسالم يفوت وكمال عبد اللطيف وعالم المستقبلات المهدي المنجرة وعبد الكبير الخطيبي وعبد الفتاح كليطو
- ٢٥ . الجابري ٢٠٠٧، ط٦، ١٨٤.
- ٢٦ . الجابري العقل السياسي العربي، ط٦، ٢٠٠٧، ص ٣٧٤.
- ٢٧ . توفي الفيلسوف المغربي الكبير محمد عابد الجابري في المغرب بتاريخ ٣ / ٥ / ٢٠١٠ ودفن في مقبرة الشهداء.
- ٢٨ . راجع كتابه الشهير «التكفير في زمن التفكير».
- ٢٩ . أول كتاب تطرق إلى فهم القرآن تاريخياً، كان في القرن التاسع عشر، ألفه المستشرق الألماني تيودور نولدكه وكان الكتاب بعنوان: «تاريخ القرآن».
- ٣٠ . حاول هذا الفريق إعادة كتابة التاريخ الإسلامي، وفصل الشوائب والخرافات عنه، وهذا حاول القيام به حسين مؤنس سكرتير عميد الأدب العربي طه حسين من خلال كتابه «تنقية اصول التاريخ الاسلامي».

- ٣١ . لقد استطاع عندنا رجال الدين المزمتمون الانتصار على المتوربين ، بعكس أوروبا ، والذي قاده هناك رجل الدين المتور هانز كونغ الذي ولد في سويسرا عام ١٩٢٨ وأكد على عدم عصمة البابا ، وقد خط ذلك في كتابه الشهير «من أجل لاهوت للثالثة» ، وهو ما يقابله عندنا جمال البنا شقيق حسن البنا مؤسس جماعة الإخوان المسلمين ، فقد دعا هذا الأخير -على سبيل المثال لا الحصر- إلى الاختلاط بين الرجال والنساء ، حتى لو حدث أضرار ، وساق مثلاً على ذلك ، بأن السيارة يسمح باستخدامها بين الناس ، حتى لو تسببت في أحيان الى حالات وفاة ، وفي هذا السياق يقول المفكر السوري هاشم صالح : أن العالم العربي متخلف في التقنيات وفي العلوم الدينية أيضاً .
- ٣٢ . طبعاً ، هناك فرق كبير بين الإسلام والمسيحية ، فالإسلام هو دين بينما المسيحية ليست ديناً ، فالمسيح هو كلمة الله والإنجيل هو عبارة عن تجارب كتبها تلاميذ المسيح (مرقس ولوقا ومتى ويوحنا) عن تجاربهم معه وهو يخلو من التشريعات والقوانين بينما القرآن هو كلام من عند الله مباشرة . أركون ٢٠٠٩ ، ط ٤ ، ص ٥٨ .
- ٣٣ . أبي نادر ٢٠٠٨ ، ط ٤٥ .
- ٣٤ . م . س . ص ٤٩ .
- ٣٥ . راجع كتاب «هذا هو الإنسان» فريدرش نيتشه ، منشورات دار الجمل ، برلين .
- ٣٦ . هذا ما يقوله المفكر محمد عابد الجابري ، حيث أن التطور الذي حصل في أوروبا على مدى عقود واختمر و اختتم عندما أخذ وقته الكافي لم يجد أمم تحيك ضده المؤامرات كما يحل حالياً في وطننا العربي ، وهذا واقع ولانسوقه للتبرير .
- ٣٧ . راجع كتاب المفكر الفلسطيني المخضرم هشام شرابي «مقدمات لدراسة المجتمع العربي» ١٩٧٥ ، ص ٥٩ .
- ٣٨ . صدق في هذا المقام الكاتب التونسي عبد الوهاب المؤدب الذي قال (داء العرب في تمجيد الماضي) .
- ٣٩ . العظم ٢٠٠٣ ، ط ٩ ، ص ٨
- ٤٠ . هنا يكون النظام العشائني في اوج صورته ، فالفرد يكون تابع للقبيلة ، فهو يشعر بأنه مجرد رقم مؤيد لقبيلته وفعالها وسلوكها واقوالها وشعرها وابدولوجيتها ومعاركها ورجالها ورئيسها ، يوافق ولا يناقش ، فريئس القبيلة مقدس ، يبقى شيخاً ما دام حياً ، ولولا هذا الشيخ - هكذا يتصور الفرد - تموت الرعية ، فهو الحامي والراعي بفطنته وذكاءه الخارق .
- ٤١ . من انصار هذا الفريق البروفيسور محمد خورشيد من جامعة مونستر الالمانية الذي كتب كتاباً بعنوان : «الاسلام رحمة» فقد قال ان القرآن يحتوي على ٦٢٣٦ آية قرآنية منها ٨٠ آية تنطرق الى العقاب الشرعي ، لهذا طالب باخذ السياق الزمني في التفسير وتفسير القرآن بمنظور زمني معاصر واستخدام العقل في الممارسة الدينية .
- ٤٢ . الفجاري ٢٠٠٥ ، ط ٢٦ .
- ٤٣ . اما على صعيد اداة البحث العلمي ، فلا يمكن من الناحية العلمية اسقاط منهج النقد التاريخي على احداث حصلت في مكة عام ٦٠٠ م .
- ٤٤ . مقابلة مع د . برقاوي ، أذاعة فونك هاوس اوروبا ، برلين ، ٢٠٠٩ .
- ٤٥ . محمد عابد الجابري ومحمد اركون واحمد البرقاوي
- ٤٦ . بن سلامة ، ٢٠٠٥ ، ص ٧ .
- ٤٧ . المستشار الالماني كونراد ادونار من الحزب المسيحي الديمقراطي هو أحد الشخصيات الفذة الذي ساعد في بناء المانيا .
- ٤٨ . امين ١٩٩٧ ، ١٢١ .
- ٤٩ . ٤٩
- ٥٠ . فوكوياما هو أستاذ أمريكي من أصل ياباني ، له كتاب مشهور بعنوان «الإنسان الأول ونهاية التاريخ» ادعى فيه أن الراسمالية هي نهاية التاريخ البشري .
- ٥١ . صالح ٢٠٠٨ ، ص ٢٠٩ .
- ٥٢ . من المقدمة .
- ٥٣ . م . س .
- ٥٤ . الحروب ٢٠٠٨ ، ص ١٨ .

٥٥. كرونر وكوبلستون وسولون، ترجمة امام عبد الفتاح امام ٢٠١٠، ص ٧٦
٥٦. وايلي، ترجمة نخلة فريفر ٢٠٠٧ ص ٢٧.
٥٧. الجابري ٢٠٠٩، ٦٥.
٥٨. الجابري ٢٠٠٩، ط٣، ص ٢٤٩
٥٩. م. س، ص ١٩٤
٦٠. يقول بعض النقاد ان فكرة الكتاب أتت من كتاب « المدينة الفاضلة » لافلاطون، وكل ما قام به الفارابي هو تبديل صفات الحاكم.
٦١. الجابري ٢٠٠٩، ط٣، ص ٢٥٧.
٦٢. م. س، ١٢٠.
٦٣. م. س، ص ٢٢٥.
٦٤. حرب ٢٠٠٨، ص ١١٩.
٦٥. هناك خاصية من خصائص الرأي العام وهي التبرير، الرأي العام مثله مثل الفرد، فإنه يلجأ أحياناً الى التبرير.
٦٦. ولد الغنوشي في قرية الحامة ١٩٤١
٦٧. قناة الجزيرة القطرية، برنامج صحف الصباح، ١٤. ١٠. ٢٠١٢.
٦٨. وكالة الأنباء الفرنسية، ١٤. ١٠. ٢٠١٢. من صفحة سويس انفو.
٦٩. من مواليد حمص، ١٩٤٥.
٧٠. لاحظ أن الموت غيب العديم من المفكرين العرب العظماء مثل محمد عابد الجابري ومحمد اركون ونصر حامد أبو زيد.
٧١. نلاحظ هنا ان الموت غيب الجزء الاكبر من المفكرين العرب العظماء ومنهم من المغرب محمد عابد الجابري ومن الجزائر محمد اركون ومن فلسطين ادوارد سعيد وهشام شرابي ومن مصر نصر حامد ابو زيد، وهناك عدد آخر منهم في سن متقدمة، مثل عبد الله العروي من المغرب وهشام جعيط من تونس وصادق جلال العظم من سوريا.
٧٢. عماد ١٩٩٧، ص ٧١.
٧٣. القرضاوي ٢٠٠١، ص ١٧.
٧٤. النبهاني ١٩٩٤، ص ٣٦٣.
٧٥. من المعروف طبعاً ان اركون باحث ومفكر جزائري مخضرم، ولد عام ١٩٢٨ بالجزائر، أكمل دراسته الثانوية في وهران، ثم أتم دراسته في جامعة السوربون الباريسية العريقة.
٧٦. ابو زيد ٢٠٠٣، ص ١١.
٧٧. محمد عابد الجابري من مواليد عام ١٩٣٦ وتوفي عام ٢٠١٠، له ٣٠ مؤلفاً من أشهرهم رباعية نقد العقل العربي وهم بنية العقل العربي وتكوين العقل العربي والعقل السياسي العربي والعقل الاخلاقي العربي، هذه الرباعية دفعت المفكر السوري جورج طرابيشي الى إصدار كتاب بعنوان « نقد نقد العقل العربي »، نحن والتراث : قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفي (١٩٨٠)، العصبية والدولة : معالم نظرية خلدونية في التاريخ العربي الإسلامي (١٩٧١)، تكوين العقل العربي (نقد العقل العربي ١) (١٩٨٢)، بنية العقل العربي (نقد العقل العربي ٢) (١٩٨٦) العقل السياسي العربي (نقد العقل العربي ٣) (١٩٩٠)، العقل الأخلاقي العربي (نقد العقل العربي ٤)، مدخل إلى القرآن في ثلاثة مجلدات، مدخل إلى فلسفة العلوم : العقلانية المعاصرة وتطور الفكر العلمي، معرفة القرآن الحكيم أو التفسير الواضح حسب أسباب النزول : في ثلاث أجزاء، «أضواء على مشكلة التعليم بالمغرب» (١٩٧٣)، «من أجل رؤية تقدمية لبعض مشكلاتنا الفكرية والتربوية» (١٩٧٧)، «المنهاج التجريبي وتطور الفكر العلمي» (١٩٨٢)، «إشكاليات الفكر العربي المعاصر» (١٩٨٦)، «وحدة المغرب العربي» (١٩٨٧)، «التراث والحداثة : دراسات ومناقشات» (١٩٩١)، «الخطاب العربي المعاصر» (١٩٨٢)، «وجهة نظر : نحو إعادة بناء قضايا الفكر العربي المعاصر» (١٩٩٢)، «المسألة الثقافية» (١٩٩٤)، «الديمقراطية وحقوق الإنسان» (١٩٩٤)، «مسألة الهوية : العروبة والإسلام والغرب» (١٩٩٥)، «المثقفون في الحضارة العربية : محنة ابن حنبل ونكبة ابن رشد» (١٩٩٥)، «الدين والدولة وتطبيق

- الشريعة» (١٩٩٦)، «المشروع النهضوي العربي : مراجعة نقدية» (١٩٩٦)، سلسلة «نقد العقل العربي»، «ابن رشد: سيرة وفكر، دراسة ونصوص»، «حوار المشرق والمغرب (مؤلف مشارك)» (١٩٩٠) وقد ضرب الجابري مثلاً في أحترام الذات كمفكر، فقد أعتذر عن تسلم جائزة من الرئيس العراقي السابق صدام حسين بقيمة ١٠٠ الف دولار، وجائزة الشارقة التي تمنحها اليونسكو بقيمة ٢٥ الف دولار، وجائزة القذافي لحقوق الانسان بقيمة ٣٢ الف دولار، كما أعتذر مرتين بان يكون عضواً في جمعية الفلسفة الملكية المغربية.
٧٨. كتاب نقد النص، صادر عن المركز الثقافي العربي.
٧٩. د. امام عبد الفتاح امام : الفلسفة السياسية عند هيغل، ص. ١٤٥، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٧.
٨٠. راجع كتاب المفكر المصري نظرية التطور وأصل الانسان ١٩٢٨، وكتاب «سلامة موسى أبي» للكاتب رؤوف سلامة موسى ١٩٩٢.
٨١. طرايشي ١٩٩٣، ص ٧.
٨٢. راجع كتاب سيد القمني، الحزب الهاشمي.
٨٣. راجع كتاب الجابري التراث والنهضة ٢٠٠٤.
٨٤. راجع كتاب الفتنة «جدلية الدين والسياسة في الاسلام المبكر، ط ٥، ٢٠٠٥، وكتاب في السيرة النبوية الوحي والقرآن والنبوة ١٩٩٩.
٨٥. راجع كتاب الاسلام والحداثة، ترجمة هاشم صالح ٢٠٠٨، وكتاب نقد الخطاب الديني ٢٠٠٧.
٨٦. راجع كتاب هاشم صالح معارك التنويريين والاصوليين في اوربا ٢٠١٠ ومدخل في التنوير الاوروبي ٢٠٠٥.
٨٧. راجع كتاب طة حسين الفتنة الكبرى عثمان ط ١٤، بدون سنو اصدار.
٨٨. راجع كتاب محم سعيد عشمواي العقل في الاسلام ٢٠٠٤.
٨٩. راجع كتاب حسن حنفي التراث والتجديد ٢٠٠٢.
٩٠. الجابري ٢٠٠٦، ص ١١.
٩١. أنظر كتاب نقد العقل ام عقل التوافق ٢٠٠٢، الحداثة والتاريخ : حوار نقدي مع بعض اسئلة الفكر العربي ١٩٩٩.
٩٢. أنظر كتاب مواقف نقدية من التراث، ط ٢، ٢٠٠٤.
٩٣. راجع كتاب فلسفة الحداثة في فكر هيغل ٢٠٠٨.
٩٤. كتب عن تفوق الانسان والارادة والعزيمة.
٩٥. راجع كتاب فلسفة فرنسيس بيكون ٢٠٠٥.
٩٦. أنظر كتاب مبحث في الفاهمة البشرية ٢٠٠٨.
٩٧. فيلسوف فرنسي مخضرم، قبرة في مقبرة البائثيون الباريسية المشهورة.
٩٨. انظر كتاب الاسطورة والمعنى ١٩٨٦.
٩٩. قطب الفلسفة الوجودية، وقد حاول ان يحل لغز الوجود.
١٠٠. التفكير مع هيرماس ضد هيرماس ٢٠٠٥.
١٠١. راجع كتاب اسبينوزا الفلسفة الاخلاقية ٢٠٠٨.
١٠٢. راجع كتاب روسو والمرأة ٢٠١٠، ومن المعروف ان الفيلسوف روسو يتواجد قبره في مقبرة البائثيون التاريخية في باريس وبحواره فولتير وفكتور هيغو والعالمة البولندية ماري كوري في حين رفضت عائلة البيير كامو نقل رفاته الى المقبرة.
١٠٣. بلقزيز ٢٠٠٠، ص ١٣١.
١٠٤. العروي، ط ٥، ١٩٩٣، ص ٢٢.
١٠٥. عبد اللطيف وعارف ٢٠٠١، ص ٨٥.
١٠٦. الجابري، ط ١٠، ٢٠٠٩، ص ٧٥.
١٠٧. أنظر مجلة «المستقبل العربي»، ورقة مشروع نقد العقل العربي «من نقد الخطاب الى التعريف بالقرآن»، ص ٢٣، العدد ٣٦٣، ٢٠٠٩.
١٠٨. حسب ما يقول الجابري في الصفحة رقم ٤٨ من كتابه العقل السياسي العربي محدثاته وتجليته - الناشر مركز دراسات الوحدة العربية.

- ١٠٩ . كريم ٢٠٠٨ ، ص ٨٧ .
- ١١٠ . راجع كتاب الفتنة ، هشام جعيط .
- ١١١ . أجريت مقابلة خاصة مع د. أحمد برفاوي في اذاعة « فونك هاوس اوروبا » التابعة لهيئة الاذاعة الالمانية وتلفزيون « في دي آر » في العاصمة الالمانية برلين ، ٢٠٠٩ .
- ١١٢ . صالح ٢٠١٠ ، ص ١٤٥ .
- ١١٣ . حرب ١٩٩٧ ، ص ٤١ .
- ١١٤ . عبد الرحمن ٢٠٠٠ ، ص ٣٥ .
- ١١٥ . حرب ١٩٩٧ ، ص ٦٦ .
- ١١٦ . عبد اللطيف وعارف ٢٠٠١ ، ص ٨٠ .
- ١١٧ . جميع عناوين كتبه على شبكة الانترنت .
- ١١٨ . جعيط ٢٠٠٠ ، ص ٣٢ .
- ١١٩ . القرضاوي ٢٠١٠ ، ص ١٦ .
- ١٢٠ . مقابلة أجريتها معه في اذاعة برلين ، فونك هاوس اوروبا ، ٢٠٠٩ .
- ١٢١ . صالح ٢٠٠٨ ، ص ٢٨ .
- ١٢٢ . الحداد ٢٠٠٢ ، ص ٥٨ .
- ١٢٣ . صالح ٣٦٢٠٠٥ .
- ١٢٤ . المنجرة ٢٠٠٧ ، ص ٥٠ .
- ١٢٥ . زهرة ٢٠٠٧ ، ص ٦١ .
- ١٢٦ . قنصوة ، ٢٠٠٨ ، ص ٥٤ .
- ١٢٧ . للعلم فقط ، فإن المعتزلة يرون ان القرآن مخلوق ، أي ان الآيات القرآنية مرتبطة باسباب النزول وباحداث تاريخية ، وهدف المعتزلة من ذلك هو السعي لابقاء باب الاجتهاد مفتوحاً ، وعدم القول بان النص صالح لكل زمان ومكان ، أي اجراء مصالحة بين الدين والفلسفة أو بين العقل والشريعة ، واذا تعارض العلم مع النص ، فينبغي تأويل النص ، وكان من أبرز من تبناوا فكر المعتزلة هو المأمون ابن هارون الرشيد في العهد العباسي ، اما الاشاعرة فكان من أبرزهم احمد ابن حنبل الذي ولد في بغداد عام ٧٨٠ م ، هذا الفريق قال ان القرآن أزلي ، أي غير مخلوق ، كما تمسكوا بحرفية القرآن ، وقالوا ان هناك نصاً يدلنا على الطريق الصحيح دائماً ، فالعقل الانساني - حسب رأيهم - لا يستطيع التمييز بين القبح والحسن .
- ١٢٨ . مقابلة على الانترنت مع المفكر محمد عابد الجابري ، بدون تاريخ .
- ١٢٩ . مثل جماعات الاسلام السياسي وعلى رأسها جماعة الاخوان المسلمين والتيار السلفي والنظام الايراني وتنظيم القاعدة الارهابي .
- ١٣٠ . راجع كتاب نيشة ٢٠٠٧ « فلسفة الاخلاق ص ٧٩ .
- ١٣١ . كانط فيلسوف الماني عملاق ومخضرم بين ان الاخلاق يجب ان تكون كونية وليست ذاتية وقال ان الفرق بين العقل والمشاعر هو ان العقل كوني والمشاعر فردية وبين ان الضمير هو الذات المثالية والمحكمة الذاتية وهو الصوت الداخلي الذي يوجه الانسان نحو فعل الخير .
- ١٣٢ . اوترام ٢٠٠٨ ، ص ٦١ .
- ١٣٣ . صحيفة القدس العربي اللندنية ، بتاريخ ٢٦ . ٧ . ٢٠١٠ ، الصفحة الاخيرة .
- ١٣٤ . مضية ١٩٩٦ ، ص ١١ .
- ١٣٥ . مقلد ٢٠٠٠ ، ص ٤٢ .
- ١٣٦ . ضيرير وحصل على رسالتي دكتوراة الاولى من مصر عن فيلسوف الشعراء ابو العلاء المعري والثانية من فرنسا عن مؤسس علم الاجتماع ابن خلدون .

- ١٣٧ . راجع كتاب سيد قطب « معالم في الطريق » .
- ١٣٨ . سلسلة عالم المعرفة .
- ١٣٩ . نلاحظ ان معظم الأباطرة الذين يسيطرون على الاعلام العربي هم من دول الخليج او من لبنان ولكنهم بشكل او بآخر يحملون جنسيات خليجية وهم : الشيخ وليد البراهيم ال ابراهيم وله ام بي سي ، والامير فيصل بن سلمان وله الشرق الاوسط ومجلتي سيدتي والرجل ، والشيخ صالح كامل وله ارث ، والامير وليد بن طلال وله روتانا ، وطارق بن عمار وهو « باشا الاتصال ، والامير خالد بن عبد الله بن عبد العزيز وله قناة اوربت ، والجزيرة وبحسب مجلة فوربس فانها ذات تمويل حكومي ومدارة بأسلوب القطاع الخاص ، ورفيق الحريري وله المستقبل ، والامير خالد بن سلطان بن عبد العزيز وله مجموعة الحياة ، وعصام فارس وله جريدة الشرق وال بي سي ، وعائلة بوذي وله صحيفة الرأي العام الكويتية ، ود . حسن راتب وله قناة المحور ، د . احمد بهجت وله قناة دريم ، ومحمد تحسين الخياط وله تلفزيون الجديد ، ومحسن جابر وله مزيكا ، وجمال مروان وله ميلودي هتز ، وظفر صديقي وهو باكستاني وله سي أن بي سي الاقتصادية . المقصود بالاجندة السياسية بث رسائل اعلامية لخدمة مواقف سياسية دون أخرى .
- ١٤٠ . ابو شنب ١٩٨٨ ، ص ١١ .
- ١٤١ . <http://www.alquds.co.uk> .
- ١٤٢ . من محاضرة القاها د . وليد الشرفا رئيس دائرة الاعلام في جامعة بيزيت .
- ١٤٣ . رجب ٢٠٠٨ ، ص ٢٥ .
- ١٤٤ . شبكة الجزيرة الاخبارية تأسست عام ١٩٩٦ بمرسوم اميري . .
- ١٤٥ . مقال لطارق الحميد ، الشرق الاوسط ، العدد ١٢٣٧٥ ، ١٥ . ١٠ . ٢٠١٢ .
- ١٤٦ . البدراني ٢٠١١ ، ص ٢٥ .
- ١٤٧ . دراسة صادرة عن مركز المرأة العربية ٢٠٠٨ ، ص ١٨٣ .
- ١٤٨ . شكك الروائي اللبناني الياس خوري في صحيفة القدس العربي الصادرة في العاصمة البريطانية لندن ، يوم الثلاثاء ، ١٨ . ٩ . ٢٠١٢ في وجود فلم اصلاً بعنوان « براءة المسلمين » وكتب مقالاً على الصفحة الاخيرة للصحيفة بعنوان « هل يوجد فلم ام ان المسلمين هم فلم » .
- ١٤٩ . مجلة سياسات ، عنوان المقال « الجزيرة والثورة : نبرة المحاور تعلق فوق صرخة المحارب » ، العدد ١٥ ، ٢٠١١ ، ص ٧٤ .
- ١٥٠ . الرزو واخرون ٢٠٠٨ ، ص ٥٩ .
- ١٥١ . اشهر برنامج لدعم الاسلام السياسي في الوطن العربي هو برنامج الشريعة والحياة الذي يقدم على شاشة قناة الجزيرة ، حيث يقوم مقدم البرنامج عثمان عثمان بتقديم وليس بمناقشة او تقديم اسئلة ليوسف القرضاوي وهو ما يشكل تشكيل ارضية خضبة جدا للتيار الاسلامي في الوطن العربي .
- ١٥٢ . غسان بن جدو وصف الحرية التي كانت موجودة في قناة الجزيرة القطرية قبل ان ينشق عنها ويؤسس قناة الميادين قبيل اندلاع الثورة السورية قال « اننا نتعاشف في قناة الجزيرة مع نوع محير من الحرية » في تعقيبه على رفضه اجراء لقاء صحافي مع ايهود باراك وزير الدفاع الاسرائيلي عندما اجتمع مع امير قطر حمد بن جاسم ال ثاني ، صحيح انه لا يوجد خط تلفوني مباشر بين قطر الامير وقناة الجزيرة بانه عليكم العمل كذا وكذا ، ولكن رئيس التحرير يعرف دائما العقلية التي تفكر بها والاجندة السياسية الموجودة على طاولة الامير ، انا اعتقد هنا ان هناك رقابة في قطر يمكن ان نطلق عليها « رقابة غير فجة » .
- ١٥٣ .
- ١٥٤ . للدليل على عدم معرفة في الوطن العربي ، فقد خصصت الملايين لتوظيف ماكينات اعلامية لفرض اجندة سياسية اكثر منها لزرع قيم ، ففي مثلاً إنتاج الكتاب فان الولايات المتحدة واوروبا وكندا واليابان ينتجون ٨١٪ من مجموع الكتب في العالم سنوياً ، وهذه الدول لا تضم اكثر من ٣٠٪ من مجموع سكان العالم ، بينما ٧٠٪ من عدد سكان العالم وهم من الدول النامية لا تنتجون سوى ١٩٪ من مجموع الكتب الصادرة سنوياً .
- ١٥٥ . حمد ٢٠١١ ، ص ٦٩ .

- ١٥٦ . القاسم وبلقزيز وكريشان وبن جدو واخرون ٢٠٠٤، ص ٦٧ .
- ١٥٧ . راجع مقال عبد البارى عطوان ، صحيفة القدس العربي ، ٢٠ . ٦ . ٢٠١٢ .
- ١٥٨ . قناة الميادين ، خطاب حسن نصرالله ، مساء ١١ . ١٠ . ٢٠١٢ ، الساعة ٨ مساءً بتوقيت فلسطين ، ٩ مساءً بتوقيت بيروت .
- ١٥٩ . لاحظ ان هناك حشداً ضد نوري المالكي وهو شيعي مع ايران وسوريا ، في حين ان الجزيرة تحشد لصالح السني طارق الهاشمي الذي تربطه علاقات وثيقة مع قطر والسعودية وتركيا .
- ١٦٠ . هنا المقصود النظام السوري
- ١٦١ . رصد لقناة الجزيرة مباشر ، ٥ . ١٠ . ٢٠١٢ .
- ١٦٢ . وكالة رويترز ١٠ . ١٠ . ٢٠١٢ ، من المعروف ان الغنوشي هو من اخوان تونس ، ويختلف عن سيد قطب في مسألة واحدة وهي ، ان الغنوشي يطالب بسيطرة الاخوان على مقاليد الحكم بطريقة الاقتحام الهادئ عن طريق الديمقراطية والدعوة ، بينما يدعو سيد قطب الى الاقتحام المباشر للسلطة دون اعطاء أي اهتمام للعملية الديمقراطية .
- ١٦٣ . لاحظ انه وبحسب منظمة مراسلون بلا حدود فان اكثر دولة في العالم تتمتع بالحرية الصحافية هي فنلندا ، ثم النرويج بينما بريطانيا رقمها ٢٨ ، فرنسا ٣٨ ، امريكا ٤٧ ، الصين ١٧٤ ، واخيرا اريتريا ، عربيا اول دولة فيها حرية اعلامية الكوريت وترتيبها عالمياً ٧٨ ، لبنان ٩٣ ، اسرائيل ٩٢ ، قطر ١١٤ ، فلسطين ١٥٣ ، السعودية ١٥٨ واخيرا سوريا ١٧٦ .
- ١٦٤ . مقال للمفكر هاشم صالح ، صحيفة الشرق الاوسط ، العدد ١٢١٨٠ ، ٣ . ٤ . ٢٠١٢ ، صفحة الرأي .
- ١٦٥ . <http://almajd.tv/default.aspx?No=10271&type=2> .
- ١٦٦ . ١٩ . ١٠ . ٢٠١٢ ، قناة الجزيرة ، الساعة ٥٠ : ٢ ظهراً .
- ١٦٧ . سكاي نيوز هي قناة تلفزيونية فضائية بريطانية تبث ٢٤ ساعة ، ولها عدة طبعات دولية مثل سكاي نيوز عربية في ابوظبي sky news arabia ، سكاي نيوز أستراليا وسكاي نيوز نيوزلندا ، وسكاي نيوز تبث من اوربا ، وتركز على الخبر العاجل . بدأت شبكة سكاي نيوز خدمتها في ٥ فبراير ١٩٨٩ ومقر القناة من لندن .
- ١٦٨ . فرانس ٢٤ (بالفرنسية: France 24) وتنطق بالفرنسية ، والعربية ، والإنجليزية) هي قناة أخبار دولية بدأت بثها يوم ٦ ديسمبر ، ٢٠٠٦ ، الحكومة الفرنسية تمول قناة فرانس ٢٤ بميزانية سنوية ٨٠ مليون يورو تقريباً .
- ١٦٩ . وكالة الانباء الفرنسية ، عنوان الخبر «وفاة شرطي اثر اصابته بجروح في صدامات مع متظاهرين في البحرين » ، الساعة ١٠ : ١٠ صباحاً ، اكتوبر ، ٢٠١٢ .
- ١٧٠ . الحروب ، خالد وقنص ، جمان ، ٢٠١١ ، ص ٢٢٩ . (ورقة مقدمة من د . نشأت الاقطنش أستاذ الاعلام في جامعة بيزيت بعنوان «الاعلام الفلسطيني والانقسام السياسي : دروس مستقبلية» .
- ١٧١ . الحروب ، خالد وقنص ، جمان ، ٢٠١١ ، ص ٣١ .
- ١٧٢ . م . س . ١٥ .
- ١٧٣ . بنكراد ٢٠٠٦ ، ص ٦٩ .
- ١٧٤ . حجاب ٢٠١٠ ، ص ١٥٩ .
- ١٧٥ . وكالة معا الاخبارية ، ٢ . ١٠ . ٢٠١٢ .
- ١٧٦ . بوديار ، جان ٢٠٠٨ ، ص ٢٠ .
- ١٧٧ . أنظر هنا كتاب «التلفزيون وآليات التلاعب بالعقول» للكاتب بيير بورديو الذي يسلط من خلال الكتاب على أهم الآليات التي يستخدمها القائمون على التلفاز للتلاعب بعقول المواطنين مثل حجب المعلومات او سرعة تدفق المعلومات ، اي هناك علاقة بين تدفق المعلومات وانتاج المعنى .
- ١٧٨ . اكبر مثال على ذلك قناة الجزيرة القطرية - مباشر التي تنقل غالباً مشاهد من سوريا تبين وحشية النظام السوري او فعاليات تنظمها التيارات الاسلامية وخاصة جماعة الاخوان المسلمين في مصر وقطاع غزة وتونس وليبيا وهو يثبت العلاقة المباشرة بين شبكة الجزيرة وجماعة

الاخوان المسلمين، وبالتالي سعت الشبكة - عن قصد - الى اسلمة المجتمع بقصد اخوته، وهذا هو السبب المباشر في سيطرة التيارات الاسلاموية في الدول التي اجتاحتها «الربيع العربي» .

١٧٩ . غسان بن جدو من مواليد ١٩٦٢ ، ابوه مسلم سني من تونس ، أمه لبنانية مسيحية ، وزوجته مسلمة شيعية ، كان أحد اعمدة قناة الجزيرة من عام ٢٠٠٤ وحتى عام ٢٠١١ ، ناصر قناة الجزيرة في برامجها التي احتفت بها مع الربيع العربي من تونس وليبيا ومصر ، لكنه انشق عندما وصل الحريق الى سوريا ، فهو اعلامي متعاطف مع النظام السوري وايران وحزب الله وتربطه علاقات قوية مع حسن نصر الله ، وقد اسس فيما بعد قناة الميادين عندما دمج مشروع قناة الاتحاد الذي كان يقودها الاعلامي نايف كريم وكذلك الاعلامي سامي كليب الذي أصبح مدير عام الاخبار .

١٨٠ . موقع عبد العزيز بن باز .

١٨١ . برنامج « السياسة الشرعية » للشيخ سامي السرساوي ، ٧ . ١٠ . ٢٠١٢ .

١٨٢ . أفادت صحيفة «أوبزرفر» امس الأحد أن الصحفيين العاملين في قناة الجزيرة الانكليزية التي تبث من لندن ودول أخرى ، احتجوا بعد مطالبتهم باعادة تحرير تقرير للتركيز على تصريحات أمير قطر حول سورية في الكلمة التي ألقاها خلال اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة . وقالت الصحيفة إن هذا التدخل من قبل مدير الأخبار لضمان ابراز ما جاء في خطاب أمير قطر بشأن التدخل في سورية في التغطية الاخبارية لقناة الجزيرة الانكليزية ، عرّض استقلاليتها للمساءلة . واضافت أن صحافيي القناة كانوا اعدوا تقريراً مصوراً عن مناقشات الجمعية العامة للأمم المتحدة تصدرته مقتطفات من خطاب الرئيس الامريكى باراك أوباما الثلاثاء الماضي ، حين تلقوا تعليمات في اللحظة الأخيرة من صلاح نجم ، مدير الأخبار المقيم في قطر ، والذي أمر باعادة تحرير التقرير لتصدره تصريحات أمير قطر الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني .

١٨٣ . يفوت ٢٠٠٣ ، ص ٧٧ .

١٨٤ . قام الخليفة الراشدي الثاني عمر بن الخطاب بوقف اربع تشريعات وهي وقف قطع يد السارق - لفترة زمنية محدودة - وعمل العمل بزواج المتعة وعدم التعامل بالمؤلفة قلوبهم .

١٨٥ . سيد قطب ولد في قرية قها في محافظة اسيوط في مصر ، اكمل دراسته في القاهرة وتخرج منها مجازاً في اللغة العربية ، في عام ١٩٤٩ سافر الى الولايات المتحدة الامريكية وفي عام ١٩٥١ انضم الى جماعة الاخوان المسلمين وقد اعتقل سيد قطب على خلفيه اتهامه بمحاولة اغتيال جمال عبد الناصر وقد حكم عليه بالاعدام ونفذ في القاهرة في ٩ . ٨ . ١٩٦٦ .

١٨٦ . ابو الاعلى المودودي ولد عام ١٩٠٣ في قرية حيدر اباد في الهند ، ومن اشهر كتبه « مصدر قوة المسلم » و« الجهاد في الاسلام » و« مبادئ الاسلام » وتوفي عام ١٩٧٩ .

١٨٧ . قناة الجزيرة ، ٢٥ . ٩ . ٢٠١٢ الساعة ١٢ عند منتصف الليل .

١٨٨ . ١٥ . ١٠ . ٢٠١٢

١٨٩ . هناك برنامج اسبوعي على قناة الجزيرة - الام القطرية بعنوان الشريعة والحياة يتم فيه استضافة احد رجال الدين او يوسف القرضاوي للحديث حول الثورات العربية ، لكن البرنامج مثلاً لا يتطرق الى رأي الشرع في حكم العائلات العربية او الاسر العربية المتوارثة في منطقة الخليج العربي على الرغم من ان الجزيرة ترفع شعار «الرأي والرأي الآخر» او انها مستقلة ، وهذا البرنامج محصور فقط على الجزيرة العربية ، بينما البرنامج مغيب كلياً على سبيل المثال عن الجزيرة الانجليزية .

١٩٠ . راجع كتاب مفهوم الايدولوجيا للمفكر المغربي الكبير عبد العروي استاذ الفلسفة سابقاً في جامعة محمد الخامس بالرباط .

١٩١ . راجع كتاب قيمة التقييم للمفكر المغربي المهدي المنجرة استاذ الفلسفة في إحدى الجامعات اليابانية والمغربية .

١٩٢ . اعتقد ان الاستاذ ابو الرب كان دقيقاً هنا بانه اطلق مصطلح المنطقة العربية وانا اجد انها أفضل من كلمة «العالم العربي» او «الوطن العربي» لانه لا يوجد وطن بالمعنى الفعلي للكلمة ولكن يوجد مناطق عربية تعيش عليها جماعات عربية .

١٩٣ . هبرماس ٢٠٠٣ ، دار الجمل ، برلين

١٩٤ . «دراسة لمحمد ابو الرب» دور الخطاب الدعوي عبر الفضائيات والمواقع الالكترونية في بروز المجتمعات الشخصية

١٩٥ . يورغن هبرماس آخر فيلسوف اوروبي على قيد الحياة ، يبلغ من العمر حالياً ٨٣ عاماً ، مواليد ١٩٢٩ ، من مدينة دوسلدورف غربي المانيا ،

- يعتبر من أهم منظري مدرسة فرانكفورت الفلسفية وهي مدرسة تأسست لنقد الفكر الغربي، نقد التنوير الاوروبي، وصفه وزير الخارجية الاتحادي الالمان الاسبق يوشكا فيشر من حزب الخضر البيئي بأنه « فيلسوف المانيا الحديثة » .
- ١٩٦ . ما معنى العقل هنا ؟ هل يوجد عقل عربي وآخر غربي ؟ اعتقد ان العقل هنا العقل الجمعي وهو عبارة عن مكونات او ثقافة الموروث الديني والبيئي . بمعنى ان العقل هنا هي ثقافة الفرد المستمدة من المجتمع .
- ١٩٧ . النهوم ١٩٨٧ ، ص ٨٨ .
- ١٩٨ . الصادق النهوم، مفكر ليبي، عاش في سويسرا، تركزت معظم كتاباته حول ضرورة ان ينطلق قطار التغيير من المسجد .
- ١٩٩ . أنظر توظيف الماكينات الاعلامية لصالح الجماعات الاسلامية المتشددة في سوريا وكيف تحول هذه الجماعات مادياً، ويغض الطرف عنها فقد التقت مصالحتها السياسية مع الغرب وبعض الانظمة السياسية في المنطقة العربية وهو نفس السيناريو يتكرر في حرب افغانستان ضد التواجد السوفيتي وكيف انقلب تنظيم القاعدة فيما بعد ضد امريكا في ١١ . ٩ . ٢٠٠١ وقيامه بعدة تفجيرات في لندن ومدريد وباريس، الا ان المصالح التقت مرة أخرى وما أشبه اليوم بالبارحة، فلا يوجد أخلاق في السياسة، او ان الاخلاق تقسم الى قسمين هناك أخلاق على الصعيد الداخلي وهي تنفذ بدقة وبضمير وهناك اخلاق منحطة ينفذها الغرب خارج اوروبا على شكل استثمار وسرقة ثروات طبيعية .
- ٢٠٠ . قناة دينية يملكها الملياردير السعودي صالح كامل صاحب شركة « دلة البركة » وهي تأتي ضمن باقة راديو وتلفزيون العرب « ارتي »
- ٢٠١ . قناة دينية يملكها الوليد بن طلال وهو يملك شبكة روتانا التي تبث اغاني حتى ان أحد الموسيقي اللبناني الياس الرحباني وصفها بانها تمثل مؤامرة على الفن العربي .
- ٢٠٢ . الحضيف ١٩٩٤ ، ص ٣٠ .
- ٢٠٣ . الشرفا، ولید ٢٠١٠ ، ص ٨٣ .
- ٢٠٤ . العبد ١٩٩٣ ، ص ١٧٥ .
- ٢٠٥ . عوض الله ١٩٩٥ ، ص ٩١ .
- ٢٠٦ . راجع كتاب « معارك التنويرين والاصوليين في اوروبا، هاشم صالح، دار الساقى ورابطة العقلائين العرب، ٢٠١٠ ، بيروت، لبنان .
- ٢٠٧ . راجع كتاب « نقد الخطاب الديني » نصر حامد ابو زيد، المركز الثقافي العربي، ط٣، ٢٠٠٧ ، الدار البيضاء، المغرب .
- ٢٠٨ . ابو عرجة ٢٠١٠ ، ص ٨١ .
- ٢٠٩ . شبيب ٢٠٠٤ ، ص ١١ .
- ٢١٠ . القاهرة . فجر الداعية الاسلامي الدكتور ياسر برهامي عضو الجمعية التأسيسية للدستور، مفاجأة بقوله « إن الدين الإسلامي لم يحدد سناً معيناً لزواج الفتاة طالما أنها قادرة على المعاشرة » . برهامي أكد خلال حوار مع برنامج « العاشرة مساء » على فضائية « دريم ٢ » ، « إنه يجوز للبلنت في سن التاسعة أو العاشرة أن تتزوج ، طالما أن زوجها لن يعيقها من تكملة تعليمها، مشدداً على أن ذلك أفضل من الوقوع في معصية الزواج العرفي، بل إن هذا حق من حقوقها الداعية الاعلامي استشهد بقوله تعالى « وَاللَّائِي يَسْنَنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نَسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعَدَّتْهُنَّ ثَلَاثَةٌ أَشْهُرٌ وَاللَّائِي لَمْ يَحْضَنْ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً بِرَهْمِي أَضَافَ » إن الفكر الليبرالي المطلق يبيح العلاقات الجنسية للبلنت في سن ١٤ ، لافتاً إلى أن السلفيين بالجمعية التأسيسية لوضع الدستور طالبوا بعدم وجود مادة تحرم العبودية ضد المرأة بالدستور الجديد، لأن القوانين الدولية والغربية ترفض بعض التشريعات الإسلامية التي تخص المرأة، نشر في صحيفة القدس العربي ٢٨ . ٩ . ٢٠١٢ » .
- ٢١١ . ظهرت اول قناة تلفزيونية فضائية تلفزيون الشرق الاوسط « ام بي سي » بث من لندن في ١٨ . ٩ . ١٩٩١ ثم ظهرت قناة الجزيرة عام ١٩٩٦ من قطر ثم ظهرت فيها بعد قناة العربية السعودية من دبي .
- ٢١٢ . للاسف الشديد، لجأ بعض المفكرين العرب مثل محمد عابد الجابري الى استخدام كلمة ديمقراطية بدل علمانية لأن هناك جزء من المفكرين العرب بينوا ان الجابري تخوف من ردة فعل الاسلاميين من كلمة نظام علماني .
- ٢١٣ . القرصاوي ٢٠٠١ ، ص ١٦ .
- ٢١٤ . القرصاوي ٢٠٠١ ، ص ١٦ .

٢١٥. م. س، ص ٢٤.
٢١٦. م. س، ص ٤٢.
٢١٧. بتاريخ ٣. ٤. ٢٠١٢، العدد ١٢١٨٠
٢١٨. <http://www.aawsat.com>
٢١٩. ١٤٨٣ - ١٥٤٦
٢٢٠. جريدة القدس الفلسطينية، ٩. ١٠. ٢٠١٢، الصفحة ٢، العدد ١٥٥٠٣.
٢٢١. مجلة سياسات، مقال للمفكر صادق جلال العظم، بعنوان: «الدولة العلمانية والمسألة الدينية»، العدد ٨٢، ربيع ٢٠١٠، ص ١٤.
٢٢٢. م. س، ص ١٥.
٢٢٣. ظاهر ٢٠٠٨، ص ٨.
٢٢٤. م. س، ص ١١.
٢٢٥. م. س، ص ١٨.
٢٢٦. م. س، ص ٢٥.
٢٢٧. وزادة ٢٠٠٦، ص ١٢٧.
٢٢٨. م. س، ص ١٥٦.
٢٢٩. ماضي ٢٠٠٩، ص ٣١.
٢٣٠. لاحظ انه لا يوجد نظام تعددية سياسية في السعودية او برلمان او نقابات عمالية او مادة قانون في الجامعات وفي نفس الوقت قامت ايران بقطع محرك البحث الشهير غوغل وتحاول فصل ايران عن شبكة الانترنت العالمية.
٢٣١. الجزية هي عبارة عن مال يدفعه الذمي مثل المسيحي الذي يعيش في كنف الدولة المسلمة، لكن الدولة العلمانية يدفع فيها الفرد الضريبة، وفي هذا الصدد يقول الاصوليون ان المسلم يدفع الزكاة لكن الزكاة تدفع بحسب قيمة المال الموجود لدى المسلم بمعنى اخر قد لا يدفع المسلم الزكاة بينما المسيحي يدفع الجزية بسبب ديانته وهذه فكرة عنصرية تنفي صفة المواطنة عن الدولة.
٢٣٢. مثال برنامج ٩٠ دقيقة، قناة المحور، تقديم عمرو الليثي، ١١. ١٠. ٢٠١٢.
٢٣٣. قناة الاقصى، ١١. ١٠. ٢٠١٢.
٢٣٤. م. س، ص ٢٠، ١٠، ٢٠١٢ الساعة ١٥: ١٠ صباحاً.
٢٣٥. راجع مقال «جماعة الاخوان المسلمين المستفيد الاكبر من الصراع في سوريا» للصحافية ليز واشنطن على الانترنت، القدس الفلسطينية، بدون تاريخ.
٢٣٦. برنامج كامل بثته قناة بي بي سي البريطانية حول هذا الموضوع، ١١. ١٠. ٢٠١٢ واستضافت فيه كل من رياض الشعيبي من اقطاب حزب النهضة وتهامي عبد ولي عضو الحكومة التونسية وكاتب الدولة المكلف بالشؤون الاوروبية،
٢٣٧. موقع سويس انفو، وكالة رويترز البريطانية، ١٠. ١٠. ٢٠١٢.
٢٣٨. مقال للمفكر هاشم صالح بعنوان «هل تكفي ديمقراطية صناديق الاقتراع؟»، الشرق الاوسط اللندنية، صفحة الرأي، ١٩. ١. ٢٠١٢، العدد ١٢١٠٥.
٢٣٩. مقال للصحافي جهاد الخازن بعنوان «الاسلام يتوافق مع الديمقراطية»، صحيفة الحياة الدولية، لندن، صفحة الرأي، ٩. ١٠. ٢٠١٢.
٢٤٠. ميكافيللي هو فيلسوف ايطالي، صاحب كتاب «الامير».
٢٤١. مؤسس علم الاجتماع المؤرخ العربي الكبير ابن خلدون الذي قال (ان الامة العربية لا تعرف الحكم الا بصيغة دينية)
٢٤٢. الجزيرة نت، ١٤. ١٠. ٢٠١٢، لقاء خاص مع حسن الترابي.
٢٤٣. إعلان ورد على قناة مصر ٢٥، بتاريخ ١٩. ١٠. ٢٠١٢.
٢٤٤. مقابلة أجريتها مع د. برقاوي في إذاعة برلين التابعة لقناة التلفزة الالمانية الاولى، ٢٠٠٩.

٢٤٥. بتاريخ ٢٦. ٢. ٢٠١٢، العدد ١٢٤٣
٢٤٦. الاعلام لا يستطيع صنع ثورات شعبية، ولكن عندما تندلع هذه الثورات، يستطيع زيادة شعلتها، او العمل على اطفائها او نقلها من مكان الى آخر.
٢٤٧. من لقاء اعلامي مع د. احمد برقايي أستاذ الفلسفة في جامعة دمشق السورية، أذاعة برلين الحرة، ٢٠٠٩.
٢٤٨. حرب ٢٠١١، ص ٢٠.
٢٤٩. لا يوجد فيلسوف الماني أجمع عليه الفلاسفة الالمان مثل ايمانويل كانط، صاحب كتابي «نقد العقل العملي» «نقد العقل الخالص»، فقد قال نيته ان كانط شكل ثورة عقلية، بينما قال شوبنهاور: «كانط اعظم ما أنتجته المانيا» وقال أيضاً: «الانسان يبقى طفلاً، حتى يقرأ كانط»، اما هيغل فقد قال «لكي تكون فيلسوفاً لا بد ان تقرأ كانط».
٢٥٠. طلبت منظمة العفو الدولية (هيومان رايتس ووتش) من قطر بعدم التصديق على مشروع قانون الاعلام الجديد، حيث تنص المادة ٥٣ على «حظر نشر معلومات من شأنها ارباك العلاقة بين قطر والدول المجاورة والصديقة او أهانة الاسرة الحاكمة ونصت المادة على ان عقوبة من يخالف هذه المادة غرامة مالية قدرها مليون ريال، ٢٧٥ الف دولار.
٢٥١. الدين عبارة عن مشروع ايماني، موجود في كل جغرافيا الارض، ولا يمكن نزعها من قلوب البشرية، فالدين يقسم الى جزأين وهما اولاً : الايمان بالله وملائكته وكتبه واليوم الآخر، وهذه الامور غير خاضعة للمختبر او العقل - كما ادعى الفيلسوف الفرنسي المخضرم رينية ديكار - او للتجربة وانما للايمان الوجداني القلبي، بينما الجزء الاخر هي أي القوانين - اي ما يطلق عليها الشريعة -، يحاول جزء من رجال الدين الابقاء على هذه القوانين بدون تغيير، بحجة انها صالحة لكل زمان ومكان مثل الاشاعرة وجماعة الاخوان المسلمين والقاعدة وجماعات الاسلام السياسي، في حين ان هناك جماعات اخرى متنورة مثل المعتزلة او مؤيدهم مثل السوريوني محمد اركون وهاشم صالح ونصر حامد ابو زيد يحاولون تغيير هذه القوانين عن طريق تأويلها، باستخدام مصدر الاجتهاد، أي ان هذه القوانين تتغير بحسب الزمان والمكان، ولا يعني تغييرها، مس بالجزء الاول من الدين، وهو العقيدة او حتى النص الديني.
٢٥٢. بينت منظمة مراسلون بلا حدود الباريسية التي تعنى بحرية الاعلام ان رقم قطر فيما يتعلق بحرية التعبير ١٤٧ على مستوى العالم
٢٥٣. القاسم وبلقزيز وبن جدو وآخرون ٢٠٠٤، ص ١٩٩.
٢٥٤. م. س.، ص ٢٠٠٨.
٢٥٥. قناة الجزيرة مباشر، ندوة على الهواء من تونس، ١٤. ١٠. ٢٠١٢.
٢٥٦. قناة بي بي سي البريطانية، برنامج أجنده مفتوحة، عن جماعة الاخوان المسلمين في دول الخليج، ١٣. ١٠. ٢٠١٢.
٢٥٧. نشرة أخبار في تلفزيون بي بي سي، ١٤. ١٠. ٢٠١٢، الساعة ١٢ ظهراً.



